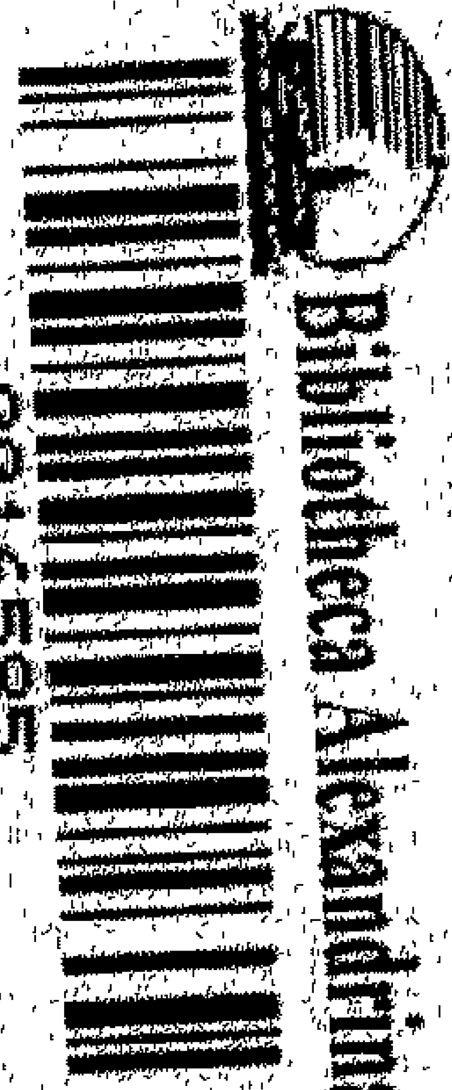
تفسير العهد الجديد

وليم باركلي

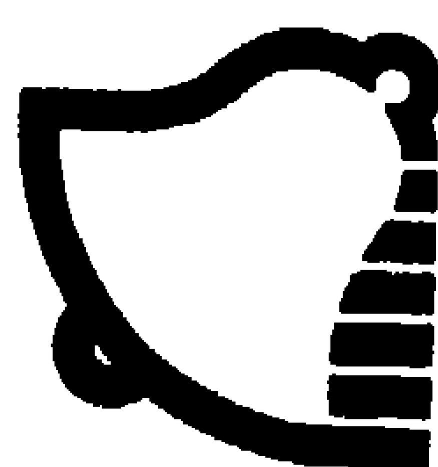
الرسالة الى العبرانيين



الرسالة إلى العبرانيين

نقلها إلى العربية

القس جرجس هابيل



طبعة ثانية

صدر عن دار الثقافة ص . ب ١٣٠٤ ـ القاهرة

١٠/٢٦٧ ط ٢ (أج) ٥ ـ ١٠/٨٧
ايداع رقم ٢٦٧٦/٨٧ دولى رقم x [redacted] ٠ ـ ١٦٦/٩٧٧
طبع [redacted]

تفسير العهد الجديد

للدكتور

وليم باركلى

أستاذ العهد الجديد بجامعة كلاسكو

مجلس التحرير

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الأصحاح الحادى عشر	
الرجاء المسيحى	١٩٢
إيمان التقدمة المقبولة	١٩٦
السير مع الله	٢٠٠
الرجل الذى آمن برسالة الله ...	٢٠٧
مغامرة وصبر الإيمان	٢١٠
تصديق مالا يصدق	٢١٤
غرباء ونزلاء	٢١٧
التضحية العظمى	٢٢١
الإيمان الذى هزم الموت	٢٢٤
الإيمان وأسراره	٢٢٦
الإيمان الذى يتحدى الحقائق ...	٢٣٤
أبطال الايمان	٢٣٨
تحدى الألم	٢٤١
الأصحاح الثانى عشر	
السباق والهدف	٢٥٠
مقياس للمقارنة	٢٥٣
تأديب الله	٢٥٥
واجبات وأهداف وأخطار ...	٢٦٠
رعب القديم ومجد الجديد	٢٦٨
الالتزام الأعظم	٢٧٢
الأصحاح الثالث عشر	
علامات الحياة المسيحية	٢٧٦
* القادة والقائد الأعلى	٢٨٢
وجوب الخطأ والصواب فى الذبيحة	٢٨٤
الطاعة والصلاة	٢٨٩
صلاة وتحية وبركة	٢٩٠

المقدمة

١ – الله يعلن عن ذاته بطرق كثيرة

لم يكن الدين – ولن يكون فى يوم من الأيام – ذات الشئ الواحد لجميع الناس . فإن الله – كما قال تنيسون – يعلن عن ذاته للناس بطرق كثيرة . وقال جورج رسل « هناك طرق كثيرة للصعود إلى النجوم بقدر عدد الناس الذين يصعدون إليها » وهناك قول مأثور « إن لله سلماً خلفية يصل بها إلى كل قلب . ويمكننا أن نقول بوجه الإجمال إنه توجد أربعة مفاهيم عظيمة للدين :

(ا) الدين عند بعض الناس هو شركة باطنية مع الله . هو اتحاد وثيق بالمسيح لدرجة أن المسيحى يستطيع أن يقول أنه يحيا فى المسيح . وكان هذا مفهوم بولس للدين . فالدين بالنسبة له كان شيئاً يربطه برباط سرى وباطنى مع الله .

(ب) والدين عند فريق آخر من الناس هو مقياس للحياة تلازمها قوة للوصول إلى هذا المقياس . الدين هو القانون للحياة الصالحة مع القوة لحفظ ذلك القانون . وهذا هو مفهوم الدين عند يعقوب وبطرس .

(حـ) وعند جماعة أخرى من الناس ما الدين إلا أعلى درجات الإشباع لعقولهم فإن عقولهم تبحث وتظل دائبة فى البحث حتى تجد راحتها فى الله . ويوجد بعض الناس الذين يجب أن يفهموا أو يهلكوا .

وليس عندهم طريق آخر . قال أفلاطون : « إن الحياة التى لا تخضع للفحص والامتحان ليست جديرة بأن نحياها » . هؤلاء الناس يبحثون حتى يجدوا الشبع والاكتفاء لعقولهم . وهذا ما كان عليه الدين عند يوحنا ، فالأصحاح الأول من إنجيله هو واحد من أعظم المحاولات فى العالم لإثبات أن الدين هو الذى يشبع بطريقة ما عقل الإنسان .

(د) والدين عند فريق رابع من الناس هو المثول أمام الله . هو الذى يقرب الإنسان إلى ذات محضر الله . هو الذى يزيل الحواجز ويرفع العوائق ويفتح الباب على مصراعيه إلى الحضور الحى للإله الحى . وهذا ما كان عليه الدين عند كاتب الرسالة إلى العبرانيين . وهذه هى الفكرة التى ملأت ذهنه وسيطرت عليه . لقد وجد فى المسيح الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يأخذه بيده ويأتى به إلى ذات محضر الله . فالباب الذى كان مقفلا قد فتح بفضل ما كان عليه المسيح وما فعله للناس . وكل فكره عن الدين قد لخصته العبارة العظيمة التى جاءت فى الرسالة إلى العبرانيين « فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع . طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده . وكاهن عظيم على بيت الله لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى . لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذى وعد هو أمين »

(عبرانين ١٠ : ١٩ – ٢٣)

وإذا كان لكاتب الرسالة إلى العبرانيين آية واحدة ودعوة واحدة فهى هذه « لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان » .

٢ – الخلفية المزدوجة

كانت لكاتب الرسالة إلى العبرانيين خلفية مزدوجة جعلته يتشبع بفكرته عن الدين . كانت عنده الخلفية اليونانية . ومنذ عصر أفلاطون أى قبل كتابة الرسالة بخمسمائة سنة كان يعتقد الإغريق بأن هناك فرقاً بين الحقيقى وغير الحقيقى ، بين المنظور وغير المنظور . كان اعتقاد الإغريق أن هناك فى مكان ما عالماً حقيقياً وما هذا العالم المنظور إلا ظل باهت وصورة ناقصة له . وكان أفلاطون يقول بأن هناك عالماً يحتوى على المثل أو الأفكار الكاملة وأما عالمنا هذا فهو الصورة الناقصة للعالم الكامل . ويضرب لذلك مثلاً بسيطاً فيقول . فى مكان ما قد وضع النموذج لكرسى كامل الصنع وإن كل الكراسى الأخرى فى العالم صور ناقصة له . وقياساً على هذه القاعدة قال أفلاطون « إن خالق العالم وضع نظاماً بديعاً وضعه باتقان كامل طبقاً لنموذج أزلى ثابت لا يعتريه تغيير . وما العالم الحاضر إلا صورة ضئيلة له » . وقال « فيلو » الذى استمد أفكاره من أفلاطون « إن الله عرف منذ الأزل أن صورة جميلة لا يمكن أن تخرج من غير أصل كامل لها ، وإنه لا يمكن للصور والمرئيات أن تكون كاملة بلا نقص من غير أن يكون لها نموذج كامل وفكرة روحية سابقة . وبهذه الكيفية عندما شرع الله فى خلق هذا العالم المنظور ، صنع أمامه العالم النموذجى حتى يكون العالم المنظور صورة للعالم غير المنظور » وعندما كان شيشرون يتحدث عن القوانين التى يعرفها الناس ويستخدمونها على الأرض قال « ليس لدينا قانون حقيقى وعدالة كاملة وكل ما نستمتع به ما هو إلا كل باهت وصورة تقريبية » وكل مفكرى العالم القديم كانت عندهم هذه الفكرة بأن هناك فى مكان ما عالماً حقيقياً وإن هذا العالم ما هو إلا ظل خفيف وصورة ناقصة له . وهنا لا نملك إلا الظن والتخمين . هنا لا نستطيع إلا أن نعمل بواسطة الظلال والصور والأشياء

الناقصة . ولكن فى العالم غير المنظور نجد الأشياء الحقيقية والكاملة ، نجد العالم كما أراده الله .

وعندما مات « نيومان » أقام له أصدقاؤه تمثالا لذكراه وكتبوا على قاعدة التمثال باللغة اللاتينية هذه العبارة « إنتقل من الظلال وأشباه الحقيقة إلى الحق ذاته » .

وإذا كان الأمر كذلك فإن أعظم مهمة علينا فى هذه الحياة هى أن نطرح جانباً من الظلال الباهتة والأشياء الناقصة وأن نسعى للوصول إلى الحقيقة . وهذا بالضبط ما ينادى به كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيقول لنا إن يسوع المسيح هو الذى يقدرنا على الوصول إلى الحقيقة . وكأنى بكاتب الرسالة إلى العبرانيين يريد أن يقول لليونانيين — وقد قال لهم ذلك فعلا « إنكم كنتم تبحثون كل أيام حياتكم عن الحقيقة وحاولتم جهدكم أن تخرجوا من الظل إلى الحق . وهذا بالضبط ما يستطيع يسوع المسيح أن يمكنكم من الوصول إليه » .

٣ — الخلفية العبرية

غير أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين كانت له أيضاً خلفية يهودية وكان اليهودى يرى أنه من الخطر الشديد عليه دائماً أن يقترب إلى الله أكثر مما يحتمل كإنسان بشرى . وقد قال الله لموسى « لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » (خروج ٣٣ : ٢٠) وكان تعجب يعقوب فى فنيئيل « إنى نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسى » (تكوين ٣٢ : ٣٠) وعندما تحقق منوح من شخصية ضيفه قال لزوجته وهو يرتعب « نموت موتاً لأننا قد رأينا الله » (قضاة ١٣ : ٢٢)

وكان اليوم العظيم فى العبادة اليهودية هو يوم الكفارة : وكان هو اليوم

الوحيد فى كل أيام السنة الذى فيه يدخل رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس حيث يسكن الله . ولم يكن مسموحاً لأحد أن يدخل إلا رئيس الكهنة ولا يجب أن يبقى طويلا فى قدس الأقداس « حتى لا يسبب رعباً لبنى إسرائيل » كان الدخول إلى محضر الله يشكل خطراً جسيما ولو بقى إنسان طويلا فى المحضر الإلهى مات فى الحال . وبالنظر إلى هذا التهيب قطع الله العهد مع بنى إسرائيل . ومعنى العهد أن الله فى نعمته وبدافع من رغبته الخاصة ومن غير استحقاق الجانب البشرى اقترب إلى شعب إسرائيل ومنحهم علاقة خاصة بشخصه . وبطريقة ممتازة كانوا له شعباً وكان هو إلهاً لهم . وقدم لهم امتياز التقرب إليه على شرط واحد وهو طاعة الشعب للناموس الذى أعطاهم الله إياه ، ونستطيع أن نرى الدخول فى هذه العلاقة وقبول الشعب لهذا الناموس فى مشهد رائع جاء وصفه فى سفر الخروج (٢٤ : ٣ — ٨) وعلى هذا الأساس كان لشعب إسرائيل حق المثول أمام الله على شرط حفظه للناموس . وكان كسر الناموس خطية يترتب عليها قطع العلاقات بينهم وبين الله ووضع الحواجز فى الطريق إلى الله . ورغبة فى إزالة هذه الحواجز نوضع النظام الخاص بالكهنوت والذبائح اللاوية . فالناموس قد أعطى ، والانسان أخطأ ، والحاجز أقيم، والذبيحة قدمت لعودة العلاقة المفقودة وفتح الطريق المقفل إلى الله . ولكن وجد بالاختبار أن الذبيحة لا تقدر أبداً أن تعيد العلاقة مع الله كما يجب أن تكون . ولأجل ذلك كانت الذبائح تقدم على التوالى وبلا نهاية . وكان الكهنة بشراً خطاة كغيرهم من الناس . وكان عليهم قبل كل شئ أن يقدموا الذبائح تكفيراً عن خطاياهم ولا تستطيع ذبيحة حيوانية أن تزيل الشعور بالإثم وكان هذا برهاناً قاطعاً على عدم فاعلية الذبائح التى كانت تنحر يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة بلا انقطاع . كانت الذبائح معركة خاسرة وغير مجدية فى إزالة الحاجز الذى أقامته الخطية بين الإنسان والله .

٤ ـ الكاهن الكامل والذبيحة الكاملة

كان الناس فى حاجة إلى كاهن كامل وإلى ذبيحة كاملة : إلى كاهن يستطيع أن يقرب الناس فعلا إلى الله ، وإلى ذبيحة تستطيع مرة واحدة وإلى الأبد أن تفتح الطريق إلى الله . وقال كاتب الرسالة إلى العبرانيين « إن هذا ما فعله المسيح على الوجه الأكمل . هو الكاهن الكامل لأنه إنسان كامل وإله كامل . وبناسوته يستطيع أن يقرب الناس إلى الله ، وبلاهوته يستطيع أن يقرب الله إلى الناس ، وهو قدوس بلا خطية ولذلك فان الذبيحة التى يقدمها وهى ذبيحة نفسه ذبيحة كاملة ، فلا يحتاج الإنسان إلى تكرارها مرة ثانية . ووجه كاتب الرسالة إلى العبرانيين كلامه إلى اليهود قائلا « لقد كنتم طوال حياتكم تتطلعون إلى الكاهن الكامل الذى يستطيع أن يقدم الذبيحة الكاملة ويعطيكم تقرباً إلى الله وينزع الحواجز القائمة بينكم وبينه ويضعكم فى علاقة صحيحة ودائمة مع الله . وهذا ما تقدرون أن تنالوه فى يسوع المسيح وفيه وحده لا سواه » .

وهكذا التفت الكاتب إلى اليونانيين وقال لهم « أنتم تبحثون عن طريق للخروج من الظلال إلى الحقيقة وستجدون ذلك الطريق فى يسوع المسيح » .

كما أنه قال لليهود « أنتم تبحثون عن الذبيحة الكاملة التى تفتح لكم الطريق إلى الله بعد أن سدته خطاياكم وأنتم تجدون هذه الذبيحة الكاملة فى يسوع المسيح » .

ويقرر كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يسوع هو الشخص الوحيد الذى قرب الناس من الحقيقة كما قربهم إلى الله . هذا هو مفتاح الرسالة كلها .

٥ ـ لغز العهد الجديد

وكل هذا الذى سبق أن قلته واضح كل الوضوح ولكن عندما ننتقل

إلى الأسئلة الأخرى التى نسألها عادة فى كتابة المقدمة لكل سفر نجد أن الرسالة إلى العبرانيين يحوطها الغموض وتكتنفها الأسرار . صدق « سكوت » فى قوله « إن الرسالة إلى العبرانيين من وجوه كثيرة هى لغز العهد الجديد » وعندما نتساءل : متى كتبت ؟ ولمن كتبت ؟ ومن كتبها ؟ لن نجد أمامنا إلا الحدس والتخمين . وحتى تاريخ الرسالة يرينا أنها عوملت بشىء من التحفظ والاحتياط . فقد مر عليها زمن طويل قبل أن يعترف بها كسفر من أسفار العهد الجديد القانونية « إن القائمة الأولى لأسفار العهد الجديد وهى المعروفة بالقانون الموراتورى المنشور سنة ١٧٠ ب . م لم تذكر فيه هذه الرسالة إطلاقاً . أما إكليمندس وأوريجانوس — وهما عالما الإسكندرية العظيمان فقد عرفاها وأحباها لكنهما اتفقا على أن موضعها فى أسفار العهد الجديد هو موضع مناقشة. وهكذا كان الحال مع الآباء الإفريقيين العظماء، فإن كبريانوس لم يذكرها أبداً لكن ترتليانوس يعرف أن مكانها هو موضع نزاع . قال يوسيبيوس — مؤرخ الكنيسة الكبير — إنها كانت من بين الأسفار التى أثير حولها الجدال . وبقيت هذه الرسالة حتى أواسط القرن الرابع حين أعلن أثناسيوس قبولها بصفة قاطعة ، ولكن لوثر ظل متردداً فى موقفه بازائها . وإنه لأمر غريب حقاً أن ينتظر سفر عظيم كهذا السفر زمناً طويلا حتى ينال السلطان الكامل والاعتراف الكامل . وحول كل سفر من أسفار العهد الجديد نحاول الإجابة عن تاريخ كتابة هذا السفر ولمن كتب ؟ وأين كتب ؟ وسنحاول الإجابة على هذه الأسئلة بقدر المستطاع .

٦ — متى كتبت الرسالة ؟

إن المعلومات التى بين أيدينا نستقيها فقط من الرسالة نفسها . ومن الواضح أنها كتبت فى غضون الزمن الذى نسميه زمن مسيحى الجيل الثانى (٢ : ٣) وإن القصة نقلت إلى قارئيها بواسطة أولئك الذين سمعوا الرب .

ولم يكن الناس الذين كتبت لهم الرسالة حديثى العهد فى الإيمان المسيحى . وكان ينبغى أن يكونوا ناضجين فى الإيمان (٥ : ١٢) وكان يجب أن يكون لهم تاريخ طويل لأنهم طولبوا بأن يعودوا بذكرياتهم إلى الأيام السالفة (١٠ : ٣٢) وكان من ورائهم تاريخ طويل حافل بالبطولة والاستشهاد وكان ينبغى أن ينظروا إليه ويستمدوا منه القوة والإلهام (١٣ : ٧) أما الشى الذى يعيننا أكبر العون على معرفة تاريخ كتابة هذه الرسالة فهو الإشارة إلى الاضطهاد . فإنه واضح أن مرشديهم قد سيقوا إلى الموت بسبب إيمانهم . وأن الكاتب يحثهم على تذكر خروج هذه الشخصيات العظيمة من هذه الحياة إلى الحياة الأفضل (١٣ : ٧) وواضح أيضاً أنهم لم يعانوا بعد الشئ الكثير من ألم الاضطهاد لأنهم لم يقاوموا بعد حتى الدم (١٢ : ٤) وواضح كذلك أنهم عوملوا معاملة قاسية وسلبت أموالهم (١٠ : ٣٢ — ٣٤) كما أننا نعرف من إلقاء نظرة عامة على الرسالة أن خطر الاضطهاد كان وشيك الوقوع عليهم . ومن كل هذه المعلومات نستطيع أن نقول ونحن واثقون إن هذه الرسالة لا بد أن تكون قد كتبت بين اضطهادين فى الأيام التى لم يكن المسيحيون فيها مضطهدين بالفعل ومع ذلك لم يكونوا محسوبين فى عداد المواطنين وكان الاضطهاد الأول فى زمن حكم نيرون أى فى عام ٦٤ ب . م أما الاضطهاد الثانى فكان فى زمن دومثيان عام ٨٥ ب. م وفى زمن ما بين هذين الاضطهادين كتبت هذه الرسالة . فكانت من خلفهم ذكريات الاضطهاد لتلهمهم بقصص من الشهداء الأبطال . وكانوا يتوقعون اضطهاداً مماثلا لهم وهو ما يجب أن يتقووا لمجابهته . وكان العداء والكراهية نحوهم مما يمهد الطريق إلى المعاملة القاسية . ونستطيع أن نضع تاريخ كتابة هذه الرسالة بين أيام حكم نيرون ودومثيان بل أكثر اقتراباً من أيام دومثيان . وإذا اعتبرنا تاريخ كتابة هذه الرسالة عام ٨٠ ب. م فلن نكون بعيدين عن الصواب .

٧ – لمن كتبت الرسالة ؟

وبعد ذلك نتساءل : « لمن كتبت الرسالة إلى العبرانيين » ؟ ومرة ثانية نضطر إلى الاعتماد على التلميحات التى نحصل عليها من الرسالة نفسها . ومن المؤكد أنها لم تكتب إلى واحدة من كبريات الكنائس أو أن اسم المكان الذى أرسلت إليه لم يكن قد تلاشى نهائياً من على وجه الأرض . ولنضع أمامنا الحقائق الى نعرفها . إن الرسالة كتبت إلى كنيسة مؤسسة من زمن بعيد (٥ : ١٢) فقد كتبت إلى كنيسة ظلت بعض الوقت وهى تعانى قسوة الاضطهاد (١٠ : ٣٢– ٣٤) ، كتبت إلى كنيسة كانت لها أيام عظيمة وكان لها معلمون ومرشدون عظماء . كتبت إلى كنيسة لم تكن قد تأسست على أيدى الرسل (٢ : ٣) ، كتبت إلى كنيسة كانت مشهورة بكرم الضيافة (٦ : ١٠) وعندنا الآن تلميح واحد مباشر . إذ بين التحيات الختامية نجد القول : يسلم عليكم الذين من إيطاليا (١٣ : ٢٤) وإذا أخذت هذه العبارة على حدة جاز لنا أن نفهم أن الرسالة كتبت من إيطاليا أو كتبت إلى إيطاليا وهذا أكثر احتمالا . ولنفرض أنى أقيم فى مدينة جلاسجو وكتبت إلى مكان ما بالخارج فلا أظن أنى أقول « يسلم عليكم الذين من « جلاسجو » بل الأكثر احتمالا أنى أقول « يسلم عليكم الذين فى جلاسجو » ولكن إفرض أنى مقيم فى مكان ما بالخارج وهناك وجدت عدداً من الاسكتلنديين فقد أكتب قائلا « كل الناس الموجودين هنا من (جلاسجو) يسلمون عليكم » وهذه العبارة القصيرة تعنى أن الرسالة أرسلت إلى إيطاليا من الخارج بواسطة شخص له بيت فى إيطاليا وهو لسبب ما يقيم خارج إيطاليا بعيداً عن بيته . ويمكننا إذن أن نقول إن الرسالة كتبت إلى إيطاليا وهى – بشئ من اليقين – كتبت إلى مدينة روما لكنها لم تكتب إلى الكنيسة التى فى روما ولو كان الأمر كذلك لكنا نعرف بمنتهى السهولة إسم كاتبها والجهة المرسلة إليها وفضلا عن

ذلك فإننا إذ نقرأ الرسالة تترك عندنا إنطباعاً أنها كتبت إلى عدد من الأفراد المتشابهين فى الآراء والمشارب بل لنذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إنها كتبت إلى جماعة من ذوى الثقافة العالية والاطلاع الواسع . ونستطيع أن نستدل مما جاء فى الرسالة (٥ : ١٢) أن أولئك القوم ظلوا زمناً طويلا يتزودون من المعرفة استعداداً لأن يتبوأوا كراسى المعلمين للايمان المسيحى . فضلا عن كل ما قيل إن رسالة العبرانيين تتطلب معرفة كافية بالعهد القديم وإلماماً كافياً بخيمة الإجتماع والكهنوت ونظام الذبائح ونستطيع أن نقول إن هذه الرسالة كتبها عالم وأرسلها إلى علماء . وتلخيصاً لكل ما قيل آنفاً يمكننا أن نقرر أن العبرانيين رسالة كتبها معلم عظيم وأرسلها إلى جماعة من العلماء المثقفين الذين يقيمون فى مدينة روما . وكان معلماً لهم لكنه افترق عنهم فترة من الزمن وخاف لئلا يجرفهم التيار بعيداً عن الإيمان ولأجل ذلك كتبت لهم هذه الرسالة . وهى حديث أكثر منه رسالة . فليس فيها إفتتاحية كما يبدأ بولس رسائله ولو أنها تختم بالتحيات كما تختم الرسائل . والكاتب نفسه يسميها « كلمة وعظ » ولن نكون مخطئين إذا اعتبرنا العبرانيين رسالة كتبت إلى جماعة صغيرة ممن كانوا يتدربون لأن يكونوا معلمين فى الكنيسة المسيحية . وأرسلها إليهم معلمهم الخاص الذى حالت الظروف دون الاجتماع بهم شخصياً .

٨ – من كتب هذه الرسالة ؟

هذه مشكلة من أصعب المشاكل ولن نجد لها حلا : من ذا الذى كتب الرسالة إلى العبرانيين ؟ وكان عدم اليقين فى إسم الكاتب هو السبب الحقيقى الذى جعل رسالة العبرانيين تبقى على هامش أسفار العهد الجديد زمناً طويلا ومن أقدم الأزمنة كان إسم هذه الرسالة بكل بساطة هو : الرسالة إلى العبرانيين . ولم يوضع لها اسم كاتبها . ومن أقدم العصور لم يقرنها أحد باسم

بولس . إعتاد أكليمندس الاسكندرى أن يقول أن بولس كتبها باللغة العبرانية وتولى لوقا نقلها إلى اللغة اليونانية . لأن أسلوبها يختلف تماماً عن أسلوب بولس . أما أوريجانوس فقال كلمته المأثورة « إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لا يعرفه أحد معرفة اليقين إلا الله وحده . ونسبها ترتليان إلى برنابا ويقول جيروم إن الكنيسة اللاتينية لم تقبلها كرسالة من رسائل بولس . وإذا ما تكلم عن الكاتب كان يكتفى بالقول « كاتب الرسالة إلى العبرانيين أياً كان اسمه » وشعر أغسطينوس بنفس الشعور بازائها . وصرّح لوثر أنه لا يمكن أن يكون بولس كاتبها لأن الأفكار ليست أفكاره وقال كلفن إنه لا يقدر أن يقول إن هذه الرسالة هى رسالة بولس . ولم يخطر ببال أحد فى كل تاريخ الكنيسة أن بولس هو كاتب الرسالة إلى العبرانيين . كيف حدث إذن أنها اقترنت باسمه ؟ عندما جاء الوقت لوضع العهد الجديد فى صورته النهائية ثار الجدال بالطبع حول الأسفار المقبولة والأسفار المرفوضة . وحسما للنزاع تقرر وضع قاعدة للسير بموجبها . وهذه القاعدة هى التأكد من أن كاتب هذا السفر هو أحد الرسل أو ممن كانت له صلة مباشرة بواحد من الرسل . وكانت رسالة العبرانيين فى ذلك الوقت معروفة ومحبوبة من الكنيسة كلها وأحس معظم الناس بإحساس أوريجانوس بأن الله وحده هو العارف باسم كاتبها لكنهم كانوا يقرأونها ويحبونها ويحسون بالحاجة إليها لذلك لم يكن أمام الكنيسة إلا أمر واحد . كان لا بد من ضمها إلى أسفار العهد الجديد ولم يكن أمامهم إلا سبيل واحد هو وضعها جنباً إلى جنب مع رسائل بولس وقد اشتهر بكتابة الرسائل . وهكذا كسبت رسالة العبرانيين طريقها إلى العهد الجديد على أساس مكانتها العظمى . وعرف الناس جيد المعرفة أن الأسلوب ليس أسلوب بولس وأن مجرى الفكر ليس شبيهاً بفكر بولس وإن كان المتواتر على ألسنة البعض أن بولس كاتبها . المهم أن هذه الرسالة العظيمة أخذت مكانتها الجديرة بها بين أسفار العهد الجديد .

ولا يزال السؤال الحائر على ألسنة الناس ! من يكون إذن الكاتب لرسالة العبرانيين ؟ إن أشخاصاً كثيرين رشحوا لكتابة هذه الرسالة ، ونستطيع فقط أن نذكر ثلاثة من هؤلاء المرشحين .

(ا) ظن ترتليان أن برنابا هو الكاتب لرسالة العبرانيين . كان برنابا مواطناً قبرصياً . وذاع صيت القبارصة باتقانهم للغة اليونانية التى كانوا يتكلمون بها ، والرسالة إلى العبرانيين مكتوبة بأعظم أسلوب لغوى فى العهد الجديد . وكان برنابا لاوياً (أعمال ٤ : ٣٦) وبين جميع رجال العهد الجديد كان برنابا أقدرهم فى معرفته الدقيقة بنظام الكهنوت والذبائح وهو النظام الذى بنيت عليه الرسالة إلى العبرانيين . وكان برنابا يدعى ابن الوعظ . كما أن الرسالة إلى العبرانيين أعطاها كاتبها اسم « كلمة الوعظ » (١٣ : ٢٢) وكان برنابا واحداً من الرجال القلائل الذين كانوا مقبولين عند اليهود واليونانيين كما إنه كان على اتصال وثيق بعالمى الفكر اليهودى واليونانى . ويحتمل أن يكون برنابا قد كتب هذه الرسالة . ولو كان هو الكاتب لكان أمراً غريباً أن لا يكون اسمه مرتبطاً بها .

(ب) وقال لوثر بصيغة التأكيد إن أبلوس هو الذى كتب الرسالة إلى العبرانيين . وأبلوس — بحسب ما جاء عنه فى العهد الجديد — كان يهودياً إسكندرى الجنس فصيحاً مقتدراً فى الكتب المقدسة . ولا بد أن يكون فصيحاً مثل أعلام الإسكندرية ولا بد له أن يفكر ويجادل كما يفكر ويجادل المثقفون الإسكندريون وبكل تأكيد كان الرجل الذى كتب الرسالة إلى العبرانيين من طراز أبلوس فى الفكر والثقافة .

(ج) ولكن أكثر الآراء إمعاناً فى الخيال هو رأى « هارنلك » اللاهوتى الألمانى الكبير فقد زعم هذا الرجل أنه قد يكون أكيلا وبريسكلا من بين الأشخاص الذين كتبوا الرسالة إلى العبرانيين . وكان أكيلا معلماً (أعمال ١٨ : ٢٦) وكان بيتهما فى روما كنيسة (رومية ١٦ : ٥) وقد خلا مطلع الرسالة من التحيات واختفى اسم الكاتب لأن الكاتب الأصلى للرسالة كان إمرأة ولم يكن مسموحاً للمرأة أن تعلم ولذلك آثرت أن يكون إسمها مختفياً . هكذا يقول صاحب الرأى . وعندما نأتى إلى نهاية التخمينات لا نقدر إلا أن نقول مثلما قال أوريجانوس منذ ألف وسبعمائة عام إن الله وحده هو الذى يعرف كاتب الرسالة إلى العبرانيين . وبالنسبة لنا سيبقى هذا الرجل صوتاً وليس أكثر من صوت ولكننا مدينون بالشكر لله لأجل عمل هذا الرجل العظيم المجهول الإسم الذى كتب بجمال وإتقان لا مثيل لهما عن يسوع الذى كان بالنسبة له ــ وبالنسبة لنا نحن أيضاً ــ الطريق إلى الحقيقة والطريق إلى الله .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلْأَوَّلُ

نهاية الإعلانات المجزّأة

« اللهُ بَعْدَ مَا كَلَّمَ ٱلآبَاءَ بِٱلْأَنبِيَاءِ قَدِيماً بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ كَلَّمَنَا فِي هٰذِهِ ٱلْأَيَّامِ ٱلْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ ٱلَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ ٱلَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ ٱلْعَالَمِينَ ٱلَّذِي وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ وَحَامِلٌ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا جَلَسَ فِي يَمِينِ ٱلْعَظَمَةِ فِي ٱلْأَعَالِي » .

(عبرانيين ١ : ١ – ٣)

يمتاز أسلوب هذه الآيات فى أصلها اليونانى بأنه أبلغ وأفخم ما كتب فى كل العهد الجديد . ويتمنى أى خطيب فى بلاد اليونان لو إنه استطاع أن يكتب بمثل هذا الأسلوب فى جزالته . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين حشد كل ما استطاعت مرونة اللغة اليونانية أن تقدمه من لفظ جميل وسجع بديع . أحس هذا الكاتب أن من واجبه – وقد أقدم على الكتابة عن إعلان الله النهائى للناس – أن يلبس أفكاره رداء من أجمل أسلوب فى ميسوره أن يجده . لأن من حق الفكر العظيم أن يتزين بأسلوب عظيم . ويبدو لنا أن الكاتب الذى كتب هذه الرسالة لا بد له أن يكون قد تدرب على فنون الخطابة اليونانية . وعندما اعتنق الدين المسيحى لم يلق بهذه الفنون جانباً لكنه

استخدم هذه المواهب فى خدمة سيده يسوع المسيح . ويعرف كل واحد منا تلك الأسطورة عن البهلوان الذى صار فيما بعد راهباً . وشعر فى قرارة نفسه أنه لا يملك شيئاً يقدمه للعذراء . وفى ذات يوم رآه أحدهم يقترب من تمثال العذراء وتردد برهة ثم أخذ يقوم بألعاب بهلوانية أمام التمثال . وبعد أن انتهى من ألعابه سجد فى وقار للعذراء . وتقول الأسطورة إن تمثال العذراءدبت فيه الحياة فتحرك من مكانه وانحنى برفق على الرجل يجفف العرق الذى تصبب على جبينه بعد أن قدم له أفضل ما لديه . وعندما يصير الإنسان مسيحياً لا يحتاج إلى طرح كل الوزنات والمواهب التى كانت له قبل الإيمان . بل عليه أن يستثمرها فى خدمة يسوع المسيح وامتداد كنيسته .

إن الفكرة الأساسية فى كل الرسالة هى أن يسوع المسيح وحده يأتى إلى الناس بالإعلان الكامل والنهائى عن الله وهو وحده الذى يمكنه أن يقود الناس للدخول إلى محضر الله . ولأجل ذلك يبدأ الكاتب رسالته بذكر البوق التاسع بين يسوع المسيح وبين الأنبياء الذين جاءوا قبله . وهو يحدثنا عن يسوع الذى كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة . فما هو المقصود بالأيام الأخيرة ؟ إن اليهود قسموا الزمن كله إلى عصرين هما : العصر الحاضر والعصر الآتى . وبين هذين العصرين توقعوا مجئ يوم الرب . وكان العصر الحاضر فى رأيهم بشرياً كله وشراً كله . أما العصر الآتى فسيكون عصر الله الذهبى . أما يوم الرب فهو الذى يتوسط بين العصرين ويكون بمثابة آلام المخاض لولادة عصر جديد . وهكذا يقول لنا الكاتب إن العصر القديم الذى يتسم بالعجز والنقص آخذ فى الزوال وإن شمسه تميل إلى المغيب لأنه عصر الإنسان وهو يتلمس الحقائق ويهيم فى وادى الحدس والتخمين . أما العصر الجديد — عصر الله — فقد أشرقت أنواره بمجئ المسيح . رأى الكاتب أن أفكار الناس وتطلعاتهم كما لو كانت تدخل إلى بذاءة جديدة مع يسوع المسيح . وفى

يسوع دخل الله إلى البشر واقتربت الأبدية من الزمن ، ولن تكون الأشياء فى نفس صورتها القديمة مرة ثانية .

ويرى الكاتب أن يبدأ بالمفاضلة بين يسوع والأنبياء . لأن الاعتقاد السائد على مر العصور أن الأنبياء كان مباحاً لهم الدخول إلى أسرار الله . . وقديماً قال عاموس النبى « إن السيد الرب لا يضع أمراً إلا وهو يعلن سره لعبيده الأنبياء » (عاموس ٣ : ٧) وقال « فيلو » إن النبى يترجم للناس أفكار الله الذى يحل فيه . وقال أيضاً إن الأنبياء يفسرون أقوال الله الذى يستخدمهم كآلات لإعلان إرادته للناس . ولكن فيما بعد أصبح الاعتقاد بوحى الأنبياء يتخذ شكلاً آلياً ميكانيكياً . فكان أثينا غورس يقول إن الله كان يحرك أفواه الأنبياء كما يلعب الموسيقار على آلته الموسيقية ، وإن الروح القدس ينفخ فيهم كما ينفخ صاحب المزمار على مزماره . وكان « جستن مارتر » يقول إن الله ينزل من السماء فيمر على أفواه الأنبياء كما تمر ريشة العزف على أوتار القيثارة . ثم تمادى الناس فى هذا الاعتقاد فقالوا إنه لا فضل للأنبياء فى أداء الرسالة كما أنه لا فضل للآلة الموسيقية على أداء اللحن الموسيقى أو القلم على الكتابة ولكن حتى إذا جاز هذا التشبيه فإن الموسيقار البارع يكون إلى حد ما تحت رحمة الآلة الموسيقية التى يعزف عليها ولا يستطيع أن يخرج لحناً متقناً إذا كانت بعض مفاتيح المعزف ناقصة أو غير « موزونة » وكذلك فان الكاتب الماهر يكون إلى حد ما تحت رحمة القلم الذى يكتب به . إن الله لا يعلن للأنبياء إلا ما يستطيعون فهمه ولو فهماً جزئياً . إن إعلان الله يأتى عن طريق عقول وقلوب الناس . وهذا بالضبط ما رآه كاتب الرسالة إلى العبرانيين . وهو يقول إن الحق الإلهى الذى أعلنه الله بواسطة الأنبياء جاء بطرق وأنواع كثيرة . ولهذه العبارة معنيان .

١ — إن الأنبياء كان لهم من الجلال والسمو بحيث تركوا تأثيراً مهيباً

فى نفوس الأتقياء المتطلعين لمعرفة إرادة الله . ومن عصر إلى عصر تكلم الأنبياء فكانت رسالتهم مطابقة تماماً للعصر الذى يعيشون فيه . فلم تكن أبداً شيئاً جامداً أو قديماً بالياً . ولم تكن أبداً بعيدة عن ظروف الناس أو غير ملائمة لأحوالهم لكنها كانت تمس شغاف القلوب لأنها كانت تلمس حاجة كل عصر .

٢ — ولكننا نرى فى نفس الوقت أن ذلك الإعلان كان إعلاناً جزئياً . وكان من اللازم أن يبلغ إلى الناس فى خدود الزمن الذى كانوا يعيشون فيه . وبحيث يكون فى متناول الناس أن يفهموه . ولذلك كان يأتى الإعلان الإلهى على أجزاء متناثرة . ومن ألذ الأمور أن نلاحظ كيف كان الأنبياء مختصين بفكرة واحدة تسيطر عليهم وتشغل أذهانهم فمثلاً كان عاموس صرخة مدوية فى سبيل العدالة الاجتماعية . وأمسكت بأشعياء فكرة قداسة الله . وهوشع النبى بسبب اختباره العائلى المرير متيقن من عجائب محبة الله الغافرة . وهكذا كان كل نبى من صميم اختباره فى الحياة ومن واقع اختبار إسرائيل يدرك ويعبر عن جزء واحد فقط من الحق الإلهى ولم يكن ميسوراً لنبى من الأنبياء أن يحيط إحاطة تامة بكل جوانب الحق الإلهى ولكن مع يسوع كان الأمر مختلفاً كل الاختلاف . ولم يكن يسوع جانباً من جوانب الحق بل كان الحق كله . ولم يكن إعلاناً جزئياً عن الله بل كان الإعلان الإلهى الكامل . وفى يسوع لم يبين الله للناس وجهاً واحداً من وجوه الحق لكنه بين ذاته تبيناً كاملا للناس . وفضلا عن ذلك فإن الأنبياء استعملوا ألسنتهم وعندما كانت تعجز ألسنتهم عن التعبير كانوا يستعينون بالأدوار التمثيلية (كما فى ملوك الأول ١١ : ٢٩ — ٣٢ ، إرميا ١٣ : ١ — ٩ ، ٢٧ : ١ — ٧ ، حزقيال ٤ : ١ — ٣ ، ٥ : ١ — ٤) . كان لزاماً على النبى أن يستخدم وسائل بشرية لينقل إلى الناس الجانب الذى أعلن له من الحق الإلهى . وفى هذا أيضاً كان

الأمر يختلف مع يسوع كل الاختلاف . إن يسوع قد أعلن الله للناس فى شخصه . فلم يكن فقط فيما نطق به من أقوال أو فيما قام به من فعال ولكن فيما كان عليه فى ذاته وصفاته . إن إعلان الأنبياء كان عظيما لكنه جاء على أجزاء متفرقة واستعانوا بالوسائل التى حسبوها مؤثرة وفعالة . لكن إعلان الله فى يسوع كان كاملا ونهائياً . وقدم للناس فى شخص يسوع نفسه . وفى كلمة واحدة نقول إن الأنبياء كانوا أصدقاء الله أما يسوع فكان ابن الله . الأنبياء أدركوا جانباً واحداً من عقل الله أما يسوع فكان هو عقل الله . ومما هو جدير بالملاحظة أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لم يخطر بباله إطلاقاً أن ينتقص من قدر الأنبياء . ولكن كان هدفه تعظيم مقام المسيح . ولا يقول هذا الكاتب إن هناك فترة توقف بين إعلان العهد القديم وإعلان العهد الجديد . إنه يريد أن يؤكد أن هناك فكراً متصلا ومستمراً يصل أخيراً إلى الإعلان النهائى والكامل فى شخص يسوع المسيح .

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يرسم لنا بقلمه صورتين يصف بهما شخص المسيح فهو يقول إنه بهاء مجد الله . دعونا نقف قليلا أمام هذا البهاء . إن البهاء قد يحمل معنى من معنيين فى اللغة اليونانية فقد يفيد الضياء الساطع أو قد يفيد النور المنعكس .

وهذا هو معنى بهاء مجد الله . إن يسوع هو إنارة مجد الله بين الناس .

وهو يقول أيضاً إنه رسم جوهر الله أى أنه ذات الله وفى اللغة اليونانية نجد لكلمة « رسم » معنيين أيضاً . المعنى الأول هو الختم والمعنى الثانى هو العلامة أو الأثر الذى يتركه الختم على الشمع . والأثر هو ذات الصورة للختم . هو صورة طبق الأصل للختم فى كل تفصيلاته . وهكذا عندما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يسوع هو رسم جوهر الله يقصد أن يقول إن يسوع هو الصورة الكاملة لله . ومثلما تنظر إلى الأثر الذى يتركه الختم فترى الختم

ذاته بكل دقائقه وتفاصيله ، هكذا عندما تنظر إلى يسوع ترى فيه الله ذاته . إن يسوع ليس إعلاناً مجزأ أو ناقصاً . هو التعبير الكامل والدقيق عن الله .

ولقد قال أحد أعلام اللاهوت وهو « فوجان » إن هذه العبارة التى يفتتح بها الكاتب رسالته إلى العبرانيين تتحدث إلينا فى ستة أشياء عظيمة عن يسوع المسيح .

١ — إن مجد الله الفعلى والأصلى منسوب ليسوع . فهو بهاء مجد الله . ونحن هنا أمام فكر عجيب . إن يسوع هو بهاء مجد الله وإذن فنحن نرى بوضوح مذهل أن مجد الله لا ينطوى على سحق الناس والاستبداد بهم وتحويلهم إلى عبيد أذلاء لكنه يظهر متألقاً فى خدمة الناس وفى محبة الناس وأخيراً فى الموت لأجل الناس ، إن مجد الله ليس مجد القوة الساحقة والمحطمة لكنه مجد المحبة الخادمة والمتألمة .

٢ — إن العالم كله من حق يسوع أن يسود عليه . إن كتاب العهد الجديد لم يتطرق إليهم الشك لحظة واحدة فى النصرة النهائية ليسوع وهذا أمر يستحق التفكير والتأمل . كانوا يرون أن النصر الأخير معقود براية المسيح ذلك النجار الجليلى الذى رفع على صليب كمجرم فوق رابية خارج مدينة أورشليم . وهم أنفسهم واجهوا الاضطهاد الوحشى وكانوا أكثر الناس احتقاراً . قال فيهم « السير وليم واطسن »

قدم ذلك القطيع الرابض اللاهث

طعاماً إلى كراهة الذئب الجائع المفترس

وكانت كل جريمتهم « المسيح » . ومع كل ذلك فلم يشكوا أبداً فى الانتصار النهائى للمسيح . كانوا على يقين تام أن محبة الله كانت تسندها قوة الله وإنه فى النهاية سوف تصير ممالك العالم للرب ولمسيحه . ونحن نحسن صنعاً

عندما نتمسك بتفاؤل الكنيسة الأولى . ذلك التفاؤل الذى كان يتحدى الحقائق الملموسة .

٣ – إن خلق العالم منسوب إلى يسوع . كانت الكنيسة الأولى تعتقد إعتقاداً جازماً أن الإبن هو الذى خلق العالم ، وأن الله بكيفية ما خلق العالم بواسطة الإبن . كانوا ممتلئين بهذا الفكر أن الذى خلق العالم هو الذى سيعيد خلق العالم من جديد . وأن الذى أوكل إليه أن يصنع العالم هو ذاته الذى سيفدى العالم أيضاً .

٤ – إن القوة الحافظة للعالم تنسب إلى يسوع . فهو يحمل كل الأشياء ويتقدم بها إلى الأمام بكلمة قدرته . أو بعبارة أخرى إن أولئك المسيحيين الأوائل كانوا شديدى التمسك بعقيدة العناية الإلهية . فلم يقولوا إن الله خلق العالم ثم تركه إلى نفسه تحركه العوامل الطبيعية إلى غير هدف لكنهم بكيفية ما رأوا فى الحياة وفى العالم قوة تحمل العالم وتحمل كل حياة إلى هدف مرسوم وإلى نهاية مصيرية . كان إيمانهم أن لا شئ يسير على قدميه بدون هدف . وإنه لن تفقد حياة واحدة ولا تترك للضياع كنفاية ، إذ أن الله صنع كل شئ كاملاً ومستقيما .

٥ – إن العمل الفدائى منسوب للمسيح . فلقد صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا . وهو بذبيحته قد دفع ثمن الخطية وبحضوره المتواصل يحرر الناس من الخطية .

٦ – إن الجلوس فى يمين العظمة كوسيط لنا – هذا أيضاً منسوب إلى يسوع . لقد أخذ مكانه اللائق به عن يمين العظمة فى الأعالى . لكن الفكر العظيم عند كاتب الرسالة إلى العبرانيين هو أن يسوع هناك ، ليس كقاض علينا ولكن كشفيع لنا . ولذلك فاننا عندما ندخل إلى محضر الله لا ندخل

لكى نسمع عدل الله ضدنا ولكن لكى نسمع محبة الله متشفع لأجلنا .

أعظم من الملائكة

«صَائراً أَعْظَمَ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ ٱسْماً أَفْضَلَ مِنْهُمْ .

لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ أَنْتَ ٱبْنِي أَنَا ٱلْيَوْمَ وَلَدْتُكَ . وَأَيْضاً أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ٱبْناً وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ ٱلْبِكْرَ إِلَى ٱلْعَالَمِ يَقُولُ وَلِتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ ٱللهِ . وَعَنِ ٱلْمَلاَئِكَةِ يَقُولُ ٱلصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحاً وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ . وَأَمَّا عَنِ ٱلاَبْنِ كُرْسِيُّكَ يَاأَللهُ إِلَى دَهْرِ ٱلدُّهُورِ. قَضِيبُ ٱسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ . أَحْبَبْتَ ٱلْبِرَّ وَٱبْغَضْتَ ٱلإِثْمَ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ مَسَحَكَ ٱللهُ إِلٰهُكَ بِزَيْتِ ٱلاَبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ . وَأَنْتَ يَارَبُّ فِي ٱلْبَدْءِ أَسَّسْتَ ٱلأَرْضَ وَٱلسَّمٰوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ . هِيَ تَبِيدُ وَلٰكِنْ أَنْتَ تَبْقَى وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى وَكَرِدَاءٍ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّرُ وَلٰكِنْ أَنْتَ أَنْتَ وَسِنُوكَ لَنْ تَفْنَى . ثُمَّ لِمَنْ مِنَ ٱلْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ ٱجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ

أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحاً خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ ٱلْعَتِيدِينَ أَنْ يرِثُوا ٱلْخَلَاصَ » .

(عبرانيين ١ : ٤ – ١٤)

ذكر الكاتب فى الفصل السابق أن يسوع أعظم من الأنبياء الذين جاءوا قبله ونراه الآن مهتما بذكر أفضلية المسيح على الملائكة . ولايرى الكاتب لزاماً عليه أن يفعل ذلك نظراً للمكانة الكبيرة التى كان يعطيها يهود عصره للملائكة . كان الاعتقاد عن الملائكة فى ذلك العصر يزداد تغلغلا فى أفكار الناس . كانوا يزعمون أن الله أعلى وأسمى من أن يقترب إليه البشر ويلتمسوا عونه لهم . وشعروا بالمسافة الشاسعة والفرق الكبير بين الله والناس . وأحسوا أن الله على مر الأيام يزداد بعداً عنهم فهو أكبر من أن يعرفه الناس وأبعد من أن يصلوا إليه وكانت النتيجة أنهم اتخذوا الملائكة وسطاء بين الله والناس وخامرهم الإحساس بأن الله البعيد كل البعد عن الناس لا يمكنه أن يكلم الناس بطريق مباشر كما إنه ليس فى ميسور الإنسان أن يتحدث إلى الله ولذلك ابتدأوا يعتقدون أن الملائكة هم الذين يقفون فى الثغرة بين الله والناس وهم حلقة الاتصال بين الله والناس ، وأن الله يتكلم إلى الإنسان عن طريق الملائكة كما اعتقدوا كذلك أن جانباً من واجبات الملائكة أن يحملوا صلوات الناس إلى محضر الله . ونرى مثالا لذلك فى ناموس موسى فى العهد القديم فإن الله أعطى الناموس مباشرة إلى موسى ولم يكن هناك حاجة إلى قيام وسيط بين الله والإنسان . لم يكن هناك طرف ثالث يكون بمثابة حلقة اتصال بين الله والإنسان بل كان الإتصال مباشراً . ولكن اليهود فى أزمنة العهد الجديد اعتقدوا أن الله سلم الناموس أولا للملائكة وأن الملائكة سلموه بدورهم إلى موسى لأن الاتصال المباشر بين الله والناموس كان – بحسب زعمهم – أبعد من أن يقبله العقل (أنظر أعمال ٧ : ٥٣ ، غلاطية٣ : ١٩) .

وإذ نرجع إلى العقائد اليهودية الأساسية عن الملائكة نرى أنها تعود إلى الظهور فى هذا الفصل الكتابى . إن الله يحيط به ربوات من الملائكة (اشيعاء ٦ : ١ ، ملوك الأول ٢٢ : ١٩) وأحيانا يعتقد اليهود أن الملائكة هم جيش الله (يشوع ٥ : ١٤) وفى كلتا اللغتين اليونانية والعبرية يستفاد من كلمة الملاك أنه مرسل . إن الملائكة هم فى الحقيقة الكائنات المكلفة بتنفيذ كلمة الله وإتمام مشيئة الله فى عالم الناس . إنهم كما لوكانوا ضباط إتصال بين الله والناس . وكان الاعتقاد السائد أن الملائكة هم أرواح مخلوقة أثيرية نارية مثل النور الملتهب وقد خلقوا إما فى اليوم الثانى أو اليوم الخامس للخليقة وهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناسلون وكانوا يعتقدون أحيانا أنهم خالدون وإن كان الله فى ميسوره أن يفنيهم من الوجود فى لحظة . ولكن كان هناك إعتقاد آخر بشأن وجودهم كما سنرى فيما بعد . وبعض هؤلاء الملائكة كالسرافيم والكاروبيم والأوفانيم كانوا يحيطون دائماًبعرش الله — وكانوا —حسب إعتقادهم — أكثر معرفة من الناس وعلى الأخص أكثر دراية بالمستقبل : ولم يملكوا هذه المعرفة تلقائياً ولكن بسبب ما كانوا يسمعونه وهم من وراء الحجاب . ويكاد يبلغ بهم الاعتقاد أن الملائكة يتنصتون إلى مقاصد وخطط الله . وكانوا يعتقدون أن الملائكة هم مجلس الشيوخ بالنسبة لله وهم أهل مشورته وإن الله لم يعمل شيئاً إلا إذا إستشار الملائكة . فمثلا عندما قال الله نضع الإنسان (تكوين ١ : ٢٦) كان يوجه كلامه إلى مجلس الملائكة وأحيانا كان الملائكة يحتجون على الله ويعارضون أعماله وبنوع خاص أبدوا اعتراضا على الله عند خلقه الإنسان وفى ذلك أفنى الله عدداً كبيراً منهم . واعترضوا كذلك على إعطاء الشريعة لموسى وهاجموا موسى وهو صاعد فى طريقه إلى جبل سيناء . ويرجع كل ذلك إلى حسدهم فلم يرغبوا أن يشاركهمأحد من البشر فى مكانتهم ومزاياهم .

وكان عددهم يربو على الملايين . ولم يعين اليهود أسماء للملائكة إلا من وقت قريب وكانوا فى بادىء الأمر بلا أسماء ومجهولى الشخصية ولكنهم أخيراً أعطوهم أسماء وعلى الأخص الملائكة السبعة وهم ملائكة الحضرة الالهية الذين كانوا رؤساء ملائكة . ومن أبرز هؤلاء الرؤساء روفائيل ، وأوريل ، وفنوئيل ، وجبرائيل الذى كلفه الله بحمل رسائله إلى الناس ، وميخائيل الذى كان عليه رعاية مصائر إسرائيل . وكان للملائكة واجبات كثيرة . فكان عليهم أن يبلغوا رسائل الله للناس وفى هذه الحالة كانوا يأخذون الرسالة ويسلمونها إلى صاحبها ثم يختفون عن الأنظار (قضاة ١٣ : ٢١) وكانوا يتدخلون بالنيابة عن الله فى أحداث التاريخ (ملوك الثانى ١٣ : ٣٥ ، ٣٦) وكان عدد الملائكة المنوطين بضبط سير النجوم وحفظها فى مسالكها مائتى ملاكا . وكان ملاك مكلف بضبط تعاقب السنين والشهور والأيام . وكان للبحار ملاك قوى . كما كانت ملائكة للصقيع ، وللندى ، وللمطر ، وللثلج ، وللبرد ، وللرعد والبرق كما كانت ملائكة لحراسة جهنم وتعذيب الهالكين . وكان هناك الملائكة المسجلون الذين يكتبون فى أسفارهم كل كلمة ينطق بها أى إنسان فى الوجود . وكانت أيضاً ملائكة للهلاك وعقاب الأشرار . وكان هناك الشيطان الملاك المشتكى الذى يقدم شكايات لله ضد الناس مدة ٣٦٤ يوما فى السنة ولا يتوقف عن الشكاوى إلا فى يوم الكفارة العظيم . وكان هناك ملاك الموت الذى يخرج بأمر الله ويدعو الناس من أخيار وأشرار على حد سواء . وكان لكل أمة ملاكها الحارس والذى له حق الرياسة على هذه الأمة . كما كان لكل فرد ملاكه الحارس . وحتى الأطفال الصغار كانت لهم ملائكتهم (متى ١٨ : ١٠) لقد كان عدد الملائكة يفوق الحصر والعد لدرجة أن معلمى اليهود كانوا يقولون « إن لكل ورقة من أوراق الأعشاب ملاكها الخاص بها » .

وكان عند بعض أئمة اليهود إعتقاد أشير إليه اشارة ضمنية فى هذا الفصل الذى ندرسه الآن . كان الاعتقاد العام أن الملائكة خالدون . ولكن ذهب بعضهم إلى اعتقاد يختلف تماما عن الاعتقاد السائد فقالوا إن الملائكة يعيشون يوما واحدا فقط . وكان من رأى بعض المدارس اليهودية أن الله يخلق جماعة جديدة من الملائكة ينشدون نشيدا واحدا قدامه ثم يرحلون . وقالوا أيضاً إن الملائكة يجددون كل صباح وبعد أن يقوموا بواجب التسبيح لله يعودون إلى لهيب النار التى جاءوا منها . ويتكلم سفر سدراس الرابع (١١:٨) فيقول « إن جنود السماء تقف أمام حضرتك فى خشوع وارتعاد وعند كلمتك يتحولون إلى رياح جارفة ونار ملتهبة » . وهذا ما يقصده كاتب الرسالة إلى العبرانيين بقوله عن الله « الجاعل ملائكته رياحا وخدامه لهيب نار » .

ومع هذه الأراء المتشعبة عن الملائكة كان يحدق بهم خطر عظيم من أن الملائكة يتحولون فى عقيدة الناس إلى وسطاء بين الله والناس .

وكان من الضرورة القصوى أن يريهم كاتب الرسالة أن ابن الله أعظم بما لا يقاس من الملائكة وأن من عرف الابن ليس فى حاجة ليتوسط الملائكة بينه وبين الله . إن كاتب الرسالة يتخير لذلك مجموعة قوية من الآيات الكتابية لكى يثبت لقارئيه أن الابن قد أعطى مكانة كبرى لم تعط لأى ملاك . أما الآيات التى يقتبسها فقد وردت فى مزمور ٢ : ٧ ، صموئيل الثانى ٧ : ١٤ ، مزمور ٩٧ : ٧ ، تثنية ٣٢ : ٤٣ ، مزمور ١٠٤ : ٤ ، مزمور ٤٥ : ٧ ، ٨ ، مزمور ١٠٢ : ٢٦ ، ٢٧ ، مزمور ١١٠ : ١ .

وبعض هذه الآيات يختلف قليلا عن آيات الكتاب المقدس الذى بين أيدينا ويرجع السبب فى هذا الاختلاف اللفظى إلى أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقتبس من الترجمة السبعينية التى تختلف فى ألفاظها قليلا عن الأصل العبرى الذى ترجم منه الكتاب المقدس .

وقد يبدو للبعض منا أن فى اقتباس بعض هذه الآيات شيئاً من الغرابة . فمثلا الآية المأخوذة من صموئيل الثانى ٧ : ١٤ هى فى أصلها إشارة مباشرة إلى سليمان لا إلى المسيا أو الابن . كذلك الآية التى جاءت فى مزمور ١٠٢ : ٢٦ ، ٢٧ هى إشارة واضحة إلى الله لا إلى الإبن . ولكن حينما وجد المسيحيون الأوائل كلمة الابن أو الرب رأوا بالهام الروح القدس أن المقصود بهما شخص يسوع .

وكان هناك خطر شديد محدق بالإخوة ولذلك لم يأل الكاتب جهداً فى أن يبعده عن قارئيه . إن العقيدة بوجود الملائكة عقيدة صحيحة وجميلة ولكن الخطر يكمن من وراء هذه العقيدة . إن التمادى فى الاعتقاد بالملائكة يوجد سلسلة من الكائنات – بخلاف يسوع – بواسطتها يقترب الناس إلى الله . وهذا ما نراه واضحاً فى المعتقد اليهودى الذى يقول إن الملائكة جاءوا برسائل الله إلى الناس وإنهم حملوا صلوات الناس إلى الله . وأما فى المسيحية فلا حاجة لنا إطلاقا أن يتوسط ملاك بيننا وبين الله . وبفضل يسوع وما عمله يسوع لأجلنا نستطيع أن نقترب مباشرة إلى الله . كما عبر عن ذلك الشاعر العظيم تينسون .

« تكلم إليه فهو يصغى إلى كلامك
والروح بالروح تتلاقى
هو أكثر التصاقا بك من أنفاسك
وهو أقرب إليك من يديك وقدميك »

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين قد أمسك بالحق العظيم الذى يجب علينا أن نذكره دائما – هذا الحق هو إننا لسنا فى حاجة إلى إنسان من الناس ولا إلى كائن من الكائنات الخارقة للطبيعة لكى يقربنا إلى محضر الله . إن يسوع المسيح قد كسر كل الحواجز وفتح لنا الطريق المباشر إلى الله .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلثَّانِي

الخلاص الذى لايجرؤ على إهماله

«لِذٰلِكَ يَجِبُ أَنْ نَتَنَبَّهَ أَكْثَرَ إِلَى مَا سَمِعْنَا لِئَلاَّنَفُوتَهُ. لِأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ ٱلْكَلِمَةُ ٱلَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ صَارَتْ ثَابِتَةً وَكُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصاً هٰذَا مِقْدَارُهُ قَدِ ٱبْتَدَأَ ٱلرَّبُّ بِٱلتَّكَلُّمِ بِهِ ثُمَّ تَثَبَّتَ لَنَا مِنَ ٱلَّذِينَ سَمِعُوا شَاهِداً ٱللهُ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَقُوَّاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ حَسَبَ إِرَادَتِهِ» .

(عبرانيين ٢ : ١ – ٤)

يناقش الكاتب موضوعين ويبدأ بالموضوع الأقل أهمية ثم يخرج منه لكى يصل إلى الموضوع الأكثر خطورة . ويضع أمامه فى الاعتبار نوعين من الإعلان الإلهى . النوع الأول كان إعلان الناموس الذى جاء بواسطة الملائكة — أعنى به الوصايا العشر . وكان أى كسر لذلك الناموس أو أى عصيان لإحدى وصاياه يستوجب العقاب العادل الصارم . أما النوع الثانى فهو الذى جاء إلينا بواسطة يسوع المسيح ، الإبن . ولأنه جاء فى الابن وبواسطته فهو أعظم بما لايقاس من الإعلان الذى جاء على أيدى الملائكة .

ولأجل ذلك فإن أى تعد عليه ، أو رفض للإصغاء إليه لابد أن يكون عقابه أكثر شدة وأشد صرامة . فإذا كان ممنوعا على الناس أن يهملوا الوحى الذى جاء عن طريق الملائكة ، فكم يكون ممنوعا عليهم إهمال الوحى الذى جاء بواسطة ابن الله الوحيد .

والعدد الأول مع وضوحه يمكن أن يكون أكثر وضوحا من الترجمة التى بين أيدينا . ولعل أقوى ترجمة لهذا العدد هى « لذلك يجب أن نبذل أقصى جهد وأعظم نشاط لإرساء حياتنا على الحقائق التى تعلمنا هالئلا يجرف التيار سفينة حياتنا بعيداً عن الميناء فترتطم بالصخور وتغوص فى أعماق اليم » هذا العدد يرسم أمام عيوننا صورة معبرة عن سفينة تندفع بقوة إلى هلاكها لأن قبطانها ينام بينما التيار الغدار يطوح بها بعيداً عن الميناء إلى أن تلقى حتفها . والواقع إن أخطار الحياة عند أكثرنا لا تتشكل فى صورة كارثة مفاجئة تنقض علينا بقدر ما تجرفنا الخطيه إليها بطريقة أو بأخرى . وهناك العدد القليل من الناس الذين يتحولون عن الله فى لحظة قصيرة من الإصرار والعناد . ولكن أكثر الناس يبتعدون عن الله شيئاً فشيئاً وبكيفية لايكاد يلاحظها أحد . ثم يتورط هؤلاء فى موقف معين ويستيقظون فجأة فيجدون حياتهم وقد أصابها الخراب وسببوا قلوبا منكسرة لآخرين غيرهم . ونحن نحسن صنعا إذ نكون بصفة مستمرة على أقصى درجات التنبه والتيقظ ضد خطر التيارات الجارفة .

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يضع الخطايا التى يعاقب عليها الناموس تحت موضوعين رئيسين هما التعدى والعصيان . والمعنى الحرفى للتعدى هو التخطى لحد معين . وهناك حدود معينة وضعتها لنا المعرفة والضمير وإن تجاوز هذه الحدود أو تخطيها يعتبر خطية .

والمعصية — فى أصلها — كلمة لها دلالات قوية . فهى أولا تبدأبالسمع

الناقص كسمع الرجل الأصم . ثم يعتاد الإنسان على السمع الناقص حتى يكون عنده السمع المهمل . وهذا النوع من السمع يأتى بسبب عدم الانتباه أو عدم الاهتمام بما نسمع وتكون نتيجة هذا السمع المهمل إما أننا نسئ فهم ما نسمع أو نفشل فى التقاط كل مايقال لنا . وينتهى هذا النوع من السمع بعدم الرغبة فى السمع وبالعصيان لصوت الله .إن المعصية هى إغلاق الآذان بعناد وإصرار حتى لانسمع أوامر الله وتحذيراته ونصائحه ودعواته .

ويختم الكاتب هذا الفصل بثلاث طرق يعتبر فيها الإعلان المسيحى إعلانا فريداً .

١ ـ هو فريد فى أصله . فقد جاء مباشرة من كلمات يسوع نفسه . إن الرب هو أول من نطق به . وبعبارة أخرى أن الإعلان المسيحى لايحتوى على ظنون وتخمينات عن الله أو إننا نخبط فى الظلام بحثا عن الله . إن الصوت الذى يأتى إلينا فى يسوع المسيح هو صوت الله نفسه .

٢ ـ وهو فريد فى توصيله . فقد وصل إلى هؤلاء العبرانيين الذين يكتب الكاتب رسالته إليهم ـ وصل الإعلان المسيحى بواسطة أناس سمعوه شخصيا وبطريقة مباشرة من شفتى يسوع . وهذا هو الحق الصريح أن الإنسان الذى يؤتمن على توصيل الحق المسيحى إلى الآخرين هو الإنسان الذى يعرف المسيح معرفة شخصية مباشرة وليس عن طريق شخص ثان أوثالث . ونحن لا نقدر أبداً أن نعلم شيئاً لانعرفه . ونستطيع فقط أن نعلم الآخرين عن يسوع عندما نعرفه نحن معرفة شخصية .

٣ ـ وهو فريد فى تأثيره . رافقته آيات وعجائب وأعمال كثيرة تدل على قوته . حدث فى ذات يوم أن هنأ أحدهم الواعظ الكبير « توماس تشالمرز » بعد أن ألقى عظة من أقوى عظاته . فأجاب الواعظ الكبير « ولكن

ماذا تركت موعظتي من التأثير » ؟ وكما إعتاد أحد المفكرين أن يقول « إن الغاية العظمى للمسيحية هى أن تجعل الأردياء صالحين » . إن برهان المسيحية الحقة فى قدرتها على تغيير حياة الناس . إن المعجزات الروحية والأدبية للمسيحية لاتزال إلى اليوم على مسمع ومرأى من الجميع .

كيف استردّ الإنسان مصيره المفقود

« فَإِنَّهُ لِمَلاَئِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ ٱلْعَالَمَ ٱلْعَتِيدَ ٱلَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ . لٰكِنْ شَهِدَ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ قَائِلاً مَا هُوَ ٱلْإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ أَوِ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ . وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ ٱلْمَلاَئِكَةِ . بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّلْتَهُ وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ . أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ . لِأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ ٱلْكُلَّ لَهُ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ . عَلَى أَنَّنَا ٱلْآنَ لَسْنَا نَرَى ٱلْكُلَّ بَعْدُ مُخْضَعاً لَهُ . وَلٰكِنَّ ٱلَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ ٱلْمَلاَئِكَةِ يَسُوعَ نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِٱلْمَجْدِ وَٱلْكَرَامَةِ مِنْ أَجْلِ أَلَمِ ٱلْمَوْتِ لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ ٱللهِ ٱلْمَوْتَ لِأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ » .

(عبرانيين ٢ : ٥ — ٩)

ليس من السهل أن ندرك المعنى الذى ينطوى عليه هذا الفصل بأى حال من الأحوال . ولكننا عندما نتمكن من إدراكه سنجد أنه فى غاية الروعة . يبدأ الكاتب باقتباس من مزمور ٨ : ٤ — ٦ وإذا أردنا أن نفهم العبارة التى نطق بها داود على وجهها الصحيح فإنه لزام علينا أن نفهم شيئاً واحدا ألا وهو

إن المزمور الثامن كله يشير إلى الإنسان . هو المزمور الذى يتغنى بالمجد الذى منحه الله للإنسان . وليست فيه أية إشارة إلى المسيا أو يسوع على الإطلاق . ولكنه كله يشير إلى الإنسان . على أن هذا المزمور جاء به تعبير واحد من الصعب علينا فهمه . هذا التعبير هو « ابن أدم » أو « ابن الإنسان » وقد اعتدنا لدى سماعنا هذا التعبير ان نطبقه فى الحال على يسوع . ولكن اللغة العبرية لاتفرق بين الإنسان وابن الانسان . فابن الإنسان هو الإنسان . وماعلينا إلا أن نعود إلى سفر النبى حزقيال فنرى أن هذه هى الحقيقة الواضحة . إن الله يوجه الكلام إلى حزقيال باعتباره ابن الإنسان . ويذكر هذا التعبير ثمانين مرة فى سفر حزقيال وحده . فيقول له مثلا « ياابن آدم أجعل وجهك نحو أورشليم » (حزقيال ٢١ : ٢) أو « ياابن آدم تنبأ وقل . . . » (حزقيال ٣٠ : ٢) إن المعنى الاعتيادى لإبن الإنسان فى اللغة العبرية ليس شيئاً أكثر من « الإنسان » وفى المزمور المشار إليه نجد التعبيرين المتوازيين « ماهو الإنسان حتى تذكره وابن الإنسان حتى تفتقده » وكلا التعبيرين ليسا إلا طريقين للتعبير عن شىء واحد . إن المزمور كله كما سبق القول اغنية عظيمة فى تمجيد الإنسان كما أراد الله له أن يكون . وهو فى الواقع إمتداد للوعد العظيم الذى نطق به الله عند خلقه الإنسان وقال له « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض (تكوين ١ : ٢٨) .

ولكن الحقيقة المحزنة أن الإنسان الذى أراد له الله أن يكون متسلطا على كل شىء ليست له هذه السلطة اليوم . إنه مخلوق حطمته ظروفه وهزمته تجاربه وأحاطت به ضعفاته كما قال أحد كتاب الإنجليز « مهما كان أى شىء حقيقياً أو غير حقيقى فإن الحقيقة المؤكدة التى لاجدال فيها أن الإنسان ليس كما قصد له الله أن يكون » .

ثم يمضى كاتب هذه الرسالة خطوة أبعد من الخطوتين السابقتين ، ويقول إن يسوع المسيح جاء إلى هذا الموقف فتألم ومات . وكانت نتيجة آلامه وموته أنه دخل إلى المجد . وكل هذا الألم والموت والمجد كان لأجل الإنسان . إن يسوع المسيح قد مات لكى يجعل الإنسان فى المكان الذى ينبغى له أن يكون فيه . إن يسوع المسيح قد مات لكى يخلص الإنسان من هزيمته وعبوديته وضعفه ، ويرد له السيادة التى ضيعها بسبب خطيته . إن يسوع المسيح قد مات لكى يعيدخلق الإنسان حتى استطاع الإنسان أن يسترد المصير العظيم الذى فقده .

وهكذا نجد فى هذا الفصل أفكارا أساسية .

١ ـ خلق الله الإنسان ووضعه قليلا عن الملائكة ـ من حيث الزمن والرتبة ـ لكى تكون له السيادة على كل شيء .

٢ ـ إن الإنسان بسبب خطيته عانى الفشل والهزيمة بدلا من السلطة والسيادة .

٣ ـ وأخيراً جاء يسوع المسيح وتدخل فى حال الإنسان البائسة . وبفضل حياته وموته ومجده أعاد إلى الإنسان مكانته العظيمة التى ضيعها بسبب خطيته .

ويجوز لنا أن نلخص الموضوع كله بطريقة أخرى . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يرينا ثلاث حقائق .

١ ـ يرينا أولا المثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه الإنسان قريباً إلى الله وسيداً على الكون .

٢ ـ ويرينا ثانياً الحالة الفعلية التى انحدر إليها الإنسان ـ إذلال بدلا

من السيادة ، وفشل بدلا من المجد . إن الإنسان المعين من الله أن يكون ملكا قد صار عبداً ذليلا .

٣ – ثم يرينا ثالثاً كيف يمكن لهذه الحالة الفعلية أن تتغير إلى المثل الأعلى ، وكيف يمكن للانسان أن يسترد المصير العظيم الذى ضيعه . هذا التغيير قد صنعه له المسيح . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يرى فى يسوع المسيح ذلك الشخص المجيد الذى – بسبب آلامه ومجده – يستطيع أن يعيد الإنسان إلى المكانة التى قصدها له الله . وبدون يسوع المسيح لايستطيع الإنسان مهما بذل من محاولات – أن يسترد المصير العظيم الذى ضيعه بسبب خطيته .

الألم الذى لابدّ منه

«لِأَنَّهُ لَاقَ بِذَاكَ ٱلَّذِى مِنْ أَجْلِهِ ٱلْكُلُّ وَبِهِ ٱلْكُلُّ وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى ٱلْمَجْدِ أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلَاصِهِمْ بِٱلْآلَامِ . لِأَنَّ ٱلْمُقَدِّسَ وَٱلْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ فَلِهٰذَا ٱلسَّبَبِ لَا يَسْتَحِى أَنْ يَدعُوَهُمْ إِخْوَةً قَائِلاً أُخَبِّرُ بِٱسْمِكَ إِخْوَتِى وَفِى وَسَطِ ٱلْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ . وَأَيْضاً أَنَا أَكُونُ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ . وَأَيْضاً هَا أَنَا وَٱلْأَوْلَادُ ٱلَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ ٱللهُ . فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ ٱلْأَوْلَادُ فِى ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ ٱشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذٰلِكَ فِيهِمَا لِكَىْ يُبِيدَ بِٱلْمَوْتِ ذَاكَ ٱلَّذِى لَهُ سُلْطَانُ ٱلْمَوْتِ أَىْ إِبْلِيسَ وَيُعْتِقَ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَوْفاً مِنَ

ٱلْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ ٱلْعُبُودِيَّةِ . لِأَنَّهُ حَقًّا لَيْسَ يُمْسِكُ ٱلْمَلَائِكَةَ بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرٰهِيمَ مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِكَيْ يَكُونَ رَحِيماً وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِيناً فِي مَا لِلّٰهِ حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا ٱلشَّعْبِ. لِأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ ٱلْمُجَرَّبِينَ» .
(عبرانيين ٢ : ١٠ – ١٨)

يطلق كاتب الرسالة إلى العبرانيين على يسوع لقباً من الألقاب العظيمة فى هذا الفصل . إنه يدعوه « رئيس الخلاص » وهذه الكلمة ذاتها قيلت عن يسوع فى أعمال ٣ : ١٥ ، ٥ : ٣٥ وعبرانيين ١٢ : ٢ والكلمة فى أصلها « أركيجوس » تعنى الرأس أو الرئيس . فمثلا « زيوس » فى الأساطير اليونانية هو رأس الآلهة . والقائد هو رأس جيشه . وكذلك لها معنى المؤسس أو المنشئ . فتقال عن مؤسسى مدينة أو عائلة أو مدرسة فلسفية . ومعناها أيضاً مصدر أو أصل . فالحاكم الصالح يقال عنه إنه مصدر السلام . والحاكم الشرير هو مصدر الفوضى والاضطراب . فالرئيس — بحسب اللغة اليونانية — هو الشخص الذى يبدأ شيئاً مالكى يترسم الآخرون خطواته . فهو يبنى عائلة لكى يفعل الآخرون مثلما فعل . وهو ينشئ مدينة لكى يقتدى به الآخرون ويسكنوا فيها يوماً ما . ويؤسس مدرسة فلسفية لكى يقتفى الآخرون طريقه فى الحق والسلام الذى اكتشفه . فالرئيس — بوجه عام — هو المصدر للبركات أو للويلات التى يقتدى به الآخرون فيها : الرئيس هو الذى يضئ الطريق لكى يسير فيه الآخرون . وضع أحدهم هذا التشبيه فقال : لنفترض أن سفينة اصطدمت بالصخور ولنفرض أن الطريق الوحيد

للنجاة هو أن يقفز أحد الركاب ويسبح حتى يصل إلى الشاطئ وبيده حبل طويل يمده إلى الشاطئ . وبمجرد أن يمسك غيره بهذا الحبل يصل إلى الشاطئ بسلام . ويكون الرجل الأول الذى سبح إلى الشاطئ هو رائد الأمان للركاب جميعاً . وما يريد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يقوله أن يسوع هو رئيس خلاصنا . لقد كان يسوع الرائد الذى أضاء لنا الطريق إلى الله لكى نتبعه . وكما سلك ذاك هكذا يجب أن نسلك نحن .

كيف استطاع يسوع أن يصير رئيس خلاصنا ؟ .

إن الكتاب يقول إن الله كمل يسوع بواسطة الآلام . والفعل « يكمل » الذى جاء فى هذه العبارة له معنى خاص جداً . فهو لا يقصدبه الكمال الفلسفى أو العقلى أو النظرى ولكن المعنى الأساسى للكمال فى العهد الجديد هو دائماً الشخص أو الشيء الذى يستطيع أن يحقق الغرض الموضوع له على الوجه الأكمل . وإذن فما يريد كاتب الرسالة أن يقوله إنه عن طريق الألم صار يسوع مقتدرا وكفوءا ليقوم بمهمته كرئيس خلاصنا . لقد جعله الألم قادرا ليضيء طريق الخلاص للآخرين .

ولماذا كان الألم أمرا لابد منه للمسيح ؟ .

١ ــ عن طريق الألم صار يسوع مرتبطاً بالناس كواحد منهم :ويقتبس كاتب الرسالة إلى العبرانيين ثلاثة إقتباسات من العهد القديم كنبوات عن هذا الارتباط بالناس . هذه الاقتباسات هى مزمور ٢٢ : ٢٢ ، أشعياء ٨ : ٧ أو أشعياء ٨ : ١٨ ولو كان المسيح قد جاء إلى العالم فى صورة لايمكنه فيها أن يتألم لكان مختلفا كل الاختلاف عن الناس . ولو كان قد أتى إلى العالم مختلفاً عن الناس لما أمكنه أن يكون مخلصاً للناس . كما قال « جرمى تيلور »: « عندما أراد الله أن يخلص الناس فعل ذلك عن طريق

إنسان » وفى الواقع إن هذه المطابقة الفعلية للناس هى صميم جوهر الفكرة المسيحية عن الله . وعندما كان اليونان يفكرون فى آلهتهم كانوا يتصورونهم كما يصورهم « تنيسون » فى قصيدته « أكلو اللوتس » .

« إنهم يجلسون بجوار رحيقهم اللذيذ الطعم
والسحب المضيئة حول بيوتهم الذهبية
والعالم المشرق يحيط بهم كمنطقة
وهناك يبنسمون فى الخفاء
وهم يرمون بسهامهم الضحايا الساكنة فى الأودية
وينظرون إلى الأراضى المقفرة
والبؤس والمجاعات والأوبئة والزلازل
والأعماق الصاخبة والرمال المحرقة
والحروب المدمرة والمدن المحترقة
والسفن الفارغة والأيدى المرفوعة للصلاة »

إن أساس الفكرة اليونانية عن الله كان الانفصال عن الناس وعدم المبالاة بهم . أما أساس الفكرة المسيحية عن الله فهو التطابق والمماثلة للناس والاهتمام بأمرهم . وعن طريق الألم صار يسوع المسيح مشابهاً للناس وواحداً معهم .

٢ – وبواسطة هذه المشابهة صار يسوع عطوفاً على الناس شاعراً بشعورهم . ويكاد يكون فى حكم المستحيل أن نفهم أحزان وآلام شخص آخر ما لم نكن قد اختبرنا هذه الآلام من قبل واكتوينا بنارها . إن الشخص السليم الأعصاب ليست عنده فكرة عن عذاب الأعصاب المضطرمة . إن الشخص المتمتع بلياقة جسمية كاملة ليس عنده إدراك عن متاعب الشخص

الضعيف . إن الطالب المجتهد والذى يتلقن العلم بسهولة لا يستطيع أن يحس باحساس طالب آخر بطئ الفهم يجد صعوبة بالغة فى الدرس . والشخص الذى لم يحزن أبداً لا يستطيع أن يفهم أوجاع إنسان حزين وقبل أن يكون عندنا العطف على شخص ما يجب أن نجتاز كل الإختبارات التى اجتازها . وهذا بالضبط مافعله يسوع .

٣ – واستطاع يسوع بفضل عطفه أن يعين حقاً . فهو يعرف حاجتنا وهو قد التقى بأحزاننا . وهو قد واجه تجاربنا . وبسبب هذه المعرفة الاختبارية ، يعرف بالضبط أى عون نحتاج إليه . ويستطيع أن يمنحه لنا إن الحق الأسمى أن يسوع قد عاش هذه الاختبارات ولذلك يستطيع أن يقدم العون للذين يمرون بهذه الاختبارات عينها .

اَلْأَصْحَاحُ اَلثَّالِثُ

أعظم من موسى

« مِنْ ثمَّ أَيُّهَا الاخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ ٱلسَّمٰوِيَّةِ لَاحِظُوا رَسُولَ ٱعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ ٱلْمَسِيحَ يَسُوعَ حَالَ كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ كَمَا كَانَ مُوسَى أَيْضاً فِي كُلِّ بَيْتِهِ . فَإِنَّ هٰذَا قَدْ حُسِبَ أَهْلاً لِمَجْدٍ أَكْثَرَ مِنْ مُوسَى بِمِقْدَارِ مَا لِبَانِي ٱلْبَيْتِ مِنْ كَرَامَةٍ أَكْثَرَ مِنَ ٱلْبَيْتِ . لِأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا وَلٰكِنَّ بَانِيَ ٱلْكُلِّ هُوَ اللهُ . وَمُوسَى كَانَ أَمِيناً فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ . وَأَمَّا ٱلْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ . وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ ٱلرَّجَاءِ وَٱفْتِخَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى ٱلنِّهَايَةِ » .

(عبرانيين ٣ : ١ – ٦)

لنذكر ثانية الاعتقاد الجازم الذى بدأ به كاتب الرسالة إلى العبرانيين ولا يزال ملازما له . إن الأساس فى كل تفكيره هو أن الإعلان الأكمل والنهائى هو الذى أعلنه الله بواسطة يسوع المسيح وبه وحده يستطيع الإنسان أن يستمتع بالاقتراب الحقيقى من الله . وبدأ الكاتب بإقامة الدليل على أن يسوع أعظم من الأنبياء كما أن يسوع أعظم من الملائكة . ويتقدم الآن فى البرهنة على أن يسوع أعظم من موسى . وقد يبدو لنا لأول وهلة أن الكاتب

أخذ ينزل من القمة نزولا ملحوظا لأننا لانتصور أن أحداً أعظم من الملائكة فى كل الخلائق . فكيف يأتى بموسى بعد أن ذكر الملائكة . ولكن الأمر يختلف فى نظر اليهودى . فاليهودى يرى أن موسى كان ينفرد بمكانة عالية لم يصل إليها أحد فى العالمين . فهو الرجل الذى كان الله يتكلم معه كما يكلم الانسان صاحبه . وقد تلقى من يد الله مباشرة ناموسه الفعلى أى الوصايا العشر . وكان الناموس عند اليهودى أعظم شىء فى العالم كله . وكان موسى والناموس شيئاً واحدا . وظهر فى القرن الثانى للميلاد معلم يهودى يدعى « الربى جوز بن شالفشا » وكان عاكفا على تفسير هذه العبارة عن موسى الذى كان أمينا فى كل بيته فقال « إن الله يدعو موسى أمينا على كل بيته ولذلك أعطاه الله مرتبة أعلى من الملائكة أنفسهم » فمن وجهة النظر اليهودية كانت الخطوة التى وصل إليها كاتب الرسالة إلى العبرانيين خطوة منطقية وحتمية فى سير المناقشة . لقد برهن على أن يسوع أعظم من الملائكة . والآن يرى لزاما عليه أن يأتى بالبرهان على أن يسوع أعظم من موسى الذى كان فى نظر اليهود أعظم من الملائكة . وفى الواقع إن هذا الاقتباس عينه الذى يستدل به على عظمة موسى هو حجة قاطعة على المركز الفريد الذى تبوأه موسى . « وموسى كان أمينا فى كل بيته » وهذا الاقتباس مأخوذ من سفر العدد ١٢ : ٦ ، ٧ والنقطة التى تدور حولها المناقشة فى سفر العدد هى أن موسى يختلف ويمتاز عن كل الأنبياء . كان الله يعلن ذاته للأنبياء بواسطة الرؤى ولكنه كان يتكلم مع موسى « وجهاً لوجه » وكان مستحيلا على اليهودى أن يتصور أن شخصا أقرب اتصالا بالله من موسى . ومع ذلك فإن هذا بالضبط مايريد أن يبرهنه كاتب الرسالة إلى العبرانيين .

إن الكاتب يطلب من سامعيه أن يلاحظوا يسوع . وهو يستعمل هنا كلمة لها دلالة عظيمة للتعبير عن «ملاحظة يسوع» وهو لايقصد مجرد النظره العابرة أو الملاحظة السطحية لشخص ما أو لشىء ما . وكم من إنسان ينظر شيئاً

أو يلاحظه وهو فى الواقع لم يره حقيقة . إنما المقصود بالكلمة هو تثبيت النظر فى شيء ما ومداومة التفرس فيه إلى أن يدرك المعنى الداخلى لهذا الشيء أو يدرك الدرس المطلوب منه أن يتعلمه وفى لوقا ١٢ : ٢٤ يعلمنا يسوع قائلا « تأملوا الغربان » وهو لايقصد مجرد إلقاء نظرة عليها لكنه يقصد أن يقول « انظروا جيداً إلى الغربان وتعلموا الدرس الذى يريد الله أن يعلمه لكم عن طريقها » وإذا أردنا أن نتعلم الحق المسيحى ، فإن النظرة السريعة العابرة لاتكفى ، بل يجب أن نركز الإنتباه الذى نمنطق به أحقاء أذهاننا فى عزم وتصميم لنرى المعانى العميقة التى يحملها لنا الحق المسيحى بين طياته .

ويتضح السبب فى هذا التأمل العميق عندما يتحدث هذا الكاتب إلى أصدقائه باعتبار أنهم شركاء الدعوة السماوية . إن هذه الدعوة التى تقدم للمسيحى لها اتجاه مزدوج . فهى دعوة من السماء وهى دعوة إلى السماء . إنها صوت يأتينا من الله ويدعونا إلى الله ؛ إنها الدعوة التى تتطلب منا إنتباهاً مركزاً بسبب مصدرها وغايتها . وإن الإنسان لا يملك أن يعطى إنتباهاً موزعاً لدعوة من الله وإلى الله .

وعندما نثبت الأنظار فى يسوع فماذا نرى ؟ إننا نرى فى يسوع شيئين عظيمين .

١ — نراه الرسول العظيم . ولم يجرؤ أحد آخر فى العهد الجديد أن يدعو يسوع رسولا . وواضح أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين مصمم على استعمال هذا اللقب ليسوع . فماذا يقصد بهذا اللقب ؟ المعروف أن الرسول هو الشخص المرسل . واصطلح اليهود على خلع هذا اللقب على مبعوثى السنهدريم أى المحكمة العليا . وكان السنهدريم يرسل رسلاً من قبله لكى يحملوا أوامره ويقلدهم بكل سلطانه . وفى العالم اليونانى كان الرسول يدعى سفيراً وهكذا فإن يسوع أعلى سفير لله . وما هى الصفات المميزة للسفير ؟ :

(ا) السفير يتسربل بقوة وسلطان الملك أو المملكة التى ترسله . وفى إحدى المناسبات أراد ملك سوريا — أنطوخيوس أبيفانس — أن يغزو مصر . وأرادت روما أن توقفه فأرسلت إليه مبعوثاً يدعى بوبليوس ليبلغ إبيفانس بالغاء مشروع الغزو . والتقى بوبليوس به على حدود مصر وتحادث الرجلان أحاديث متصلة لمعرفة سابقة بينهما . ولم يكن مع بوبليوس جيش ولا حرس ولا أية قوة على الإطلاق . وأخيراً سأله أنطوخيوس أبيفانس عن سبب مجيئه . فأخبره بوبليوس بنغمة هادئة أنه جاء لتبليغه أن روما تريده أن يلغى مشروع الغزو . وأجاب أنطوخيوس قائلا « سأفكر فى الأمر » . وعندئذ إبتسم بوبليوس إبتسامة عابسة ثم أخذ عصاه ورسم دائرة فى الأرض حول أنطوخيوس ثم قال له « فكر فى الأمر واتخذ قراراً قبل أن تخرج من هذه الدائرة » وعندئذ فكر أنطوخيوس قليلا ثم قال « حسناً ! سأعود إلى الوطن » لم يملك بوبليوس فى نفسه قوة ما ولكن كل قوة روما كانت تقف من ورائه . ولا عجب فإن السفير يتقلد سلطان الإمبراطورية التى توفره . وعلى هذا المنوال جاء يسوع من قبل الله مؤيداً بكل قوة الله ولذلك فإن كل نعمة الله ، ورحمته ، ومحبته ، وقوته كانت فى يد سفيره أو رسوله يسوع المسيح .

(ب) إن صوت السفير هو صوت الملك أو البلاد التى أرسلته . فالسفير الإنجليزى مثلا يتكلم باسم إنجلترا إذا جاء إلى أرض غريبة . هو صوت بلاده . وهكذا جاء يسوع بصوت الله ، وفيه تكلم الله ، وفى الإصغاء إليه نسمع صوت الله .

٢ — إن يسوع هو رئيس الكهنة . وما معنى ذلك ؟ إن كاتب الرسالة

إلى العبرانيين يحمل هذه الفكرة معه ويتحدث بها مراراً كثيرة فى رسالته . وها هو الآن يضع الأساس لما يقصد أن يقوله فيما بعد . إن الأصل اللاتينى لكلمة « الكاهن » يعنى بانى القنطرة ، والكاهن هو الشخص الذى يبنى جسراً بين الإنسان والله . ولكى يقوم بعمله يلزمه أن يعرف شيئين : ينبغى أن يعرف الإنسان ويعرف الله . يلزمه أن يكون قادراً أن يتكلم إلى الله عن الناس. ويلزمه أيضاً أن يتكلم إلى الناس عن الله . ويسوع هو رئيس الكهنة الكامل فهو إنسان تام وهو إله تام . ويقدر أن يمثل الإنسان لدى الله ويقدر أيضاً أن ينوب عن الله لدى الإنسان . إن يسوع هو الشخص الوحيد الذى يأتى الإنسان بواسطته إلى الله ويأتى الله به إلى الإنسان .

أين إذن يتفوق المسيح على موسى ؟ إن الصورة فى ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين هى أنه يرى العالم كأنه بيت الله وعائلة الله . ونحن عادة نستعمل كلمة البيت فى معنى مزدوج — فنحن نستعمله بمعنى البناء — ونطلقه أيضاً على الأسرة . فنقول عن بيت بناه مهندس معمارى . ونتكلم أيضاً عن بيت هانوفر عندما نقصد العائلة . وكان أهل اليونان يستعملون هذا المعنى المزدوج للدلالة على البيت . وبهذا المعنى نقول إن العالم هو بيت الله وأن الناس هم عائلة الله . وقد بين لنا الكاتب فيما سبق أن يسوع هو الخالق لهذا الكون ولم يكن موسى إلا جزءاً فقط من عالم الله . كان كأى إنسان آخر مخلوقاً وكان يعمل فى الكون الذى خلقه المسيح . وكان موسى بهذا المعنى جزءاً من البيت . لكن يسوع هو الخالق للبيت ومن الطبيعى أن خالق البيت يكون أعظم من البيت . إن موسى لم يخلق الناموس ولم يكن إلا وسيطاً فى هذا الناموس إذ جاء على يديه . وموسى لم يخلق البيت وإنما كان مجرد خادم فيه . ولم يتكلم موسى كلمة واحدة من ذاته . وكل ما قاله موسى كان إشارة إلى الأشياء الأعظم التى كان يسوع المسيح مزمعاً أن يقولها يوماً ما . وخلاصة

القول أن موسى كان الخادم أما يسوع فكان الإبن . كان موسى يعرف نزراً يسيراً عن الله أما يسوع فكان هو الله . وهنا تبرز عظمة يسوع وسر تفوقه الفريد الذى لا يدانيه فيه أحد فى الوجود .

والآن يستخدم كاتب الرسالة إلى العبرانيين صورة أخرى . حقاً أن العالم كله هو بيت الله . ولكن الكنيسة هى بيت الله بمعنى خاص . لأن الله بمعنى خاص بنى الكنيسة وخلقها وأوجدها . وهذه صورة يحب العهد الجديد أن يظهرها دائماً (أنظر بطرس الأولى ٤ : ١٧ ، تيموثاوس الأولى ٣ : ١٥ وبالأخص بطرس الأولى ٢ : ٥) .

وهذا البناء للكنيسة سيظل قائماً لا تستطيع قوة ما أن تلاشيه من العالم طالما كان كل حجر فيه ثابتاً بمعنى أنه عندما يكون كل عضو فى هذا البناء قوياً بالرجاء الواثق الذى له فى يسوع المسيح . إن كل واحد فينا هو بمثابة حجر فى الكنيسة وإذا كان حجر واحد ضعيفاً واهناً فإن كل البناء يتعرض للخطر . إن الكنيسة تقف ثابتة كالصخر عندما يكون كل حجر حى فيها متأصلا ومؤسساً فى الإيمان بيسوع المسيح .

مادام الوقت يدعى اليوم

« لِذٰلِكَ كَمَا يَقُولُ ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ ٱلْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ كَمَا فِي ٱلإِسْخَاطِ يَوْمَ ٱلتَّجْرِبَةِ فِي ٱلْقَفْرِ حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمْ . ٱخْتَبَرُونِي وَأَبْصَرُوا أَعْمَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً . لِذٰلِكَ مَقَتُّ ذٰلِكَ ٱلْجِيلَ وَقُلْتُ إِنَّهُمْ دَائِماً يَضِلُّونَ فِي قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي . حَتَّى أَقْسَمْتُ

فِى غَضَبِى لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِى . اُنْظُرُوا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِىأَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِى ٱلاِرْتِدَادِ عَنِ ٱللهِ ٱلْحَىِ . بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ مَا دَامَ ٱلْوَقْتُ يُدْعَى ٱلْيَوْمَ لِكَىْ لاَيُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ ٱلْخَطِيَّةِ .لِأَنَّنَا قَدْ صِرْنَا شُرَكَاءَ ٱلْمَسِيحِ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبَدَاءَةِ ٱلثِّقَةِ ثَابِتَةً إِلَى ٱلنِهَايَةِ إِذْ قِيلَ ٱلْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ كَمَا فِى ٱلْإِسْخَاطِ . فَمَنْ هُمُ ٱلَّذِينَ إِذْ سَمِعُوا أَسْخَطُوا . أَلَيْسَ جَمِيعُ ٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مِصْرً بِوَاسِطَةِ مُوسَى . وَمَنْ مَقَتَ أَرْبَعِينَ سَنَةَ . أَلَيْسَ ٱلَّذِينَ أَخْطَأُوا ٱلَّذِينَ جُثَثُهُمْ سَقَطَتْ فِى ٱلْقَفْرِ . وَلِمَنْ أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوا . فَنَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ ٱلْإِيمَانِ » .

(عبرانيين ٣ : ٧ — ١٩)

كان كاتب الرسالة إلى العبرانيين يجاهد فى الفصل الماضى فى البرهنة على مكانة يسوع المسيح وتفوقه الفريد . وأما الآن فإنه ينتقل من الحجج والبراهين إلى الوعظ والتعليم . إنه يؤكد لسامعيه النتائج التى لامفر منها لهذا التفوق الفريد ، فإذا كان يسوع فائقاً تفوقاً ليس له نظير فإنه يستتبع ذلك أن نوليه ثقة مطلقة وطاعة مطلقة . وإذا كانوا يقسون قلوبهم ويرفضون أن يسمعوا صوته ويعطوه ثقتهم الكاملة فإن العواقب ستكون مريعة ومرعبة .

وإن الطريق التى يسلكها كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى ربط البرهان بالتعليم إنما هى طريق صعبة على أفهامنا حيث أنه يشير إشارة ضمنيةمزدوجة . فهو يبدأ بالاقتباس من مزمور ٩٥ : ٧ — ١١ وذلك المزمور يطلق نداء إلى السامعين أن يصغوا إلى صوت الله ولايكونوا مثل بنى إسرائيل « كما فى مريبة مثل يوم مسه فى البرية » وهو يشير بذلك إلى إلى قصتين ورد ذكرهما فى سفر الخروج ١٧ : ١ — ٧ وفى سفر العدد ٢٠ : ١ — ١٣ وكلتا القصتين تحكيان لنا أخبار ثورة جامحة فى تاريخ رحلة بنى إسرائيل فى البرية . فقد أخذ منهم العطش مأخذاً شديداً وهم فى الصحراء وفى عطشهم ثاروا على موسى وندموا على خروجهم من مصر وفقدوا ثقتهم تماما بالله وأمر الله موسى أن يكلم الصخرة فتنفجر المياه ولكن موسى فى غضبه وهياجه لم يكلم الصخرة بل ضربها وتدفق الماء وبسبب هذا التصرف الذى دل على عصيان الله وعدم الثقة فيه أعلن الله إن موسى لن يسمح له بالدخول مع الشعب إلى أرض الوعد « فأقسمت فى غضبى لن يدخلوا راحتى » وهذا معناه إنهم لن يدخلوا الأرض الموعود بها إذ كانت أرض الموعد هى مكان الراحة لأولئك القوم المتجولين فى الفيافى والقفار . وكثيراً ما كان يطلق عليها « المقر » (تثنية ١٢ : ٩) والدرس المستفاد من تلك القصة هو أن عصيان بنى إسرائيل وعدم ثقتهم بالله حرمهم من التمتع ببركات الله التى كان فى مقدورهم أن يحظوا بها إذا كانوا طائعين لله وواثقين به .

ويوجه كاتب الرسالة إلى العبرانيين حديثه إلى قارئيه فيقول لهم « أحذروا لئلا يظهر فيكم العصيان وعدم الثقة بالله مثلما ظهر فى آبائكم وتحرمون أنفسكم لهذا السبب من البركات التى يريد الله أن يمنحها لكم مثلما حرم منها آباؤكم » .

ويقول لهم أيضاً طالما كان الوقت يدعى اليوم أعطوا الله حقه فى الثقة

به والطاعة لأمره . وبديهى أن الشخص العادى يفهم من كلمة « اليوم » أنه « طالما كانت الحياة باقية » ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين : طالما كانت لكم الفرصة سانحة والحياة باقية قدموا لله ماهو جدير به من الثقة والخضوع . أعطوه الثقة والخضوع قبل أن ينتهى يومكم وقبل أن يمضى « اليوم » إلى غير رجعة . ولنا هنا بعض التحذيرات الخطيرة :

١ — إن الله يقدم للناس فرصة . ومثلما وعد بنى إسرائيل ببركات أرض الميعاد ، يقدم اليوم لكل الناس حياة فياضة بالبركات وهى حياة أفضل مما لايقاس من الحياة التى يمكن أن يحياها الناس بدون الله .

٢ — ولكن فى سبيل الحصول على بركات الله يلزم القيام بأمرين .

(ا) إن الثقة بالله لازمة ويجب أن نؤمن أن مايقوله الله وما يقدمه الله هو الحق الذى لاشك فيه . ويجب أن نؤمن أن مايقوله الله هو قادر أن يفعله وهو سيقوم به فعلا . ويلزمنا أن نؤكد لنفوسنا هذه الحقيقة أن مواعيد الله هى الحق الأكيد .

(ب) إن الطاعة لازمة . إنها لازمة كما لوقال لنا طبيب « أنا أقدر أن أعالجك إذا أطعت تعليماتى بدقة » إنها لازمة كما لو قال لنا معلم « أستطيع أن أجعلك طالباً متفوقاً إذا اتبعت برنامجى بكل إخلاص ».إنها لازمة كما لو قال مدرب لشاب رياضى «أستطيع أن أجعلك تفوز فى السباق إذا لم تحد عن القوانين التى أضعها لك» إذا كان كل مجال من مجالات النجاح فى الحياة يعتمد على طاعة أوامر الخبير فإن الله — إذا جاز لنا أن نصفه بهذا الوصف — هو الخبير بالحياة وإن السعادة الحقة فى الحياة تعتمد على الطاعة الكاملة لأوامره.

٣ ـ إن الفرصة التى يقدمها لنا الله لها حدود . هذه الحدود تنتهى بانتهاء الحياة . ونحن لا نعرف متى تنتهى حياتنا ونتكلم بسهولة ويسر عن « الغد » ولكن بالنسبة لنا فإن الغد قد لايأتى أبدا . وكل الفرصة المتاحة لنا هى « اليوم » هذه اللحظة من الزمن التى نحن فيها الآن . قال أحدهم « يجب أن نعيش كل يوم كما لو كان هذا اليوم هو نهاية الأجل » ولذلك فإن الفرصة التى يقدمها لك الله اليوم يجب أن تقبلها بلا تأجيل . ويجب أن تعطى الله كل ثقة و كل طاعة اليوم لأننا لانعرف أبداً إن كان الغد يأتى فيجدنا على قيد الحياة أو يكون الموت قد طوانا فى جوف الثرى .

ونحن إذن أمام أعظم فرصة يعطيها لنا الله ، لكنه عطاء مشروط بالثقة الكاملة والطاعة الكاملة وهو عطاء يجب أن نقبله الآن قبل أن يكون قبوله أمراً مستحيلا .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلرَّابِعُ

الراحة التى لا تحتمل فقدها

« فَلْنَخَفْ أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِٱلدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ . لِأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً قَدْ بُشِّرْنَا كَمَا أُولٰئِكَ لٰكِنْ لَمْ تَنْفَعْ كَلِمَةُ ٱلْخَبَرِ أُولٰئِكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ مُمْتَزِجَةً بِٱلْإِيمَانِ فِي ٱلَّذِينَ سَمِعُوا . لِأَنَّنَا نَحْنُ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَدْخُلُ ٱلرَّاحَةَ كَمَا قَالَ حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي . مَعْ كَوْنِ ٱلْأَعْمَالِ قَدْ أُكْمِلَتْ مُنْذُ تَأْسِيسِ ٱلْعَالَمِ . لِأَنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ عَنِ ٱلسَّابِعِ هٰكَذَا وَٱسْتَرَاحَ ٱللهُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلسَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ . وَفِي هٰذَا أَيْضاً لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي . فَإِذْ بَقِيَ أَنَّ قَوْماً يَدْخُلُونَهَا وَٱلَّذِينَ بُشِّرُوا أَوَّلاً لَمْ يَدْخُلُوا لِسَبَبِ ٱلْعِصْيَانِ يُعَيِّنُ أَيْضاً يَوْماً قَائِلاً فِي دَاوُدَ ٱلْيَوْمَ بَعْدَ زَمَانٍ هٰذَا مِقْدَارُهُ كَمَا قِيلَ ٱلْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلَا تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ . لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَشُوعُ قَدْ أَرَاحَهُمْ لَمَا تَكَلَّمَ بَعْدَ ذٰلِكَ عَنْ يَوْمٍ آخَرَ . إِذًا بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ

اللهِ . لِأَنَّ ٱلَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ ٱسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضاً مِنْ أَعْمَالِهِ كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ » .

(عبرانيين ٤ : ١ — ١٠)

فى هذا الفصل المعقد والمتشابك يحسن بنا أن نحاول فهم الخطوط العريضة للفكر والبرهان قبل أن ندرس التفاصيل . فى الحقيقة إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يستعمل لكلمة « راحة » ثلاثة معان مختلفة فى هذا الفصل .

١ — فهو يستعملها كما لو أراد أن يستعمل « سلام الله » وهو أعظم وأثمن شىء فى هذا العالم أن ندخل إلى سلام الله .

٢ — وهو يستعملها أيضاً بنفس التعبير الذى رأيناه فى ٣ : ١١ من هذا الرسالة بمعنى « أرض الموعد » وبالنسبة لبنى إسرائيل الذين تجولوا فى الصحراء زمنا طويلا كانت أرض الموعد هى راحة الله الحقيقية لهم بعد الرحلات الطويلة الشاقة فى شعاب الصحراء .

٣ — وهو يستعمل أيضاً راحة الله بعد اليوم السادس للخليقة بعدما فرغ الله من الخليقة واستراح الله من عمله . وهذا الإسلوب فى إستعمال الكلمة الواحدة بمعنيين أو بثلاث معان مختلفة ، وعصر الكلمة حتى آخر قطرة فيها ، كان أسلوباً شائعاً فى الأوساط المثقفة فى العصر الذى كتب فيه الكاتب رسالته إلى العبرانيين .

والآن هيا بنا نرى الخطوات التى سارت فيها المناقشة . ومن السهل علينا أن نذكرها واحدة بعد واحدة .

١ — إن وعد الله بالراحة أى سلام الله لشعبه لايزال باقياً . إن الوعد لم يتغير ولكن الخطر فى أن نفقده أو نفشل فى الوصول إليه .

٢ — إن بنى إسرائيل منذ أزمنة ماضية فشلوا فى الدخول إلى راحة الله . وهنا يستعمل كلمة الراحة بمعنى السلام والاستقرار فى أرض الموعد بعد سنى التيه فى البرية . والإشارة هنا إلى ما جاء فى سفر العدد ١٤ : ١٢—٢٣ ويخبرنا الفصل المشار إليه عن الكيفية التى جاء بها بنو إسرائيل بالقرب من أرض الموعد وإرسالهم رجالا للتجسس على الأرض وإن عشرة من الاثنى عشر رجلا قرروا إن الأرض جيدة ولكن صعوبات الدخول إليها لا يمكن التغلب عليها . وأما كالب ويشوع وحدهما فقد تشددا بقوة الله ولكن الشعب انصاع إلى مشورة العشرة الجبناء وكانت النتيجة أن جيلا من الخائفين وغير الواثقين بالله حكم عليهم أن يهيموا على وجوههم فى البرية حتى يفنوا ، وحرموا من الدخول إلى راحة وسلام الأرض الموعود بها . وقد فشل هؤلاء القوم فى الدخول إلى الراحة التى كان يمكنهم أن يتمتعوا بها لأنه لم يكن لهم إيمان بالله . ولم تكن عندهم الثقة فى قدرة الله على التغلب على الصعوبات التى فى طريقهم . لم يكن عندهم الإيمان بالله ولا الثقة فيه فلم يستمتعوا بالراحة الموعود بها لهم .

٣ — والآن نرى كاتب الرسالة إلى العبرانيين يتحول إلى معنى آخر للراحة . صحيح إن أولئك الناس فقدوا الراحة من زمن طويل ولكن بالرغم من ذلك فإن الراحة لا تزال باقية . وعلى هذه الحجة تبنى إحدى التصورات الجميلة لمعلمى الشريعة . فى اليوم السابع أى اليوم الذى تمت فيه كل الخليقة استراح الله من أعماله . وفى قصة الخليقة كما جاءت فى الأصحاحين الأول والثانى من سفر التكوين نجد هناك حقيقة غريبة . ففى الأيام الستة الأولى للخليقة ذكر الكتاب أنه كان لكل يوم صباح ومساء . وأما فى اليوم السابع يوم راحة الله فلم يكن هناك ذكر لمجىء المساء . ومن هذه الحقيقة يرى معلمو الشريعة أن الأيام الأخرى كان لها نهاية . أما يوم راحة الله فلم يكن له

نهاية بل كانت راحة دائمة أبدية . إن راحة الله ليس لها مساء ولا نهاية ليومها بل كانت ممتدة إلى الأبد . وبناء على ذلك فإن الراحة التى خسرها بنو إسرائيل لا تزال باقية لأنها راحة أبدية .

٤ — ومرة ثانية يعود الكاتب إلى معنى الراحة باعتبارها أرض الموعد . وقد جاء اليوم الموعود به بعد التجول فى البرية مدة أربعين سنة حينما دخل الشعب إلى أرض الموعد بقيادة يشوع . وهنا كان يمكن أن يقال إن الوعد قد تم لهم وإنهم دخلوا فعلا إلى راحتهم إذ أنهم جاءوا إلى أرض الميعاد . أليس هذا معناه إن الوعد بالراحة قد تم لهم ؟ .

٥ — لا . فإن الوعد لم يتم لأن داود فى المزمور ٩٥ : ٧ يسمع صوت الله قائلا للشعب بأنهم إن لم يقسوا قلوبهم يستطيعون أن يدخلوا إلى راحته — وهذا معناه أنه بعد أن أدخلهم يشوع إلى أرض الموعد بمئات السنين لايزال الله منادياً إياهم أن يدخلوا إلى راحته . إن هذه الراحة شىء أكثر من مجرد الدخول إلى أرض الموعد .

٦ — وهكذا يجىء النداء الأخير . إن الله لايزال يدعو الناس أن لايقسوا قلوبهم بل ليدخلوا إلى سلامه وراحته . إن « يوم » الله لايزال موجوداً وإن وعد الله لايزال مفتوحا ولكن « اليوم » بالنسبة لنا لا يبقى إلى الأبد فإن الحياة لابد لها من نهاية والوعد قد نخسره ولهذا السبب يقول الكاتب إلى العبرانيين « هنا والآن أدخلوا بالإيمان إلى سلام الله وأعرفوا الراحة الحقيقية — راحة الله نفسه » .

ولنا هنا ملاحظة على العدد الأول من هذا الأصحاح الذى يقول « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » وهذا معناه : إحذروا لئلا يغلق باب رحمة وسلام الله فى وجوهكم بسبب

عصيانكم وعدم إيمانكم . إحذروا لئلا تكونوا بسبب عصيانكم وعدم إيمانكم غير مستحقين للدخول إلى راحة وسلام الله . وهذه ترجمة صحيحة تماما . ولكن هناك ترجمة أخرى محتملة لهذه الآية فقد يكون المقصود بها « إحذروا لئلا تسيطر عليكم الفكرة القائلة بأنكم وصلتم إلى عصر متأخر جداً من عصور التاريخ فلا يمكنكم التمتع براحة الله سلامه وفى هذه الترجمة الثانية يأتينا تحذير مناسب للعصر الذى نعيش فيه . ومن أسهل الأمور أن نظن أن أيام الدين العظيمة قد مضت وأن عصور النهضة العظيمة فى تاريخ الكنيسة قد فات أوانها ولن تعود ثانية . يقال أن طفلا وهو يصغى إلى بعض القصص فى العهد القديم صاح قائلا « إن الله كان أكثر إثارة فى العهد القديم مما هو اليوم » وهناك ميل مستمر فى الكنيسة للعودة إلى الوراء لاعتقادها أن أعمال الله العظيمة كانت فى التاريخ القديم . هؤلاء القوم يتصورون أنه إذا كانت لهم الأمانة الكافية للتصريح بأفكارهم لقالوا إن ذراع الله قصرت وإن قوة الله قد نقصت عما كانت عليه من قبل . وإن الأيام الذهبية قد ولت ومضت . ولكن كاتب الرسالة إلى العبرانيين ينفخ فى بوقه قائلا « لاتظنوا أبداً إنكم جئتم متأخرين فى التاريخ . ولا يخطر ببالكم أن أيام المواعيد العظمى والانجازات الكبرى قد فات أوانها . إن « يوم » الله لا يزال باقياً إلى يومنا الحاضر وسيبقى إلى نهاية العصور ولاتزال لكم اليوم بركة مثلما كانت تنهمر البركات على القديسين قديماً . ولا تزال أمامكم بطولات كما كانت للشهداء بطولات . إن الله لا يزال عظيما اليوم كما كان فى الماضى .

ويقدم لنا هذا الفصل حقين عظيمين ودائمين .

١ — إن الكلمة مهما كانت عظيمة ونبيلة وثمينة تغدو بلا قيمة مالم تكن مندمجة مع الشخص الذى يسمعها بالإيمان : وتوجد أنواع كثيرة ومختلفة من السمع فى هذا العالم . فهناك السمع غير المكترث . وهناك السمع الذى

لايهمه ما يقال . وهناك السمع الانتقادى . وهناك السمع الذى لايصدق ما يسمع . وهناك السمع الذى يهزأ ويسخر بما يسمع . أما السمع الذى نقصده فهو السمع الذى يصغى باشتياق ثم يؤمن به ويعمل طبقا له . إن مواعيد الله ليست مجرد قطع جميلة من الأدب وليست مجرد أقوال لذيذة بلا معنى . إنها مواعيد مقصود بها أن الإنسان بفضلها يستطيع أن يغامر بحياته وبها يستطيع أن يسيطر على أعماله .

٢ — فى العدد الأول من هذا الأصحاح يأمر كاتب الرسالة إلى العبرانيين قومه أن يخافوا لئلا يخيبوا من الوعد . وهذا الخوف المسيحى ليس هو الخوف الذى يجعل الإنسان يهرب من الواجب . وليس هو الخوف الذى يجلب الكسل والتوقف عن العمل كأنما أصابه الشلل . إنه الخوف الذى يجعله يخرج كل ذرة من القوة التى يملكها ويحولها إلى جهد عظيم حتى لايخسر الهدف الذى له أعظم قيمة فى حياته .

كلمة الله المرعبة

« فَلْنَجْتَهِدْ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ ٱلرَّاحَةَ لِئَلَّا يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ ٱلْعِصْيَانِ هٰذِهِ عَيْنِهَا . لِأَنَّ كَلِمَةَ ٱللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ ٱلنَّفْسِ وَٱلرُّوحِ وَٱلْمَفَاصِلِ وَٱلْمِخَاخِ وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ ٱلْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذٰلِكَ ٱلَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا » .

(عبرانيين ٤ : ١١ — ١٣)

إن بيت القصيد فى هذا الفصل هو أن كلمة الله قد جاءت إلى الناس . وأن كلمة الله خطيرة كل الخطورة بحيث لا يقدر الإنسان أن يتجاهل أمرها أو لا يعطيها الاعتبار الواجب . وقد كان لليهود دائماً فكرة خاصة جداً عن الكلمات . وكان عند اليهود دائماً أن الكلمة متى قيلت كان لها وجود مستقل . فلم تكن الكلمة صوتا يحمل معنى خاصاً فقط بل كان للكلمة قوة تخرج وتعمل عملها . وعندما سمع أشعياء الله يتكلم سمعه يقول إن الكلمة التى خرجت من فمه لا ترجع إليه فارغة بل هى دائماً تعمل ماقصد لها الله أن تعمله . وكان اليهود يعتبرون الكلمة لامجرد صوت بل قوة . ويمكننا أن نفهم شيئاً من هذا القبيل إذا فكرنا فى التأثير المدهش للكلمات فى التاريخ . فالقائد يصوغ تعبيراً معيناً ليلقيه على جنوده وإذا بهذا التعبير يصبح نداء حماسياً يلهب الرجال ليخوضوا حرباً مقدسة أو ليرتكبوا جرائم وحشية . ويرسل رجل كبير إلى قومه منشوراً وإذا بهذا المنشور يتحول إلى عمل يبنى أمة أو يهدمها . إنه الحق الذى لاشك فيه أن التاريخ ملىء بالأقوال التى خرجت من أفواه الزعماء والمفكرين فكان لها تأثيرها العظيم . وإذا كان لكلمات الناس تأثيرها فكم بالحرى يكون لكلمة الله تأثيرها العظيم والفعال .

ويصف كاتب الرسالة إلى العبرانيين كلمة الله بسلسلة من الأوصاف العظيمة . إن كلمة الله حية أى أنها مملوءة بالحياة . إن بعض القرارات تخرج ميتة من أفواه أصحابها . وبعض الكتب والكلمات لايكون لها تأثير ولاتلقى إهتماما . وبعض الكلمات الأخرى تترك تأثيراً عظيما جداً فى دائرة محدودة ولكن ليس لها تأثير على جميع الناس . كان أفلاطون واحداً من أعظم مفكرى العالم . ولكنه أمر بعيد الاحتمال أن يكون هناك جماهير من الناس تواظب على دراسات يومية فى فلسفة أفلاطون . إن الحقيقة العظمى عن كلمة الله التى تحوى مايطلبه الله وما يعطيه الله للناس هى إنها كلمة حية

لجميع الناس فى كل زمان ومكان . إن أوامرها شيء ينبغى أن يواجهه كل إنسان . وعطيتها شيء ينبغى على كل إنسان أن يقبله أو يرفضه . وبعض الكلمات الأخرى تلقى إهتماماً فى الأوساط العلمية البحتة ولكن كلمة الله كلمة حية وتصدر أوامرها إلى كل إنسان .

وكلمة الله كلمة فعالة . ومرة أخرى نقول مستندين إلى حقائق التاريخ إنه حيثما أخذ الناس كلمة الله بطريقة جادة فإن أشياء عظيمة لابد أن تحدث . وعندما يفتح المجال للكتاب المقدس فينتشر بين الناس فإن حركة الإصلاح تمتد وتقوى لامحالة . وعندما يقبل الناس إلى الله بكل قلوبهم يرون بكل تأكيد أن كلمة الله ليست فقط شيئاً للدرس والإطلاع ولا هى شيء ترى فيه الأقلام مادة دسمة للكتابة لكنها شيء يتحول إلى أعمال صالحة وبناءة .

وكلمة الله تخترق الأعماق . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يجمع التعبيرات الكثيرة لكى يرينا إلى أى مدى تنفذ كلمة الله إلى أعماق النفس البشرية فهى تخترق مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ وتميز أفكار القلب ونياته . والنفس فى اللغة اليونانية هى الحياة الطبيعية مثل نفس الإنسان والحيوان . أما الروح فهى التى تختص بالإنسان لاسواه . وبواسطة الروح يفكر الإنسان ويقنع غيره بالحجة والمنطق ويتطلع إلى الله من وراء حجاب الأرض . كأنى بالكاتب قصد أن يقول إن كلمة الله تمتحن حياة الإنسان الأرضية كما تفحص وجوده الروحى . إن كيانه الجسدى وتكوينه الروحى يخضعان كلاهما للفحص الدقيق تحت أنوار كلمة الله . وهو يقول أيضاً إن كلمة الله تفحص أفكار القلب ونياته . والأفكار هى الجانب العاطفى للإنسان ــ الجانب الذى تحكمه المشاعر والغرائز والرغبات . أما النيات فهى الجانب العقلى للانسان ــ الجانب الذى يتحكم فيه العقل والإرادة .

إن الكاتب يريد أن يقول إن حياتكم العاطفية والعقلية يجب أن تكون تحت أشعة كلمة الله لكي تفحصها فحصاً دقيقاً .

وأخيراً يلخص كاتب هذه الرسالة أقواله فى عبارة جامعة فيقول إن كل شىء عريان ومكشوف لعينى الله وإن كل شىء يتحتم عليه أن يلتقى بعينى الله . وهو يستعمل هنا كلمتين قويتين . فالكلمة التى يستعملها للعرى يريد أن يقول إننا نستطيع أن نخفى حقيقتنا عن الناس بما نرتديه من أقنعة ولكن فى محضر الله نتجرد تماما من هذه الأقنعة ونتقابل مع الله كما نحن عليه .

أما الكلمة الثانية فهى أكثر جلاء ووضوحاً . فهو يقول إننا مضطرون أن نلتقى بعينى الله وهو يستعمل لذلك كلمة نادره للاستعمال ويبدو أنها كانت تستعمل فى ثلاث طرق مختلفة :

١ ــ إنها كلمة المصارع الذى يقبض على عنق خصمه بحيث لا يمكنه أن يتحرك يميناً أوشمالا . ونحن كذلك قد نستطيع أن نفلت من يدى الله بعض الوقت ولكنه فى النهاية يمسك بنا فلا نملك إلاأن نلتقى به وجاً لوجه . ويستحيل على الإنسان أن يحاول الإفلات من يدى الله فى النهاية .

٢ ــ وهى الكلمة التى نستعملها عند سلخ جلود الحيوانات . عندما تعلق الحيوانات وتنتزع جلودها عنها . إن الناس قد يحكمون لنا أو علينا بما يرونه من سلوكنا ومظهرنا الخارجى ولكن الله ينظر إلى أعمق أسرار قلوبنا . إن أعماق حياتنا العاطفية والعقلية ــ هذه الأعماق البعيدة الغور مكشوفة تماماً لعينى الله .

٣ ــ وكانت هذه الكلمة تستعمل أحياناً عندما كان المجرم يقدم للمحاكمة أو يساق إلى ساحة الإعدام . كان يثبت خنجر حاد فى ذقنه حتى

لايستطيع أن يحنى رأسه خجلا أو تخفيا بل كان عليه أن يرفع رأسه عالياً حتى يرى الناس وجهه الملطخ بالخزى والعار . ومعنى ذلك أننا فى النهاية سيكون حتما علينا أن نلتقى بعينى الله . إننا قد نخفى وجوهنا عن الناس الذين نخجل من مواجهتهم ولكننا لانستطيع أن نفعل ذلك مع الله . ونحن مضطرون أن نرى وجه الله . كتب أحدهم كتاباً عنوانه « الله الذى بداخلك » ومما قاله فى هذا الكتاب « فى وقت ما يرى الإنسان لزاما عليه أن يتوقف عن التهرب من نفسه ومن إلهه . ولعل السبب فى هذا التوقف هو أنه لا يوجد مكان يستطيع فيه أن يهرب إليه » أجل ! إن وقتاً يأتى لكل إنسان يجد فيه أنه لامفر من مقابلة الله الذى لايختفى أبداً شىء ما من نظر عينيه .

رئيس الكهنة الكامل

« فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ ٱجْتَازَ ٱلسَّمٰوَاتِ يَسُوعُ ٱبْنُ ٱللهِ فَلْنَتَمَسَّكْ بِٱلْإِقْرَارِ . لِأَنَّ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا بِلاَ خَطِيَّةٍ . فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ ٱلنِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْناً فِي حِينِهِ » .

(عبرانيين ٤ : ١٤ – ١٦)

نحن هنا نزداد إقتراباً من الفكر الرئيسى الذى يشغل ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين وهو الفكر عن يسوع بوصفه رئيس الكهنة الكامل . ولكى يقوم رئيس الكهنة بوظيفته على الوجه الأكمل كان يتعين عليه أن يكون على إتصال تام بالناس كما يكون على إتصال تام بالله . تقوم وظيفته على

تبليغ صوت الله للناس وتقديم ذات الحضره الإلهية للناس ، كما عليه أن يقدم الناس إلى ذات الحضرة الإلهية . إن على رئيس الكهنة أن يعرف الله والناس معرفة كاملة فى وقت واحد . وهذا بالضبط ما تعلنه لنا هذه الرسالة عن يسوع .

١ ــ إن هذه الآيات الموضوعة أمامنا تبدأ بالتنبير عن العظمة الكاملة وهى عظمة اللاهوت المطلق لشخص الرب يسوع . فهو عظيم فى طبيعته . ولاتقوم عظمته على ما يغدقه عليه الناس من مظاهر الحفاوة والتكريم لكنه عظيم فى ذاته وفى جوهره إذ قد إجتاز السموات . وهذا التعبير قد يحمل واحداً من معنيين . ونستطيع أن نرى فى العهد الجديد إستعمالات متميزة لكلمة « السماء » . فيمكن إطلاقها على سماء الجو المرصع بالنجوم وقد يكون معناها سماء الملائكة كما إنه قد يقصد أعلى السموات جميعاً وهى سماء محضر الله . وهذا معناه إن يسوع قد إجتاز السماء الأولى والثانية وهو الآن فى ذات الحضرة الإلهية . ومعناه أيضاً ماقصدته الكاتبه المسيحية المشهورة « كريستيان روزيتى » بقولها « إن السماء لاتقدر أن تسع المسيح . إن يسوع عجيب وعظيم لدرجة أن السماء نفسها أصغر من أن تليق به » ولسنا نرى كاتباً أكد عظمة يسوع المطلقة مثل كاتب الرسالة إلى العبرانيين .

٢ ــ لكن الكاتب يتجه فى حديثه إلى الجانب الآخر . وليس هناك كاتب آخر إستطاع أن يبرز لنا ناسوت المسيح الكامل واتحاده التام بالناس مثلما إستطاع هذا الكاتب . ذهب يسوع إلى كل مكان كان على الإنسان أن يذهب إليه ولمس عن قرب كل إختباراتنا البشرية فهو مثلنا فى كل شىء ما عدا الخطية . إنه خرج من كل هذه الإختبارات البشرية وهو خال خلوا تاما من آثار الخطية . والآن قبل أن نتعمق فى فهم هذا التعبير الجليل علينا أن نضع شيئاً جديرا بكل إعتبار . لكى نعرف تماماً معنى خلو المسيح

من الخطية يجب أن نعرف بالضرورة أن المسيح عرف أعماق التجربة وشدتها وهجومها المتوالى عليه بصورة لا نعرفها نحن ولا نقدر أبداً أن نعرفها . ولم تكن معركته مع الخطية شيئاً يسيرا بأى حال من الأحوال بل على النقيض من ذلك . فقد كانت الحرب أعنف وأشد مما يخطر لنا على بال . لماذا ؟ لأننا نرتمى فى أحضان التجربة قبل أن ينقض علينا المجرب بكل قوته ، وننهزم بسهولة . نحن لانعرف التجربة فى وحشيتها وضراوتها لأننا نسقط قبل أن تصل التجربة إلى هذه المرحلة بزمن طويل . أما يسوع فقد جرب مثلما نجرب نحن وأبعد بكثير مما نجرب نحن . لأن المجرب فى هجومه على يسوع قد استخدم ضده أقوى مالديه من أسلحة وقاوم يسوع كل تهجم للعدو إلى النهاية . لنفكر مثلا فى موضوع الألم . فإن هناك درجة معينة من الألم يستطيع الإنسان أن يحتملها . ولكن عندما يشتد به الألم أكثر من طاقته فإنه يصاب بالإغماء ويفقد وعيه . وهناك صراعات للألم لايعرفها الإنسان لأنه عندما يصل به الألم إلى نقطة معينة يصاب بالانهيار . وهكذا الحال مع التجربة . نحن يعترينا الإنهيار قبل أن تنزل علينا التجربة بشدتها . أما يسوع فقد وصل إلى مرحلة التجربة التى نصل إليها نحن — وزاد على هذه المرحلة بمسافات بعيدة وبالرغم من ذلك فلم يعتره الإنهيار . إنه حق أن نقول إن يسوع جرب فى كل شىء مثلنا ولكنه حق أيضاً أن نقول إنه لم يجرب إنسان مثلما جرب يسوع .

٣ — إن إختبار يسوع كانت له ثلاث نتائج .

(١) هذا الإختبار أعطى يسوع موهبة العطف . وهذا شىء يجب أن نفهمه ولكنه من أشق الأمور علينا أن نفهه . إن الفكرة المسيحية عن الله كآب محب امتزجت بعقولنا وقلوبنا ولكن هذه كانت فكرة جديدة على الإطلاق . فعند اليهودى إن الله قدوس

مطلق القداسة . والفكرة الأساسية عن الله القدوس إنه كان مختلفاً تماماً عن دائرة الحياة التى ننتمى نحن إليها . وإنه لايشترك معنا بتاتاً فى إختبارات حياتنا البشرية ولم يكن فى مقدوره أن يشاركنا فى إختباراتنا لأنه إله . وكانت هذه الفكرة عند اليونان أقوى مما كانت عند اليهود . فالرواقيون – وهم أعلى طبقه مفكرة عند اليونان – قالوا إن الصفة الأولى فى الله هى صفة « الأباشيا » وهم يقصدون بهذه الصفة ان الله متنزه عن الشعور بأى شىء . وحجتهم فى ذلك أن الإنسان الذى يستطيع أن يفرح أو يحزن فهذا معناه ان شخصاً آخر كان قادراً فى التأثير عليه . وإن هذا الشخص الآخر فى ميسوره أن يجعله سعيداً أو حزيناً وإذا استطاع أن يؤثر عليه فهذا معناه على الأقل فى تلك اللحظة أنه أعظم منه إذ إستطاع أن يصنع له شيئاًما . ولذلك انتهى بهم تفكيرهم أن الإنسان لايمكنه أن يصنع شيئاً لله ، وليس فى مقدور أى إنسان أن يؤثر فى الله بأى حال من الأحوال ولا يقدر أحد أن يكون أعظم من الله ولأجل ذلك يجب أن يكون الله خالياً خلوا تاما من عواطف الفرح أو الحزن ومن آثار السعادة أو الألم . وهكذا كان الإعتقاد الجازم عند الرواقين أن الله فوق كل شعور ، أما المدرسة اليونانية العظيمة الثانية فقد كانت مدرسة الأبيقوريين .وكان الأبيقوريون يرون أن الآلهة تعيش فى سعادة مطلقة . كانوا يعتقدون أن الآلهة تعيش فى أجواء الفضاء الكائنة بين العالمين وكانت تعيش فى عزلة تامة ولاتدرى شيئاً مما يجرى فى العالم . كان لليهود إلههم المختلف المتميز . وكان للرواقين إلههم المجرد من الشعور والإحساس .

وكان للأبيقوريين إلههم المنعزل إنعزالا كلياً عن الناس . وأما بلوتارك الذى كان من أعظم رجال الدين عند اليونان فقد صرح بأنه تجديف على الله عندما نورطه بالتدخل فى شئون الناس وأخيراً نأتى إلى المسيحية بمفهومها فى بادىء الأمر عن الله فى كونه مرتبطاً بآلام الناس ولكن ليس بالمفهوم الكامل الذى نفهمه نحن اليوم عن الله . ومن الصعب جداً علينا أن نتيقن الثورة التى جاءت بها المسيحية فى وصف علاقة الله بالناس . فقد ظلت المسيحية جيلا بعد جيل وهى تواجه الفكرة القائلة بأن الله أسمى من أن يتصل به إنسان . أما الآن فهم يكتشفون إلهاً قد جاز كل الإختبارات التى يجوزها الناس .

(ب) إن هذا الإختبار قد أعطى يسوع صفة الرحمة . ومن السهل علينا أن ندرك صفة الرحمة فى الله . ذلك لأن الله يفهم . إن بعض الناس قد عاشوا حياة مسيجا حولها بسياجات كثيرة فلم يسمحوا للريح أن تهب عليهم . هؤلاء عاشوا عيشة سهلة . كانوا فى حصون تحميهم من التجارب التى تأتى لغيرهم من الناس الذين لم تكن الحياة لهم سهلة هينة . وبعض الناس لهم طباع يمكنهم بسهوله أن يسيطروا عليها . وأما الآخرون فلهم قلوب حارة وميول قوية تجعل حياتهم محفوفه بالمخاطر . إن الذين عاشوا حياة محمية بالسياجات والذين لهم طبائع غير ملتهبة يجدون من الصعب جداً عليهم أن يفهموا لماذا يسقط غيرهم فى التجارب . إنهم ينفرون من رؤيتهم للناس الذين يسقطون لكنهم لايسعهم إلا إصدار الأحكام القاسية عليهم لأنهم لايقدرون أن يفهموا . أما الله فإنه يعرف . ومعرفة كل شىء تؤدى بك إلى مسامحة كل شىء .

ولايصدق هذا الكلام على شخص بقدر ما يصدق على المسيح . قال «جون فوستر» فى أحد كتبه أنه جاء إلى بلاده فى الثلاثينات فوجد إبنته تبكى بدموع غزيرة وهى جالسة أمام المذياع . وسألها عن سبب بكائها فعلم منها أن نشرة الأخبار قد أذاعت أن الدبابات اليابانية قد دخلت مدينة كانتون بالصين فى ذلك اليوم . وسمع بعض الناس بهذا النبأ ولم يبدو عليهم إلا شعور ضعيف بالأسى . ولعل رجال السياسة سمعوه بشىء من الامتعاض والاستنكار . ولكن الأغلبية العظمى من المستمعين لم يحرك فيهم هذا النبأ ساكناً . وأما ابنة جون فوستر فلماذا إنهمرت الدموع من عينيها ؟ كان السبب هو أنها ولدت فى كانتون وكانت كانتون بالنسبة لها بيتاً ومدرسة وأصدقاء ومكانا محبوبا . والفرق بينها وبين الناس هو أنها كانت هناك . وهذا هو الفرق بينها وبين غيرها من المستمعين . وليس هناك جانب من الاختبار البشرى إلا ويقول عنه الرب يسوع « أنا كنت هناك » وعندما تكون لنا قصة حزينة نرويها أو عندما نبكى بدموع من جراء إختبارات قاسية ، لا نذهب إلى إله عاجز عن فهم ماحدث لنا . لكننا نذهب إلى الله الذى كان هناك والذى يعرف كل ما يحيط بنا ، لامعرفة لاهوتية فحسب ولكن معرفة إختبارية . وهذا هو السبب (إذا جاز لنا أن نقول ذلك) الذى لأجله يسهل على الله أن يرحم وأن يغفر .

(ج) إن هذا الإختبار قد أعطى يسوع القدرة لكى يعين المجربين . إنه يعرف مشاكلنا لأنه اجتازها واختبرها عمليا . إن أفضل شخص يستطيع أن يسدى إليك نصيحة أو يقدم لك عوناً فى رحلة

تنوى القيام بها هو الشخص الذى سار فى هذه الطريق قبلك . وإن أفضل شخص يعينك فى المرض هو الشخص الذى تألم مثلك بهذا المرض . إن الله يقدر أن يعين لأنه يعرف كل شىء .

هذا إذن هو الحق العظيم أن يسوع هو رئيس الكهنة الكامل لأنه هو الله الكامل ولأنه هو الإنسان الكامل وهو قد عرف حياتنا بجملتها وتفاصيلها . ولذلك فهو قادر أن يعطينا عطفاً ورحمة وقوة وإنه قد قرب الله إلى الناس وقرب الناس إلى الله .

اَلْأَصْحَاحُ ٱلْخَامِسُ

الصلة الكاملة بالله والناس

«لِأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ ٱلنَّاسِ يُقَامُ لِأَجْلِ ٱلنَّاسِ فِي مَا لله لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ عَنِ ٱلْخَطَايَا قَادِراً أَنْ يَتَرَفَّقَ بِٱلْجُهَّالِ وَٱلضَّالِّينَ إِذْ هُوَ أَيْضاً مُحَاطٌ بِٱلضَّعْفِ. وَلِهٰذَا ٱلضَّعْفِ يَلْتَزِمُ أَنَّهُ كَمَا يُقَدِّمُ عَنِ ٱلْخَطَايَا لِأَجْلِ ٱلشَّعْبِ هٰكَذَا أَيْضاً لِأَجْلِ نَفْسِهِ. وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ هٰذِهِ ٱلْوَظِيفَةَ بِنَفْسِهِ بَلِ ٱلْمَدْعُوُّ مِنَ ٱللهِ كَمَا هٰرُونُ أَيْضاً. كَذٰلِكَ ٱلْمَسِيحُ أَيْضاً لَمْ يُمَجِّدْ نَفْسَهُ لِيَصِير رئِيسَ كَهَنَةٍ بَلِ ٱلَّذِي قَالَ لَهُ أَنْتَ ٱبْنِي أَنَا ٱلْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. كَمَا يقُولُ أَيْضاً فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ علَى رُتْبةِ ملْكِي صَادِقَ. ٱلَّذِي فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ إِذْ قَدَّمَ بِصُراخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبات وتَضَرُّعاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصهُ مِنَ ٱلْموْتِ وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْواهُ مَعَ كَوْنِهِ ٱبْناً تَعلَّم ٱلطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّم بِهِ وإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ ٱلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ

خَلاَصٍ أَبدِيٍّ مَدْعُوًّا مِنَ ٱللهِ رئِيس كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبةِ ملْكِي صَادَقَ » .

(عبرانيين ٥ : ١ — ١٠)

يصل الآن كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى العقيدة اللاهوتية التي يدور عليها محور الرسالة كلها — وهي عقيدة كهنوت المسيح . وهو يقدم لنا في هذا الفصل ثلاثة أفكار رئيسية عن وظيفة الكاهن . وهذه الأفكار ليست محلية ولا مؤقتة . إنما هي الصفات الجوهرية التي يتصف بها الكاهن في كل عصر وفي كل جيل .

١ — إن الكاهن معين بالنيابة عن الناس في الأمور التي تخص الله . إعتاد الدكتور « جوسب » أن يقول لطلبته في كلية اللاهوت كيف كان يشعر في قرارة نفسه عندما رسم للخدمة . كان يتصور أن الناس يقولون له « نحن على الدوام مستغرقون في أعمالنا ولا نبالي بتراب وحر النهار . ويتحتم علينا أن نقضي وقتنا كله في التحصيل والإنفاق . وعلينا أن نخدم في المكاتب أو نعمل في المصانع ونحن نريدك أن تتقابل مع الله ثم تعود إلينا كل يوم أحد وأنت تحمل معك رسالة من الله لنا » . إن الكاهن الحقيقي هو حلقة الاتصال بين الله والإنسان . وكان للكاهن في إسرائيل وظيفة محددة . كان عليه أن يقدم الذبائح بالنيابة عن خطايا الشعب . إن الخطية تفسد العلاقة التي يجب أن تقوم بين الإنسان والله . إنها تضع جداراً سميكاً بين الإنسان وخالقه . إنها تفصل بين الإنسان والله . والمقصود بالذبيحة أن تعيد العلاقة التي يجب أن تكون قائمة بين الإنسان والله وتزيل الحواجز التي وقفت بينهما . ولكن يلزمنا أن نتوقف قليلا لنلاحظ شيئاً له أهميته عند اليهودي . كان الفهم الواضح عند اليهودي أن الذبائح تكفر فقط عن خطايا الجهل أما خطايا الإصرار والعمد

فلم تجد لها تكفيراً فى الذبائح . وكاتب الرسالة إلى العبرانيين نفسه يقول « فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا» (١٠ : ٢٦) وهذه عقيدة تؤيدها الآيات الكثيرة التى جاءت بها شريعة الذبائح فى العهد القديم « إن أخطأت نفس سهواً فى جميع مناهى الرب وعملت واحدة منها . . . » (لاويين ٤ : ٢ ، ١٣ ، عدد ١٥ : ٢٢ — ٣١ هى الآيات الرئيسية فى هذا الموضوع) .

وفى هذه الحالة تقدم الذبائح المطلوبة للتكفير على شرط أن تكون هذه الخطايا قد ارتكبت عن جهل . ولكننا من الجانب الآخر نقرأ فى الآيات المشار إليها آنفاً « إن النفس التى تعمل بيد رفيعة من الوطنيين أو من الغرباء فهى تزدرى بالرب . فتقطع تلك النفس من بين شعبها لأنها احتقرت كلام الرب ونقضت وصيته . قطعاً تقطع تلك النفس . ذنبها عليها » وكذلك نرى هذا القانون يتكرر فى تثنية ١٧ : ١٢ « الرجل الذى يعمل بطغيان فلا يسمع للكاهن الواقف هناك أمام الرب يقتل ذلك الرجل فتنزع الشر من إسرائيل » إن خطية الجهل مغفورة . أما خطية الطغيان والعناد فلا غفران لها . ومع ذلك فيجب علينا أن نلاحظ ما يقصده اليهود من خطية الجهل . إنهم يقصدون بها شيئاً أكثر من مجرد عدم المعرفة . فقد شملوا الخطايا التى ترتكب عندما يكون الإنسان منساقاً فى لحظة من لحظات الغضب أو الشهوة ، وعندما تسيطر عليه تجربة قوية ، وعندما يحزن الإنسان على خطية اقترفها . أما خطية العناد التى ترتكب بيد رفيعة فقد قصدوا بها الخطايا التى ترتكب بعد التأمل والترو ى والتخطيط لها والتى لا يبدى مرتكبها أى شعور بالحزن عليها . هى خطايا العصيان على الله بعين مفتوحة فى الوقت الذى لا يكون فيه الإنسان فى لحظة غضب أو إنفعال ولكنه فى تمام الهدوء شق طريقه وتمرد على الله . ولأجل ذلك كان على الكاهن أن يفتح الطريق أمام الخاطئ إذا أراد العودة الى الله

وإذا كان فى إمكان الكاهن أن يفتح الطريق للخاطئ

٢ — وعلى الكاهن أن يكون عارفاً ظروف الإنسان . ولا بد له أن يجوز إختبارات الناس وأن يكون عطوفاً عليهم . إن الكاهن البشرى هو شبيه بالناس لأنه واحد منهم . وهو ملتزم أن يقدم ذبيحة عن خطاياه قبل أن يقدم الذبائح عن خطايا الآخرين . وفى هذا يتوقف كاتب الرسالة إلى العبرانيين قليلا لكى يبين فيما بعد أن يسوع المسيح يتفوق على أى كاهن أرضى لأنه ليس فى حاجة إلى تقديم ذبائح عن نفسه . أما الكاهن البشرى فيجب أن يكون إنساناً مثل غيره من الناس ويرتبط إرتباطاً كلياً بظروفهم . ويعيش معهم ويشعر بشعورهم . وفى هذا المجال يستعمل كلمة عجيبة هى كلمة « الترفق » وهذه الكلمة فى أصلها اليونانى لا يسهل ترجمتها حرفياً . وكان اليونانيون يعرفون الفضيلة دائماً بأنها الحلقة الوسطى بين نقيضين . وفى كل جانب يجد الإنسان نفسه متجهاً إلى طرف معين من هذين الطرفين ويحتمل سقوطه فيه . وأما فى الوسط فيجد الإنسان نفسه متخذاً طريق الصواب . كانت الفضيلة عند اليونان بمثابة ميزان أو هى الطريق السليم الذى يتوسط الطرفين المتناقضين، وهكذا عرّف اليونان فضيلة الترفق بأنها النقطة المتوسطة بين الحزن المفرط وعدم المبالاة المطلقة هى الشعور مع الناس بالطريق المناسب . وقد وضع أحد المفكرين تعريفاً للترفق فقال إنه الطريق الأوسط بين إنفجار الغضب والإفراط فى التكاسل . ويقول بلوتارك إن الصبر هو وليد الترفق وهو تلك العاطفة التى تقدر الإنسان على أن ينهض وينقذ ويشفق ويصغى . كما أن كاتباً يونانياً آخر كان يلوم إنساناً بأنه خال من الترفق لأنه لم يتصالح مع إنسان اختلف معه فى وجهات النظر إلى إحدى المسائل. إن الترفق كلمة عجيبة حقاً . إنها تحمل معنى القدرة على احتمال الناس من غير تهيج أو إنفعال . إنها تعنى القدرة على ضبط الإنسان لنفسه فلا يفقد طبعه مع الأغبياء الذين ليست

لهم قابلية للتعلم والذين يكررون الخطأ مرة ثانية وثالثة أو الذين فقدوا الإحساس والتمييز . هذه الفضيلة تصف الموقف الذى يجب أن نقفه مع الآخرين فلا نثور ضد أخطاء الناس وفى نفس الوقت لا نتساهل مع الأخطاء ولكننا فى آخر النهار نصلح هذه الأخطاء بالعطف الرقيق والقوى فى آن واحد . وبهذا الصبر نصوغ المخطئ فى قالب جديد فيبدأ السير فى الطريق السوى . هذا هو الموقف الذى لاينظر أبداً إلى إنسان كأنه غبى ضل طريقه بل يرى فيه إبناً لله وان يكن من الأبناء المعاكسين والمثيرين للمتاعب وهو يحتاج إلى معاملته بالرقة واللطف لكى يعود إلى الطريق الصحيح . ولا يستطيع إنسان ما أن يتعامل مع رفقائه ما لم يكن عنده هذا الترفق الصبور والقوى وهو هبة من هبات الله .

٣ ـ والصفة الجوهرية الثالثة التى يجب أن تتوفر فى الكاهن هى : ـ أنه لا ينبغى أن يعين نفسه للكهنوت ويجب أن يتلقى تعيينه من الله . إن الكهنوت ليس منصباً يسعى إليه الإنسان. إنه إمتياز ومجد يدعى إليه. إن خدمة الله بين الناس ليست وظيفة . إنها رسالة ودعوة ، وخادم الله لا يجب أن ينظر إلى ماضى حياته ويقول « أنا اخترت هذا العمل » بل يقول بالحرى « إن الله إختارنى ودعانى لهذا العمل لكى أعمله » .

والآن يمضى كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى حديثه عن يسوع المسيح ويرينا كيف تمم الشروط اللازمة للكهنوت .

١ ـ وهو يبدأ بالشرط الأخير أولا فيقول إن يسوع لم يقدم إلى عمله بمحض إختياره . إنما الله هو الذى اختاره لهذا العمل . وعند المعمودية جاء إليه صوت من السماء يقول « أنت إبنى أنا اليوم ولدتك » (مزمور ٢ : ٧)

٢ ـ جاز يسوع أقسى وأمر الاختبارات التى يجوزها الناس وهو يفهم الإنسانية فى مواضع قوتها وفى مواطن ضعفها .

وعند كاتب الرسالة إلى العبرانيين أربعة أفكار عظيمة عن يسوع

١ — الفكر الأول: إنه يذكر يسوع فى جشيمانى . عندما يتكلم عن يسوع فى صلواته وتضرعاته ودموعه وصراخه . والكلمة التى يستعملها عن الصراخ ذات دلالة قوية فهو الصراخ الذى لا يختاره الإنسان ولكنه الصراخ الذى يخرج بطريقة لا إرادية من شدة الألم. وهكذا يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن صراخ يسوع لم يكن من قبيل صراع أو أنين الروح البشرية . وعند معلمى اليهود كلمة مفادها إن هناك ثلاثة أنواع من الصلوات . وكل نوع أعلى من سابقه . هذه الأنواع الثلاثة هى الصلاة والصراخ والدموع . فالصلاة تقال فى صمت والصراخ هو صلاة بصوت مسموع ولكن الدموع تنتصر على كل شئ . وهذا صحيح فإنه لا يوجد باب لا تستطيع الدموع أن تدخله . وقد عرف يسوع المسيح صلاة الدموع التى تقتدر كثيراً فى فعلها .

٢ — والفكر الثانى هو أن يسوع تعلم الطاعة من كل اختبارات الحياة التى مر فيها لأنه قابلها جميعاً بكل خشوع وتقوى . فقد تعلم يسوع من كل ما تألم به ، ومن الغريب أن الكتاب اليونانيين كانوا دائماً يربطون التعلم بالألم . وكان أسكيلوس الروائى العظيم يقول دائما إن التعلم يأتى كنتيجة مباشرة للألم وهو يقول عن الألم إنه نعمة قاسية من نعم الآلهة . وصرح هيرودتيس أن الآلام طرق غير كريمة لكنها تؤدى إلى التعلم ويقول شاعر معاصر بلسان الشعراء « تعلمنا فى مدرسة الألم ما نعلمه للناس فى الأغانى والأناشيد » . إن الله يتكلم للإنسان فى إختبارات الحياة الكثيرة والمتنوعة ولا سيما الإختبارات التى تمتحن قلوب الناس ونفوسهم لكننا نستطيع فقط أن نسمع ذلك الصوت من الله عندما نقبل ما يأتى إلينا فى خشوع وتقوى . وإذا كنا نقبل الألم بامتعاض وتذمر فإن صرخات قلوبنا الثائرة والمتمردة تصم آذاننا فلا نسمع صوت الله .

٣ — والفكر الثالث هو أن يسوع قد كمل عن طريق هذه الإختبارات

التى جازها . ويقول اليونان عن شئ إنه كامل إذا كان يؤدى تماماً الغرض الذى صنع لأجله . وعندما يذكر الكاتب هذه الكلمة عن يسوع لا يقصد كمالا نظرياً مجرداً لكنه يرمى إلى كمال المهمة التى جاء لأجلها . وما يريد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يقوله هو أن كل الاختبارات والآلام التى جازها يسوع وأعطته الصلاحية الكاملة ليصير فادى ومخلص الناس . إنه كان قادراً أن يخلص الناس لأنه عبر كل واد مظلم من أودية الحياة التى يتحتم على كل إنسان أن يعبرها .

٤ ـ والفكر الرابع والأخير هو أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول إن الخلاص الذى جاء به يسوع للناس هو خلاص أبدى . إنه خلاص يحفظ الإنسان آمناً فى الزمن الحاضر وفى الأبدية . ومع المسيح يكون الإنسان فى أمان تام ويبقى فى أمان إلى آباد الدهور . وليس هناك ظروف منظورة أو غير منظورة تستطيع أن تخطف المؤمن من يد المسيح .

رفض النمو

ٱلَّذِى مِنْ جِهَتِهِ ٱلْكَلَامُ كَثِيرٌ عِنْدَنَا وَعَسِرُ ٱلتَّفْسِيرِ لِنَنْطِقَ بِهِ إِذْ قَدْ صِرْتُمْ مُتَبَاطِئِى ٱلْمَسَامِعِ . لِأَنَّكُمْ إِذْ كَانَ يَنْبَغِى أَنْ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ لِسَبَبِ طُولِ ٱلزَّمَانِ تَحْتَاجُونَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ مَاهِيَ أَرْكَانُ بَدَاءَةِ أَقْوَالِ ٱللهِ وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى ٱللَّبَنِ لاَ إِلَى طَعَامٍ قَوِيٍّ . لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ ٱللَّبَنَ هُوَ عَدِيمُ ٱلْخِبْرَةِ فِى كَلَامِ ٱلْبِرِّ لِأَنَّهُ طِفْلٌ . وَأَمَّا ٱلطَّعَامُ ٱلْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ ٱلَّذِينَ بِسَبَبِ ٱلتَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ

ٱلْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى ٱلتَّمْيِيزِ بَيْنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ » .

(عبرانيين ٥ : ١١ – ١٤)

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يعالج فى هذا الفصل الصعوبات التى تواجهه وهو يحاول أن يقدم لقارئيه مفهوماً لائقاً وكافياً للمسيحية .

ويلتقى هنا وجهاً لوجه بصعوبتين كبيرتين : الصعوبة الأولى هى أن الفهم الكامل للإيمان المسيحى ليس من السهولة بحيث يمكن استيعابه فى فترة قصيرة من الزمن . فهو يتطلب وقتاً للتعليم ويحتاج إلى مجهود للتعلم .

والصعوبة الثانية هى أن آذان هؤلاء السامعين قد ثقل سماعها والكلمة التى يستعملها الكاتب للتباطؤ مليئة بالمعنى . وفى اللغة اليونانية تحمل معنى التحرك البطئ فى العقل أو البلادة فى الفهم أو الكسل فى التعلم أو كثرة النسيان ويجوز استعمالها للأطراف الفاقدة الحس عند الحيوان بسبب المرض أو يوصف به الشخص الذى فقد الإدراك كأنه حجر من الأحجار .

وكأنى بالكاتب هنا يريد أن يقول كلمة لمن يقومون بواجب الكرازة أو التعليم . إنه يحدث أحياناً أننا نتهرب من تعليم عقيدة ما بحجة أنه صعب على المستمعين لنا أن يدركوها ولا نحاول أبداً توضيح العقائد الصعبة للناس أو تبسيطها لهم بقدر الإمكان . ويحدث أحياناً أننا نبرر هذا الموقف بأن كنائسنا أو تلاميذنا لا يدركون أو يفهمون هذه العقائد . وهذه فى الواقع إحدى المآسى فى كنائسنا . فإننا لا نبذل أقل مجهود فى تقديم معرفة جديدة أو أفكار جديدة للناس . ونحن لا ننكر أن القيام بمثل هذه المهام من أصعب الأمور ولا ننكر أيضاً أننا فى محاولة القيام بهذا الواجب نلتقى بعقول مقفلة أو متعصبة لفكرة قديمة . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لا يتردد فى تقديم رسالته للناس ولو أنه كان من الصعب عليهم أن يفهموها . وبالرغم من أن عقول

سامعيه كانت بطيئة فى التعلم ، إلا أنه كان يرى أن مسئوليته العظمى تقوم على توصيل الحق للناس . إن شكواه تتلخص فى أن سامعيه اعتنقوا الديانة المسيحية من سنين طويلة لكنهم لا يزالون أطفالا ولم يصلوا إلى مرحلة النضوج الفكرى . والمقارنة بين المسيحى الناضج والمسيحى الطفل ، وبين اللبن والطعام القوى وردت كثيراً فى أسفار العهد الجديد (بطرس الأولى ٢ : ٢ ، كورنثوس الأولى ٢ : ٦ ، ٣ : ٢ ، ١٤ : ٢٠ ، أفسس ٤ : ١٣) .

وهو يقول لهم أنه كان يجب عليهم بعد هذه السنين الطويلة أن يكونوا معلمين . وليس من الضرورى أن يؤخذ هذا الكلام حرفياً . إن اليونانيين عندما كانوا يقولون عن إنسان أنه أصبح قادراً على التعليم كانوا يقصدون أن ذهنه قد تفتح وأصبح قادراً على إدراك الموضوع المعروض أمامه . ويقول الكاتب أنهم لا يزالون فى حاجة إلى من يعلمهم الأركان الأولى للديانة المسيحية. وكلمة « أركان » فى اللغة اليونانية تحمل عدة معان ، ففى اللغة تعنى الحروف الأبجدية . وفى الطبيعة يقصد بها العناصر الأربعة الأساسية التى يتكون منها العالم . وفى الهندسة تفيد عناصر البرهان مثل النقطة والخط المستقيم . وفى الفلسفة معناها المبادئ الأساسية الأولى التى يبدأ بها الطالب دراسته . وهذا هو الحزن الذى يملأ قلب كاتب الرسالة إلى العبرانيين أنه بعد سنين كثيرة من إعتناق المسيحية لم يتقدموا خطوة واحدة بعد هذه الأركان الأولى للمسيحية فهم مثل الأطفال الذين لا يعرفون أن يميزوا بين الخير والشر . وهنا يقف كاتب الرسالة إلى العبرانيين وجهاً لوجه أمام مشكلة تلازم الكنيسة جيلا بعد جيل . إنه يواجه مشكلة المسيحى الذى يرفض النمو .

١ — إن المسيحى يمكن أن يرفض النمو فى المعرفة ويمكن أن يكون مذنباً فيما يسميه أحدهم بالعجز الناتج عن إهمال الفرص السانحة . وهناك أشخاص كثيرون يرددون دائماً القول بأن ما كان نافعاً لآبائهم ينفعهم أيضاً . وهناك

عدد كبير من المسيحيين لم يتقدم إيمانهم عما كان عليه من ثلاثين أو أربعين أو خمسين أو ستين سنة . كذلك يوجد عدد من المسيحيين الذين يرفضون باصرار محاولة فهم ما جاءت به الدراسات اللاهوتية الحديثة . إنهم رجال بالغون ونساء ناضجات لكنهم من جهة النضوج الديني لا يزيدون عن أطفال ويصرون بإلحاح على البقاء على ما هم عليه . وهم مثل الطبيب الجراح الذى يرفض الاستعانة بالطرق الحديثة فى الجراحة ويبرر موقفه بالقول إن ما كان صالحاً وكافياً للطبيب المشهور « ليستر » هو الصالح والكافى له . هم مثل الأطباء الذين يرفضون إستخدام البنسلين أو السلفاناميد أو غيره من الأدوية الحديثة وحجتهم فى ذلك أن ما كان نافعاً لطالب الطب من خمسين سنة كاف لهم . أما فى الأمور الدينية فإن الموقف أردأ وأكثر سوءاً . إن الله لا تحده حدود وإن غنى المسيح لا يستقصى وسنبقى إلى الأبد نتأمل ونبحث فى هذه الأمور العميقة .

٢ — وهناك أيضاً أشخاص لا يتقدمون فى سلوكهم . قد نغفر للطفل الغضوب أو لمن يتعرض لنوبات من الطبع الحاد أو لمن يرفض اللعب إذا لم تسر الأمور وفقاً لرغبته الخاصة ولكن لا يزال فى كنائسنا أشخاص كبار السن ولكنهم يتصرفون تصرفات صبيانية فى سلوكهم كأنهم أطفال صغار . من الناحية الجسمية هم ناضجون وأما من ناحية السلوك المسيحى فلا يزالون أطفالا لا يتقدمون إلى ما هو أفضل .

إن حالة عدم التقدم مدعاة للأسى بدون شك والعالم ملئ بأشخاص من هذا القبيل توقف نموهم المسيحى عند نقطة معينة ولا يزالون يفكرون بعقلية طفل صغير كما أن سلوكهم لا يزال سلوك طفل صغير . صحيح أن

المسيح قال أن أعظم شئ فى العالم هو روح الطفولة ولكن هناك فرق كبير بين روح الطفولة البريئة والروح الصبيانية الساذجة .

لنحترس لئلا تكون ديانتنا كل أيام حياتنا ديانة فى دور الطفولة . بينما كان الواجب علينا أن نصل إلى إيمان البالغين . ولنحترس أيضاً لئلا يكون سلوكنا لا يزال سلوك أطفال بينما كان من الواجب علينا أن نسلك سلوك الرجال البالغين والنساء الناضجات .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلسَّادِسُ

لزوم التقدم

«لِذٰلِكَ وَنَحْنُ تَارِكُونَ كَلَامَ بِدَاءَةِ ٱلْمَسِيحِ لِنَتَقَدَّمْ إِلَى ٱلْكَمَالِ غَيْرَ وَاضِعِينَ أَيْضاً أَسَاسَ ٱلتَّوْبَةِ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ ٱلْمَيِّتَةِ وَٱلْإِيمَانِ بِٱللهِ تَعْلِيمَ ٱلْمَعْمُودِيَّاتِ وَوَضْعَ ٱلْأَيَادِي قِيَامَةَ ٱلْأَمْوَاتِ وَٱلدَّيْنُونَةَ ٱلْأَبَدِيَّةَ . وَهٰذَا سَنَفْعَلُهُ إِنْ أَذِنَ ٱللهُ » .

(عبرانيين ٦ : ١ – ٣)

كان كاتب الرسالة إلى العبرانيين مهتما ومشدداً على لزوم التقدم فى الحياة المسيحية ، وليس هناك معلم يستطيع أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام إذا كان يكرر ويعيد ما ابتدأ أن يعلم به . إن التقدم يصبح أمراً مستحيلا إذا كنا نقول كل مرة ما ابتدأنا به . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول إن قراء رسالته يجب أن يتقدموا إلى الكمال . فما الذى يقصده الكاتب من الكمال ؟ كان « فيثاغورس » يقسم تلامذته إلى قسمين : المتعلمين والبالغين . أما « فيلو » فكان يضع تلامذته فى ثلاثة مستويات وهم المبتدئون حديثاً والمتقدمون والداخلون إلى مرحلة النضوج . فالكمال المقصود ليس معناه كمال المعرفة ولكنه يتضمن درجة معينة من النضوج فى الإيمان المسيحى . إن الكمال الذى يقصده الكاتب بصورة أوضح : —

١ — يقصد كمالا فى العقل . فإن الإنسان وهو يتقدم فى السنين لا بد أن يتسع عقله فيستطيع أن يكون له آراء شخصية كونها بنفسه . وعلى سبيل المثال يجب أن يكون قادراً على الحكم عما يجب أن يكون عليه المؤمن بالمسيح . ويجب أن يكون له إدراك أعمق ليس فقط فى حقائق الإيمان المسيحى بل فى التطبيق العملى لهذه الحقائق .

٢ — ومع التقدم فى الأيام يجب أن يحصل على قدر متزايد من إنعكاس المسيح على حياته : وبصفة مستمرة يجب أن يطرح جانباً الأخطاء القديمة ويتزين بالفضائل الجديدة . والحياة — مع تقدمها فى السنين — يجب أن تكون أكثر محبة وأكثر قوة وأكثر لطفاً . وفى كل يوم يجب أن تتحلى حياته بنبل جديد وسمو جديد . كما يقول شاعر مجهول :

لأكن نامياً فى المحبة مع تقدمى فى الأيام ، وأنمو فى كل شئ جميل آخر
فإن العاج أو الذهب أو الحرير
لا تحتاج أن تكون جديدة
لأنها مع تقدمها فى الأيام زادت جاذبيتها
وإنك تجد الشفاء فى الأشجار القديمة
وكذلك الشوارع والمنازل العتيقة
لها ذكرياتها العـــزيزة
لماذا لا أكون أنا مثـــل هذه
فأنمو فى المحبة وجمال الأخلاق
مــع تقدمى فى الأيــام

ولا يصح بأى حال من الأحوال أن نتوقف عن التقدم فى الحياة المسيحية. ويقال إن « كرومويل » كان يحمل نسخة من الكتاب المقدس وقد كتب على

صفحتها الأولى شعاراً باللغة اللاتينية مفاده « من يتوقف عن أن يكون أحسن وأصلح من ذى قبل فلن يكون حسناً ولا صالحاً »

ما هى إذن الحقائق الأساسية للحياة المسيحية ؟ :

إن هذا الفصل الموضوع أمامنا للدرس طلى ومستحب لأنه يتيح لنا أن نعرف ما هى العقائد التى كانت الكنيسة الأولى تعتبرها أركاناً أساسية فى الديانة المسيحية .

١ — الركن الأول هو التوبة عن الأعمال الميتة . إن الحياة المسيحية تبدأ بالتوبة . وما هى التوبة بمعناها الحرفى إلا تغييراً فى العقل . يبدأ المسيحى حياته الجديدة باتجاه جديد إلى الله ، وإلى الناس ، وإلى الحياة ، وإلى نفسه . وهى توبة عن الأعمال الميتة . وماذا كان يقصد الكاتب بهذا التعبير الغريب ؟ لعله كان يقصد بالأعمال الميتة أشياء كثيرة من أهمها : —

(ا) الأعمال الميتة قد تكون أعمالا تجلب الموت وهى أعمال الخلاعة والأنانية والإلحاد والكراهية والأعمال التى تشين السمعة ، وهذه هى الأعمال التى تؤدى إلى الموت .

(ب) وقد تكون هذه الأعمال الميتة أعمالا تلوث الجسم . وعند اليهودى كان مجرد ملامسة جسم الميت أعظم تلويث له . وكان فى هذه الحالة يعتبر نجساً ومحروماً من عبادة الله إلى أن يتطهر . إن الأعمال الميتة يمكن أن تكون الأعمال التى تلوث الإنسان وتفصله عن الله .

(حـ) وقد تكون الأعمال التى ليس لها أدنى صلة بالأخلاق . وكانت الحياة عند اليهودى مجموعة فرائض وطقوس . وإذا استطاع أن يؤدى الطقوس الخارجية المناسبة فى الوقت المناسب ، وإذا استطاع أن يقدم الذبائح الحيوانية كان هو الشخص الصالح .

ولكن لاشئ من هذه الممارسات له صلة بالأخلاق . وقد يكون قصد الكاتب أن المسيحى قطع صلته بهذه الطقوس التى لا معنى لها لكى يتفرغ للأشياء التى تعمق أخلاقه وتنمى نفسه .

٢ – والركن الثانى من هذه الأركان المبدئية هو الإيمان بالله . إن الشئ الجوهرى الأول فى الحياة المسيحية هو التطلع إلى الله . إن المسيحى ينتظر المديح من الله لا من الناس . وهو يحدد أعماله لا بما يحكم به الناس ولكن بما يحكم به الله . وهو لا ينظر إلى أعماله لكى يحصل على الخلاص بل إلى نعمة الله . إنه يرفع عينيه إلى الله وإلى الله وحده كالمرشد لحياته والمخلص لنفسه .

٣ – والركن الثالث هو تعليم المعموديات . وهذا معناه أن المسيحى ينبغى عليه أن يتحقق مما تعنيه المعمودية . إن الكتاب الأول الذى يحوى التعاليم المسيحية للراغبين فى الانضمام لعضوية الكنيسة هو كتاب صغير الحجم إسمه « الدسقولية أو تعاليم الرسل » وقد كتب حول سنة ١٠٠ بعد الميلاد . وهو شرح النظم الخاصة بالمعمودية المسيحية . ولا يفوتنا الآن أن نذكر أن معمودية الأطفال لم تكن قد دخلت بعد فى ذلك الوقت . كان طالبوا العماد يأتون مباشرة من الوثنية وكانت المعمودية تتضمن قبولا فى الكنيسة وإقراراً بالإيمان . وتبدأ الدسقولية بستة فصول قصيرة عن الإيمان المسيحى والحياة المسيحية . وهى تبدأ بتوجيه طالب المعمودية إلى ما يجب أن يؤمن به وكيف يحيا بما يؤمن به ، وأما فى الفصل السابع فتمضى الدسقولية هكذا :

« بشأن المعمودية عمد طالب العماد بهذه الكيفية . عندما تفرغ من تعليمه كل هذه العقائد والواجبات عمده باسم الأب والابن والروح القدس فى مياه جارية . وإذا لم يكن عندك مياه جارية عمده بأى نوع آخر من المياه . وإذا لم تقدر أن تعمده بالماء البارد عمده بالماء الدافئ . وإذا لم يكن متيسراً لك هذا الماء أو ذاك ، أسكب الماء ثلاث مرات على رأس الطالب باسم الأب والإبن

والروح القدس . وقبل المعمودية ليصم المعمد والمعمد وليصم الآخرون إذا استطاعوا ذلك . ويلزمك أن تأمر طالب العماد أن يصوم يومين أو ثلاثة أيام قبل إجراء هذه الفريضة المقدسة » .

وهذا شئ ممتع حقاً فهو يرينا أن المعمودية فى الكنيسة الأولى كانت تمارس بالتغطيس متى كان ذلك ممكناً ويرينا أيضاً أن طالب المعمودية كان يغطس أو يسكب أو يرش عليه الماء ثلاث مرات باسم الأب والإبن والروح القدس . ويرينا ثالثاً أن المعمودية كان يسبقها دروس فى التعليم والإرشاد . ويرينا رابعاً أن طالب المعمودية كان يستعد لها ليس فقط بعقله بل بروحه لأنه كان يجب عليه أن يصوم استعداداً للمعمودية . وفى الأيام الأولى للكنيسة لم يكن لأحد أن يدخل إلى عضوية الكنيسة من غير أن يعرف ما الذى سيقوم به من عمل . وهكذا يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين « عند معموديتكم كنتم تتعلمون أساس الإيمان المسيحى ولا حاجة بكم أن تعودوا إلى هذا الكلام مرة ثانية ويجب أن تتقدموا إلى الكمال وأن تضعوا إيماناً أكمل على الأساس الذى تعلمتوه من قبل » .

٤ — والركن الرابع هو وضع الأيدى . وفى ممارسة الشعائر اليهودية كان وضع الأيدى يدل على ثلاث دلالات : —

(ا) كان علامة على إنتقال الذنب ، كان مقدم الذبيحة يضع يديه على رأسها رمزاً إلى إنتقال الذنب منه ووضعه على رأس الذبيحة التى يقدمها .

(ب) كان علامة على إنتقال البركة . وعندما كان الأب يبارك إبنه كان يضع يديه على رأس إبنه رمزاً لتلك البركة .

(حـ) كان علامة الإفراز لوظيفة معينة . كان الإنسان يفرز للخدمة

بوضع الأيدى عليه . وفى الكنيسة الأولى كان وضع الأيدى يرافق دائماً المعمودية . وكان الطريق إلى حلول الروح القدس على الشخص المعمد حديثاً (أعمال ٨ : ١٧ و ١٩ : ٦) ولا يجب أن نظن أن وضع الأيدى كان شيئاً مادياً أو حرفياً . فى تلك الأيام كان الرسل يعاملون باحترام وتوقير لأنهم كانوا فعلا أصدقاء يسوع عندما كانوا معه على هذه الأرض . وكان شيئاً له روعته أن يحصل إنسان على لمسة من أحد أولئك الذين لمستهم يد يسوع . كان تأثير وضع الأيدى لا يعتمد على وظيفة الإنسان الذى يضع الأيدى ولكن على أخلاقه وقربه من المسيح .

٥ — الركن الخامس كان القيامة من الأموات . كانت المسيحية منذ نشأتها ديانة الخلود إذ أعطت الإنسان عالمين يعيش فيهما وعلمته أن العالم الأفضل هو العالم الآتى. وبذلك جعلت هذا العالم مدرسة للتدريب والإعداد للأبدية .

٦ — والركن السادس هو الدينونة الأبدية . كانت الديانة المسيحية من البدء تنادى بالدينونة العتيدة أن تكون ولم يكن للمسيحى أن ينسى على الإطلاق أنه فى النهاية لا بد له أن يواجه الله . وكان حكم الله عن إنسان أهم بمراحل من حكم الناس له أو عليه . وكانت تقدم له هذه الحياة ليحرص كل الحرص على إرضاء الله فى حياته وكان أقل شئ عنده أن يرضى عنه الناس .

صلب المسيح ثانية

« لِأَنَّ ٱلَّذِينَ ٱسْتُنِيرُوا مَرَّةً وَذَاقُوا ٱلْمَوْهَبَةَ ٱلسَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ ٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ وَذَاقُوا كَلِمَةَ ٱللهِ ٱلصَّالِحَةَ

وَقُوَّاتِ ٱلدَّهْرِ ٱلْآتِي وَسَقَطُوا لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضاً لِلتَّوْبَةِ إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لِأَنْفُسِهِمُ ٱبْنَ ٱللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ . لِأَنَّ أَرْضاً قَدْ شَرِبَتِ ٱلْمَطَرَ ٱلْآتِيَ عَلَيْهَا مِرَاراً كَثِيرَةً وَأَنْتَجَتْ عُشْباً صَالِحاً لِلَّذِينَ فُلِحَتْ مِنْ أَجْلِهِمْ تَنَالُ بَرَكَةً مِنَ ٱللهِ . وَلٰكِنْ إِنْ أَخْرَجَتْ شَوْكاً وَحَسَكاً فَهِيَ مَرْفُوضَةٌ وَقَرِيبَةٌ مِنَ ٱللَّعْنَةِ ٱلَّتِي نِهَايَتُهَا لِلْحَرِيقِ » .

(عبرانيين ٦ : ٤ – ٨)

هذا الفصل هو من أشد الفصول رعباً فى الكتاب المقدس . فهو يبدأ ببيان إمتيازات الحياة المسيحية . فالمسيحى قد استنير مرة . وفكرة الاستنارة مألوفة فى العهد الجديد ، وهى تعود بنا بلا شك إلى صورة يسوع بوصفه نور العالم ، النور الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم (يوحنا ١ : ٩ و ٩ : ٥) وكما قال « بلنى » الشهيد « عندما سمعت الكلمات القائلة أن المسيح يسوع قد جاء إلى العالم ليخلص الخطاة ، أحسست كأن نهاراً قد أشرق فى نصف ليلة مظلمة » إن نور المعرفة ونور الفرح ونور الإرشاد ، هذه الأنوار كلها تشرق على إنسان مع المسيح . وقد ارتبطت فكرة الاستنارة بالمسيحية لدرجة أن الاستنارة أصبحت مرادفة للمعمودية.وأن الفعل « يستنار » أصبح مرادفاً للفعل « يعمد » . وفى الحقيقة هذه هى الكيفية التى قرأ بها أشخاص كثيرون هذه الكلمة وفهموا المقصود بهذه العبارة بأنه ليس فى الإمكان مغفرة الخطايا التى ارتكبت بعد المعمودية . وحدث فعلا فى بعض الأزمنة والأمكنة فى تاريخ الكنيسة أن المعمودية تأجلت إلى ساعة الموت أملا فى الحصول على مغفرة الخطايا . وهذه الفكرة سنناقشها فيما بعد .

والمسيحي قد ذاق الموهبة السماوية : وفى المسيح فقط يقدر الإنسان أن يكون فى سلام مع الله . إن الغفران ليس شيئاً يقدر أن يحصل عليه الإنسان بالاكتساب والاستحقاق . إنه عطية مجانية . فقط عندما يأتى إلى الصليب ينزاح هذا الحمل من على قلبه . إن المسيحى هو شخص يعرف الراحة القصوى من اختياره هذه العطية المجانية — عطية مغفرة الخطايا . إن شيئاً ما قد صنع له ولا يمكنه بأية حال أن يصنعه لنفسه .

والمسيحى قد صار شريكاً فى الروح القدس : إن المسيحى شخص له فى حياته موجه جديد ، وقوة جديدة ، وحضور جديد . اكتشف وجود قوة جديدة تستطيع أن تخبره : ماذا ينبغى له أن يفعل وتقويه على فعله . لقد وجد إتماماً وتحقيقاً لوعد الروح القدس .

والمسيحى قد ذاق كلمة الله الصالحة : وهذه صورة ثانية للقول بأنه اكتشف الحق . ومن الخواص الأساسية للناس أنهم بغرائزهم يتبعون الحق كما يتبع الأعمى النور . إنه جزء من عقاب الإنسان ومن امتيازه أيضاً أنه لا يهدأ ولا يستريح إلا إذا عرف معنى الحياة . وفى كلمة الله نجد الحق وفى كلمة الله نجد معنى الحياة .

والمسيحى قد ذاق قوات الدهر الآتى : إن اليهودى والمسيحى على السواء قسما الزمن إلى عصرين وهما العصر الحاضر والعصر الآتى . والعصر الحاضر هو العصر الملئ بالشرور الغارق فى الخطية . أما العصر الآتى فسيكون كله خيراً وسيكون بأكمله لله . وفى يوم ما سيأتى الله فجأة ويتدخل بسلطانه فى كل شئ وسيأتى الخراب الساحق والدينونة الرهيبة عند مجئ يوم الرب . وعندئذ سينتهى هذا العصر الحاضر ويبدأ الدهر الآتى . لكن المسيحى هو شخص قد ذاق سعادة وسلام وقوة الدهر الآتى الذى يسيطر عليه الله وحتى فى هذا العصر الحاضر يتذوق المسيحى شيئاً من أمجاد الأبدية :

إن السماء من فوقنا لها زرقة ألطف
والأرض من حولنا لها خضرة أجمل
وشئ ما يحيا فى كل لون من الألوان
لا تقدر أن تراه العيون الغير المسيحية
إن العصافير تغنى أغانى أكثر إبتهاجاً
والأزهار تلمع بجمال أكثر ضياءاً
هذا كله قـــد حدث لى
من يوم أن صار المسيح لى وصرت أنا للمسيح

وهكذا يضع كاتب الرسالة إلى العبرانيين بياناً مشرفاً ولامعاً لأمجاد الحياة المسيحية ولكنه فى نهاية هذا البيان تأتى فجأة كلمة كأنها دقات الناقوس إيذاناً بوفاة أو كارثة . هذه الكلمة هى « وسقطوا » ما يقصد الكاتب بقوله إن هؤلاء المرتدين لا يمكن تجديدهم مرة ثانية للتوبة ؟ إن عدداً كبيراً من المفكرين حاولوا أن يجدوا طريقاً حول هذه الكلمة « لا يمكن تجديدهم » . فمن رأى « إراسموس » أن استحالة التجديد يمكن أن تؤخذ بمعنى أنه من الصعب تجديدهم وهى صعوبة تصل إلى حد الاستحالة . ويقول « بنجل » : « إن غير المستطاع لدى الإنسان مستطاع لدى الله ومن واجبنا أن نضع هؤلاء المرتدين تحت رحمة الله الواسعة ومحبته الفريدة وتأثيره العظيم » ولكننا عندما نقرأ هذا الفصل يجب أن نذكر أنه كتب فى عصر الاضطهاد . وفى أى عصر من عصور الاضطهاد يستطيع الإنسان أن ينقذ نفسه بمجرد إنكاره للمسيح . وكل شخص فى سبيل إنقاذ حياته أو توفير الراحة لنفسه ينكر المسيح يكون فى نفس الوقت قد سدد ضربة قاضية على الكنيسة لأن هذا معناه أن حياته أو راحته هما فى الواقع أغلى عنده من سيده . وهذا معناه إن هنالك أشياء أثمن وأعظم عنده من يسوع المسيح . وهذه

الطريقة الخاصة فى وضع الأشياء كان لها دخل دائما أثناء الاضطهاد وبعد انتهاء فترة الاضطهاد . فبعد مائتى سنة من تاريخ كتابة هذه الرسالة حل على الكنيسة الاضطهاد المريع فى عهد الامبراطور دقلديانوس وعندما جاء السلام بعد العاصفة كان المحك الوحيد الذى أراد البعض أن يطبقوه على كل مسيحى هو هذا السؤال : هل أنكرت المسيح فى سبيل النجاة بحياتك ؟ وإذا كان قد أنكر المسيح كانوا يغلقون الباب فى وجهه ويبقى الباب مغلقاً إلى نهاية حياته . ويروى انه عندما سئل أحد أعضاء الكنيسة عما عمله أثناء الثورة الفرنسية كان يهمس قائلا « لقد نجوت بنفسى » وكانت هذه هى نفس الدينونة للرجل الذى أحب حياته أكثر من محبته للمسيح . ولكن لم يقصد أبداً أن يكون هذا الفصل أساساً فى حرمان الإنسان من غفران خطاياه التى ارتكبها بعد المعمودية . من ذا الذى يستطيع أن يقول ان خطايا إنسان ماقد تعدت حدود غفران الله . وكل ماقصد من هذا الفصل أن يبين الخطورة المريعة فى إختيار الحياة بدلا من إختيار المسيح .

ويمضى كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى التصريح بشىء مريع آخر فيقول إن الذين يسقطون وينكرون المسيح يصلبون المسيح ثانية . وهذه هى النقطة التى بنيت عليها أسطورة «كوفادس » . تقول الإسطورة أن بطرس قبض عليه فى روما أثناء إضطهاد نيرون . وضعف بطرس وهو مقبوض عليه وخانته شجاعته وهرب لحياته . وفيما هو سائر فى طريق « أبيا » التقى فجأة بشخص يعترض طريقة وتفرس فيه وعرف أنه يسوع نفسه وسأله بطرس « إلى اين أنت ذاهب ياسيدى » ؟ وأجابه يسوع « يابطرس إنى ذاهب إلى روما لكى أصلب هذه المرة ثانية بالنيابة عنك » وأعادت إليه هذه الكلمة بطولته ورجع إلى روما ومات موت شهيد . وجاء فيما بعد فى التاريخ الرومانى امبراطور جديد حاول أن يرجع عقارب الساعة إلى

الوراء . وكان اسمه « جوليان » وصمم على أن يلاشى المسيحية من الوجود وأن يعيد عبادة الآلهة الوثنية القديمة وانتهت محاولاته بالفشل الذريع ويجعله « إبسن » الروائى يقول فى إحدى رواياته « أين المسيح الآن ؟ هل لايزال يعمل فى مكان آخر من يوم أن علق على الصليب ؟ أين هو الآن ؟ ماذا لو أن الذى حدث فى الجلجثة بالقرب من أورشليم يتكرر حدوثه الآن ؟ وماذا لو أنه يمضى فى طريقه فيتألم وينتصر مرة ثانية وثالثة وينتقل فى إنتصاراته من عالم إلى عالم ومن جيل إلى جيل » ؟ ولابد أن هذه العبارة « صلب المسيح ثانية » تحمل مفهوما من أروع المفاهيم فى كل تاريخ الفكر المسيحى . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين قد رأى الصليب كحادث فتح نافذة إلى قلب الله . رأى الصليب مبينا فى لحظة من الزمان المحبة المتألمة الباقية إلى الأبد فى قلب الله وكأن الله يقول للناس عن الصليب « هذه هى الصورة التى أحببتكم بها دائماً . وبهذه الكيفية سأظل محبا لكم إلى الأبد . إن خطايا الناس قد فعلت بى هكذا دائماً . وفى كل مرة يخطىء الناس ضدى يكونون بمثابة من يصلبنى ثانية وسأبقى على هذه الحال إلى أن يكف الناس عن إرتكاب الخطايا ولا يعودون إلى فعلها ثانية » . وطالما كانت الخطية على الأرض فإن قلب الله سيظل متألما وأن محبة الله الفادية المتألمة ستبقى كذلك إلى أن تمحى الخطية من الوجود . إننا عندما نخطىء نصلب المسيح ثانية . إن الخطية لاتكسر فقط شريعة الله ولكنها بالأكثر تكسر قلب الله . وهذا هو الحق أننا عندما نسقط ونخطىء نصلب المسيح ثانية .

وزد على ذلك يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين عندما نسقط فى الخطية نشهر بالمسيح . أى أننا نجعل من المسيح مظهرا للسخرية والاستهزاء به وكيف يكون ذلك؟ عندما نخطىء يقول العالم «هذا هو كل ماتستحقه المسيحية . هذا هو كل مايستطيع المسيح أن يفعله. وهذا هو كل ما انجزه الصليب فىحياة

المسيحيين » . إنه شيء مخجل أن يخطىء عضو فى الكنيسة إذ هو يجلب الخزى إلى نفسه ويفقد الناس الثقة فى الكنيسة ولكن ماهو أردأ من ذلك أنه بسقوطه فى الخطية يفتح المجال أمام الناس لكى يهزأوا بالمسيح ويجعلوه سخرية فى أفواههم . إنه يخجل سيده ويجعل الصليب أضحوكة على ألسنة الناس .

ويمكننا أن نشير إلى شيء آخر فى نهاية هذا الفصل . لقد لوحظ أنه فى الرسالة إلى العبرانيين توجد أربعة أشياء مستحيلة . الاستحالة الأولى هى ماجاء ذكرها فى هذا الفصل أما الثلاثة الاستحالات الأخرى فهى . .

١ ــ يستحيل على الله أن يكذب (٦ : ١٨) .

٢ ــ يستحيل على دماء الغنم والتيوس أن تزيل الخطية (١٠ : ٤) .

٣ ــ بدون إيمان يستحيل إرضاء الله (١١ : ٦) .

الجانب البهيج

«وَلٰكِنَّنَا قَدْ تَيَقَّنَّا مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا ٱلأَحِبَّاءُ أُمُوراً أَفْضَلَ وَمُخْتَصَّةً بِٱلْخَلاَصِ وَإِنْ كُنَّا نَتَكَلَّمُ هٰكَذَا . لأَنَّ ٱللهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ حَتَّى يَنْسَى عَمَلَكُمْ وَتَعَبَ ٱلْمَحَبَّةِ ٱلَّتِي أَظْهَرْتُمُوهَا نَحْوَ ٱسْمِهِ إِذْ قَدْ خَدَمْتُمُ ٱلْقِدِّيسِينَ وَتَخْدِمُونَهُمْ وَلٰكِنَّنَا نَشْتَهِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يُظْهِرُ هٰذَا ٱلاجْتِهَادَ عَيْنَهُ لِيَقِينِ ٱلرَّجَاءِ إِلَى ٱلنِّهَايَةِ لِكَيْ لاَ تَكُونُوا مُتَبَاطِئِينَ بَلْ مُتَمَثِّلِينَ بِٱلَّذِينَ بِٱلإِيمَانِ وَٱلأَنَاةِ يَرِثُونَ ٱلْمَوَاعِيدَ » .

(عبرانيين ٦ : ٩ ــ ١٢)

لايفوتنا أن نلاحظ كلمة مهمة فى هذا الفصل الوحيد فى كل الرسالة حيث يخاطب الكاتب قومه « بالأحباء » وبعد أن نطق بأقسى العبارات فى الفصل الماضى يستعمل عبارات المحبة الرقيقه معهم . كأنى به يقول لهم .. «لولا محبتى الكثيرة لكم ماكنت أكلمكم بهذه الصرامة» . وقد فسر يوحنا فم الذهب هذه العبارة بقوله « من الأفضل أن أخيفكم بالأقوال من أن أحزنكم بالأفعال » . إن الكاتب يقول الحق ولكن مهما كان الحق صارماً وقاسياً فهو ينطق به بروح المحبة .

وفضلا عن ذلك فإن الصورة التى يتكلم بها ترينا كيف كانت محبته موجهة إلى كل فرد منهم على حدة . فهو يقول « ولكننا نشتهى أن كل واحد منكم يظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية » فهو لا يفكر فيهم كمجموعة ولكن كأفراد من رجال ونساء يعرفهم ويحبهم . وبهذا المعنى يقول « الدكتور تونير » فى كتابه « حالات طبية » فيما يسميه بالجوانب الشخصية فى الكتاب المقدس « إن الله يقول لموسى عرفتك باسمك » (خروج ٣٣ : ١٧) ويقول لكورش « لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك » (أشعياء ٤٥ : ٣) . هذه الآيات وأمثالها تعبر عن أهمية الجوانب الشخصية فى الكتاب المقدس . وانى أتعجب عند قراءتى للكتاب المقدس لذكره الأسماء الشخصية . إن أصحاحات برمتها قد خصصت لقوائم طويلة من الأسماء . وعندما كنت صغيراً كنت أقول لنفسى ياحبذا لو كانت هذه الأسماء الكثيرة قد سقطت من الأسفار القانونية للكتاب المقدس . لكنى تيقنت أخيراً أن هذه السلسلة الطويلة من الأسماء تشهد بأجلى بيان أن الإنسان ليس شيئاً مبهما ولا هو نوع من الأنواع ولا هو مجرد فكرة عابرة . إنه ليس جزءاً من كل كما يراه الماركسيون ولكنه شخص له كيانه وله أهميته . وعندما كتب كاتب الرسالة إلى العبرانيين بهذا الأسلوب الصارم لم يكن

يوبخ كنيسة لكنه كان يكتب باشتياق إلى أفراد من رجال ونساء لأن هذا مايعمله الله نفسه فى معاملاته مع الأفراد . ونخرج من هذا الفصل بفكرتين طريفتين :

١ ــ نتعلم منه أنه إذا كان هؤلاء الناس قد فشلوا فى النمو فى الإيمان المسيحى والمعرفة المسيحية ، أو فتروا فى حماسهم ومحبتهم الأولى ، فإنهم لم ينقطعوا أبداً عن خدمتهم العملية وتقديم المعونة المناسبة لإخوتهم المسيحيين ونشاطهم فى خدمة شعب الله . وهنا نجد حقاً عملياً عظيماً . إننا أحياناً نصل فى حياتنا المسيحية إلى حد الجفاف . وأحياناً لانجد فى خدمات الكنيسة شيئاً يخاطبنا . وكثيراً مانعلم فى مدرسة الأحد أو نرنم فى فريق الترتيل بدون فرح وفى أوقات كهذه نكون أمام أمر من اثنين : فإما ننقطع عن الاجتماعات والخدمات فتضيع حياتنا . أو نمضى فى أداء واجباتنا ولو بوجه متجهم . والشىء العجيب أنه فى حالة استمرارنا فى عملنا يعود إلى قلوبنا الفرح ويسطع نور المسيح على حياتنا . إن أفضل شىء نعمله فى أوقات القحط والجفاف هو أن نواظب على ماتعودنا عليه ونسير فى طريق الحياة المسيحية وفى خدمة الكنيسة ولو بكيفية روتينية رتيبة . وإذا كنا نفعل ذلك فبكل تأكيد تشرق الشمس على حياتنا مرة ثانية .

٢ ــ إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يوصى أحباءه بالاقتداء بأولئك الذين بالإيمان والصبر ورثوا المواعيد . وما يريد أن يقوله لهم هو هذا : « إنكم لستم الأوائل فى الدخول إلى أمجاد ومخاطر الإيمان المسيحى . إن آخرين قبلكم قد انتصروا على الأخطار واحتملوا الضيقات وفازوا أخيراً بلذة الانتصار » إنه يوصيهم بالمضى فى الطريق الذى سار فيه إخوتهم من قبل وفازوا أخيراً بإكليل الحياة . إن آخرين خاطروا فى رحلة حياتهم ووصلوا إلى المرفأ الأمين بسلام . إن المسيحى لايسير فى طريق لم يعبرها

أحد غيره من قبل . إنما هو يطأ بقدميه الأرض التى سارت فيها أقدام القديسين .

يقين الرجاء

« فَإِنَّهُ لَمَّا وَعَدَ ٱللهُ إِبْرٰهِيمَ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسِمُ بِهِ أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ قَائِلاً إِنِّى لَأُبَارِكَنَّكَ بَرَكَةً وَأُكَثِّرَنَّكَ تَكْثِيراً . وَهٰكَذَا إِذْ تَأَنَّى نَالَ ٱلْمَوْعِدَ . فَإِنَّ ٱلنَّاسَ يُقْسِمُونَ بِٱلْأَعْظَمِ وَنِهَايَةُ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ عِنْدَهُمْ لِأَجْلِ ٱلتَّثْبِيتِ هِىَ ٱلْقَسَمُ . فَلِذٰلِكَ إِذْ أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يُظْهِرَ أَكْثَرَ كَثِيراً لِوَرَثَةِ ٱلْمَوْعِدِ عَدَمَ تَغَيُّرِ قَضَائِهِ تَوَسَّطَ بِقَسَمٍ حَتَّى بِأَمْرَيْنِ عَدِيمَىِ ٱلتَّغَيُّرِ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ ٱللهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيَّةٌ نَحْنُ ٱلذِينَ ٱلْتَجَأْنَا لِنُمْسِكَ بِٱلرَّجَاءِ ٱلْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا ٱلَّذِى هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ تَدْخُلُ إِلَى مَادَاخِلَ ٱلْحِجَابِ حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لِأَجْلِنَا صَائِراً عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى ٱلْأَبَدِ » .

(عبرانيين ٦ : ١٣ – ٢٠)

أعطى الله إبرهيم أكثر من وعد واحد . فنى سفر التكوين (١٢ : ٧) نقرأ عن الوعد الذى أعطاه الله لإبرهيم عندما دعاه للخروج من أور الكلدانيين وأرسله إلى الأرض المجهولة – أرض الموعد . وفى تكوين ١٧ : ٥ ، ٦

جاء وعد الله لإبرهيم بأن نسلا كثيراً سيتبارك به وفى تكوين ١٨ : ١٨ كان تكرارا لذات الوعد . لكن الوعد الذى تأيد بقسم من الله جاء فى تكوين ٢٢ : ١٦ – ١٨ وكأن الله قصد بذلك الوعد أن يلزم نفسه مرتين لتنفيذه . كان الوعد كلمة من فم الله وهذا فى ذاته يحمل طابع اليقين . لكنه تأيد فعلا بقسم فصار الله شاهدا على وعده وضامناً له وبهذه الصيغة صار مؤكداً تأكيداً مضاعفاً . لقد كان بمعنى مزدوج وعدا غير قابل للتغيير . وكان هذا وعدا بأن نسل إبراهيم كله سيكون مباركاً . وبناء عليه فإن ذلك الوعد كان خاصا بالكنيسة المسيحية لأن الكنيسة هى إسرائيل الحقيقى وهى نسل إبرهيم الحقيقى . إن هذه البركة قد تحققت فى يسوع المسيح . وفى الواقع كان على إبرهيم أن يصبر طويلا قبل أن ينال الوعد . لم يمض خمس وعشرين سنة منذ أن ترك إبرهيم مدينة أور حتى ولد لإبرهيم ابنه إسحق . وكان إبرهيم شيخا متقدما فى الأيام وكانت سارة عاقرا وكان التنقل من مكان إلى مكان شاقاً وطويلا ولكن إبرهيم لم يتحول عن رجائه وثقته فى وعد الله .

وفى العالم القديم كانت المرساة رمزا للرجاء . يقول ابيكتيتوس الفيلسوف إنه لايجب أبداً على السفينة أن تعتمد على مرساة واحدة كما إنه لايجب على الحياة أن تعتمد على رجاء واحد . وقال فيثاغورس « إن الثروة مرساة ضعيفة والشهرة مرساة أضعف . ماهى إذن المراسى القوية ؟ إنها الحكمة والشجاعة والقلب الكبير المتسع – هذه هى المراسى التى لا تستطيع العواصف أن تهزها » أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيؤكد أن المسيحى يملك أعظم مرساة أى أعظم رجاء فى العالم فما هو هذا الرجاء ؟ يقول كاتب الرسالة إنه الرجاء الذى يدخل إلى ما داخل الحجاب . فما معنى هذا الكلام . كان أقدس الأمكنة جميعاً فى الهيكل هو قدس الأقداس . وكان الحجاب هو الغطاء الذى يستره عن الأنظار . وفى داخل قدس الأقداس كان الحضور

الإلهى . ولم يكن مسموحا إلا لرجل واحد فى كل العالم بالدخول إلى ذلك المكان وهو رئيس الكهنة . وحتى رئيس الكهنة لم يكن مباحاً له أن يدخل ذلك المكان المقدس إلا فى يوم واحد فى السنة وهو يوم الكفاره وحتى فى ذلك اليوم لم يكن له أن يطيل المكوث لأنه كان شيئاً خطيراً ومرعباً أن يدخل أحد إلى محضر الله الحى . والآن ما يريد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يقوله هو هذا : فى الديانة اليهودية القديمة لم يكن مسموحا لأحد أن يدخل إلى محضر الله إلا رئيس الكهنة ، ولا يدخل إلا يوما واحدا فى السنة . أما الآن فقد فتح يسوع المسيح الطريق إلى محضر الله لكل إنسان فى الوجود وفى كل وقت من الأوقات . إن الطريق الذى كان مقفلا قد فتح على مصراعيه ، والاقتراب إلى الله أصبح مباحاً للجميع . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يستعمل كلمة مضيئة عن يسوع . إنه يقول إن يسوع قد دخل إلى محضر الله كسابق لأجلنا . ولهذه الكلمة الجميلة ثلاثة معان فهى تعنى الشخص الذى يدخل مسرعاً . وهى تعنى الرائد . وهى تعنى أيضاً العضو فى فريق الكشافة الذى يتقدم صفوف الجيش لكى يرى إن كان الطريق آمناً لبقية الجنود لكى يتبعوه . ويسوع قد دخل إلى محضر الله لكى يجعل الطريق أمناً لكل الذين يتبعونه — إن الحضور الإلهى الذى كان فى الماضى محجوبا عن الناس وتعترضه العوائق والموانع أصبح الآن مفتوحا ومباحاً للجميع .

لتضع هذا الكلام بأكثر بساطة فى صورة أخرى . قبل أن يجىء المسيح كان الله فى نظر الناس متباعدا لا يمثل أمامه إلا عدد قليل من الناس وكان هذا المثول محفوفا بالخطر على حياتهم ، ولكن بفضل يسوع وما عمله لأجلنا صار الله صديقاً لكل إنسان . كان الناس يظنون أن الله يغلق الأبواب فى وجوههم . أما الآن فإنهم يرون الباب إلى محضر الله مفتوحا لكل إنسان .

اَلْأَصْحَاحُ ٱلسَّابِع

كاهن على رتبة ملكى صادق الملك

(عبرانيين ٧)

أتينا الآن إلى فصل يعد على أعظم جانب من الأهمية عند كاتب الرسالة إلى العبرانيين . ونحتاج أن ندرسه بطريقة خاصة . انتهى الأصحاح السادس ببيان أن يسوع قد صار كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكى صادق . هذا هو الفكر الرئيسى الذى تميز به كاتب الرسالة إلى العبرانيين . ومن خلف هذا الفكر تقوم طرق للتفكير والمحاججة والاستدلال بآيات الكتاب المقدس مما يبدو غريباً لنا كل الغرابة . وهذه الطرق هى التى سنحاول جهدنا أن نفهمها . وأفضل شيء لنا هو أن نجمع كل ما يريد كاتب الرسالة أن يقوله عن الكهنوت الذى جاء على رتبة ملكى صادق ونقرأه ككل قبل أن نقسمه إلى فصول قصيرة لدراسته بالتفصيل . وأول هذه الفصول جاء فى عبرانيين ٥ : ١ — ١٠ حيث يقول : « لأن كل رئيس كهنة مأخوذ من الناس يقام لأجل الناس فى ما لله لكى يقدم قرابين وذبائح عن الخطايا قادر أن يترفق بالجهال والضالين إذ هو أيضاً محاط بالضعف . ولهذا الضعف يلتزم أنه كما يقدم عن الخطايا لأجل الشعب هكذا أيضاً لأجل نفسه . ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة من نفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضاً . كذلك المسيح أيضاً لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له أنت إبنى أنا اليوم ولدتك . كما يقول أيضاً فى موضع آخر أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق الذى فى أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات

وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه مع كونه إبناً تعلم الطاعة مما تألم به . وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق » .

والفصل الذى يحدثنا عن ملكى صادق هو عبرانيين ٧ فلنضع أمامنا أولا هذا الفصل كله متذكرين أن العدد الأخير من عبرانيين ٦ قد سبق فقال إن يسوع قد صار رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق :

« لأن ملكى صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلى الذى استقبل إبرهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه . الذى قسم له إبرهيم عشرا من كل شيء . المترجم أولا ملك البر ثم أيضاً ملك ساليم أى ملك السلام . بلا أب بلا أم بلانسب . لابداءة أيام له ولانهاية حياة بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهناً إلى الأبد . ثم انظروا ما أعظم هذا الذى أعطاه إبرهيم رئيس الآباء عشرا أيضاً من رأس الغنائم وأما الذين هم من بنى لاوى الذين يأخذون الكهنوت فلهم وصية أن يعشروا الشعب بمقتضى الناموس أى اخوتهم مع أنهم قد خرجوا من صلب إبرهيم . ولكن الذى ليس له نسب منهم قد عشر إبرهيم وبارك الذى له المواعيد . وبدون كل مشاجرة الأصغر يبارك من الأكبر .وهنا أناس مائتون يأخذون عشرا وأما هناك فالمشهود له بأنه حى حتى أقول كلمة إن لاوى أيضاً الآخذ الأعشار قد عشر بابرهيم . لأنه كان بعد فى صلب أبيه حين استقبله ملكى صادق » .

فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال إذ الشعب أخذ الناموس عليه ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق ولايقال على رتبة هرون . لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير الناموس أيضاً . لأن الذى يقال عنه هذا كان شريكاً فى سبط آخر لم يلازم أحد منه المذبح

فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذى لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت . وذلك أكثر وضوحاً أيضاً إن كان على شبه ملكى صادق يقوم كاهن آخر قدصار ليس بحسب ناموس وصية جسدية بل بحسب قوة حياة لا تزول . لأنه يشهد أنك كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق .

فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ، إذ الناموس لم يكمل شيئاً ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله . وعلى قدر ما إنه ليس بدون قسم . لأن أولئك بدون قسم قد صاروا كهنة وأما هذا فبقسم من القائل له أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق . على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً لعهد أفضل وأولئك قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء . وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول . فمن ثم يقدران يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولادنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات . الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولا عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه فان الناموس يقيم أناسا بهم ضعف رؤساء كهنة وأما كلمة القسم التى بعد الناموس فتقيم أبنا مكملا إلى الأبد » .

هذه إذن هى الفصول التى يصف فيها الكاتب يسوع كاهناً على رتبة ملكى صادق . لننظر الآن فيما يحاول أن يقوله لنا بالضبط عن هذا الموضوع .

جوهر الدين

ويجب أن نفهم النقطة العامة التى يبدأ منها كاتب الرسالة إلى العبرانيين . إنه يبدأ بالفكرة الأساسية بأن الديانة هى الاقتراب إلى الله . إن جوهر

الدين فى مفهوم كاتب الرسالة إلى العبرانيين هو أنه يأخذ الإنسان بلا مخاوف ولاموانع إلى محضر الله . وفى سبيل الاقتراب إلى الله يجب أن يتوفر شرطان : الشرط الأول هو الطاعة للناموس وطالما كان الانسان محافظاً على وصايا الناموس بالطاعة والأمانة فهو فى مركز الصداقة مع الله وإن الباب إلى الحضرة الإلهية مفتوح أمامه . ولكن الناس لا يحفظون الناموس ولا يقدرون أن يحفظوه ولأجل ذلك انقطعت علاقتهم بالله وإن الباب إلى محضره أغلق فى وجوههم . وجاء الشرط الثانى ليحل مشكلة الانفصال عن الله . وهذا الشرط الثانى هو الكهنوت والنظام الكامل للذبائح . إن معنى كلمة كاهن فى اللغة اللاتينية هو « بانى جسر » وكانت وظيفة الكاهن أن يبنى جسراً بين الإنسان والله . وكيف يكون ذلك ؟ بواسطة نظام الذبائح فإذا كسر إنسان الناموس انقطعت صلته بالله وأصبح الاقتراب إليه مستحيلا ولكن بواسطة تقديم الذبيحة المقبولة يصير التكفير عن الناموس المكسور وبفضل الذبائح تعود الشركة مع الله وتزول العوائق التى وقفت فى طريق الإنسان . هذا هو الأمر كله من الجانب النظرى ولكن الاختبار العملى أظهر أن الكهنوت وذبائحه لم يستطع أن يعمل شيئاً ولم يكن أمام الإنسان إلا الانفصال عن الله بسبب الخطية وكانت المشكلة العويصة أن كل مجهودات الكهنوت وكل الذبائح لم تستطع أن تعيد العلاقة المفقودة وأن تجعل الإنسان الخاطىء على صلة وثيقة بالله . ولذلك فإن حجة كاتب الرسالة إلى العبرانيين هى أننا فى حاجة إلى كهنوت جديد يختلف عن الكهنوت القديم وأننا فى حاجة إلى ذبيحة جديدة وفعالة . وإلا فإن الطريق إلى محضر الله لايمكن فتحه أبداً ويرى الكاتب فى يسوع المسيح رئيس الكهنة الذى يستطيع أن يفتح الطريق إلى الله وهو يسمى كهنوت يسوع كهنوتا على رتبة ملكى صادق .

ملكي صادق فى العهد القديم

من أين حصل الكاتب على هذه الفكرة ؟ حصل عليها من موضعين فى العهد القديم : الموضع الأول فى مزمور ١١٠ : ٤ حيث يقول « أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » .

والموضع الثانى جاء فى تكوين ١٤ : ١٧ — ٢٠ حيث يسجل الوحى القصة التاريخية لملكى صادق فيقول « فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدر لعومر والملوك الذين معه إلى عمق شوى الذى هو عمق الملك . وملكى صادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا وكان كاهناً لله العلى وباركه وقال مبارك إبرام من الله العلى مالك السموات والأرض . ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك . فأعطاه عشرا من كل شىء » .

ومن هذين الفصلين الكتابيين يحصل كاتب الرسالة إلى العبرانيين على صورة الكهنوت الجديد الذى جاء على رتبة ملكى صادق كما يحصل على المعانى التى يحملها هذا الكهنوت .

طرق التفسير عند اليهود

إننا قبل أن نفهم ما يريد الكاتب أن يقوله يلزمنا أولا أن نفهم الطرق اليهودية لتفسير الأسفار المقدسة . وفى حقيقة الأمر يسير كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى نفس الطريق التى يسير عليها أى معلم يهودى ماهر إذ يتتبع الطرق اليهودية للتفسير . ولكى نفهم طرق التفسير عند اليهود يجب علينا أن نفهم أمرين .

أولا – أن اليهودى المتضلع يرى أن لكل عبارة فى الكتاب المقدس أربعة معان : –

(أ) المعنى الأول هو المعنى الحرفى والواقعى .
(ب) المعنى الثانى هو الذى يفهمه المفسر بالايحاء أى بطريق غير مباشر
(ج) المعنى الثالث هو ما يصل إليه بعد بحث طويل وعميق .
(د) المعنى الرابع هو المعنى المجازى أو الباطنى .

وهذا المعنى الرابع هو أهم المعانى جميعاً عند المفسر اليهودى . وهو المعنى السرى المجازى الباطنى . ولم يكن اليهودى كثير الإهتمام بالمعنى الحرفى التاريخى الواقعى لأية عبارة فى التوراة . إنما الذى كان يستهويه هو المعنى المجازى قد لاتكون له أية صلة بالمعنى الحرفى للفصول الكتابية التى يعكف على تفسيرها وكان هذا الاسلوب جارياً بين المفسرين فقد كانوا ينتزعون الآية إنتزاعاً من قرينتها . وهذا هو الاسلوب الذى سار عليه كاتب الرسالة إلى العبرانيين .

ثانياً – الأمر الثانى فى أساليب التفسير عند اليهود هو أن المفسرين كانوا يرون أن لهم كل الحق فى إقامة الحجة لاعلى منطوق الوحى فقط بل على صمته أيضاً . أى أنه كان مباحا لهم أن يبنوا الحجة ليس فقط على مايقوله الوحى بصريح العبارة ولكن على مالم ينطق به الوحى أيضاً . وفى الحقيقة إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يبنى برهانه فى هذا الفصل – على الأقل – على مالم ينطق به الوحى عن ملكى صادق أكثر مما قاله الوحى عنه .

أوجه الاختلاف بين ملكى صادق وهرون

والآن لنر فيما يختلف كهنوت ملكى صادق عن الكهنوت اللاوى الذى كان موجوداً ومعترفاً به فى ذلك الوقت .

١ – إن ملكى صادق ليس له أنساب «فهو بلا أب بلا أم بلا نسب» (عبرانيين ٧ : ٣) ولنلاحظ أن هذه الحجة هى من الحجج التى إستمدها الكاتب من صمت أسفار الوحى . إن الكتاب المقدس لم يقدم لنا شيئاً عن سلالة ملكى صادق . وكان هذا شيئاً غير عادى لسببين :

(أ) انه يختلف على خط مستقيم عن المألوف والمتبع فى سفر التكوين : فإن ذكر الآباء والأجداد هو من خصائص سفر التكوين الذى يأتى أحياناً بقائمة طويلة لأنساب الناس . ولكن ملكى صادق يصل إلى المشهد كما لو كان قد جاء من لامكان . وهذا شىء غير مألوف فى حد ذاته .

(ب) لكن ماهو أكثر أهمية هو أن هذا الأمر يختلف كل الإختلاف عن القواعد التى تحكم الكهنوت اللاوى الذى كان يعتمد إعتماداً مطلقاً على التسلسل والأنساب . وبموجب الناموس اليهودى لم يكن لأحد الحق تحت أى ظرف من الظروف أن يصير كاهناً مالم يقدم المستندات الكافية التى تثبت أنه من نسل هرون . وإذا لم تتوفر لديه هذه المستندات المعتمدة فعبثا يحاول أن يصير كاهناً مهما كان متمتعاً بالأخلاق والكفاءة . إن الشرط الوحيد المطلوب للدخول فى سلك الكهنوت هو التسلسل من هرون . وعندما عاد اليهود من السبى إلى أورشليم نجد أن بعض العائلات الكهنوتية لم تستطع أن تقدم السجلات الرسمية الموثوق بها والتى تثبت تسلسلهم من هرون . ولأجل هذا السبب حرموا من الكهنوت إلى الأبد (عزرا ٢ : ٦١ – ٦٣ ونحميا ٧ : ٦٣ – ٦٥) ومن الجانب الآخر إذا إستطاع شخص أن يثبت إنتسابه لهرون وخلوه من بعض العيوب الجسمانية فلا شىء على الأرض يستطيع

أن يحول دون رسامته كاهناً . كانت الأنساب كل شيء عندهم . ولذلك كان الفرق الأول بين كهنوت هرون وكهنوت ملكى صادق أن الأول يعتمد على الأنساب أما كهنوت ملكى صادق فكان يعتمد على المؤهلات الشخصية فقط دون غيرها . إن كهنوت ملكى صادق كان يعتمد على صفات الكاهن وليس على توارثه من الآباء والأجداد . كما قال أحد العلماء إن كهنوت هرون كان يعتمد على الناحية الشرعية أما كهنوت ملكى صادق فكان يعتمد على الناحية الشخصية . وإذن فإن الكهنوت الجديد كان يستند إلى المؤهلات الشخصية فقط دون أى إعتبار آخر .

٢ ـ الوجه الثانى للاختلاف هو أن الكاتب يجمع صفات أخرى عن ملكى صادق . نرى من عبرانيين ٧ : ١ ـ ٣ أن المعنى الحرفى لملكى صادق هو أنه ملك البر . كما أن كلمة ساليم معناها السلام ولأجل ذلك كان أيضاً ملك السلام . ورأينا انه كان بلا أب ولا أم ولانسب ونرى للمرة الثانية أن الكاتب إلى العبرانيين يعتمد على صمت الوحى . فليس عندنا معلومات عن الزمن الذى بدأ فيه ملكى صادق كهنوته ولا عن الزمن الذى انتهى فيه من ممارسة الكهنوت ولا نعرف زمن ولادته ولا زمن موته ولأجل ذلك يستنتج الكاتب من صمت الوحى أنه ليس لملكى صادق بداءة أيام ولانهاية حياة كما أن كهنوته يبقى إلى الأبد ومن هذا نستطيع أن نجمع خمس صفات عظيمة يمتاز بها كهنوت ملكى صادق .

(أ) انه ملكوت البر .

(ب) وهو كهنوت السلام .

(ج) وهو كهنوت ملكى .

(د) وهو كهنوت شخصى لا وراثى ، لأن ملكى صادق لم يكن له أب ولا أم ولانسب .

(ه) وهو كهنوت أبدى لأنه لم يكن له مولد ولاموت ولم يكن لكهنوته بداية ولا نهاية . هذه إذن هى الصفات الرئيسية التى تميز كهنوت ملكى صادق عن كهنوت هرون .

٣ – الوجه الثالث للاختلاف :

مع تسليمنا بصحة هذا التفسير الذى اعتمد عليه الكاتب من صمت الوحى ، كيف يبرهن على تفوق كهنوت ملكى صادق على كهنوت هرون ؟ للبرهنة على ذلك يعتمد كاتب الرسالة على نقطتين هامتين ورد ذكرهما فى سفر التكوين عن ملكى صادق . النقطة الأولى هى أن إبرهيم أعطى ملكى صادق عشرا من كل شىء . ومعلوم لنا أن الكهنة يأخذون العشور من الناس . ولكن هناك فرقا بين ملكى صادق وسائر الكهنة من هذه الناحية . إن الكهنة يأخذون العشور من إخوتهم بنى جنسهم ، وهم يأخذون العشور بناء على أوامر جاء بها الناموس إذ أن الناموس أعطاهم هذا الحق بجمع العشور ولكن ملكى صادق أخذ العشور من إبرهيم الذى لم يمت له بأية صلة قرابة أياً كان نوعها والذى كان فى الواقع مؤسس الأمة اليهودية . وفضلا عن ذلك فإن ملكى صادق أخذ العشور من إبرهيم لاعلى أساس قانونى ولكن بناء على حقه الشخصى الذى لانزاع فيه . فلم يكن فى حاجة إلى الناموس ليعطيه هذا الحق ولكن كان له هذا الحق بناء على شخصيته الفريدة . ومن الواضح أن هذا قد وضعه فوق مستوى الكهنوت العادى .

والنقطة الثانية كما يقول الوحى إن ملكى صادق بارك إبرهيم . وجرى

العرف أن الأعظم يبارك الأصغر ولأجل ذلك كان ملكى صادق متفوقا على إبرهيم الذى كان مؤسس الأمة اليهوديه والحائز على مواعيد الله . وفى الحقيقة إن هذا قد أعطى ملكى صادق مكانة لا يعلو عليه فيها أحد .

ويلخص (أ . ب . بروس) الأوجه التى يتفوق فيها ملكى صادق على الكهنوت اللاوى العادى فيما يأتى .

(أ) أخذ العشور من إبرهيم وهو لأجل ذلك متفوق على إبرهيم . وإبرهيم كما نعلم أحد رؤساء الآباء . ورئيس الآباء أعظم من أبنائه وأحفاده ولذلك يكون ملكى صادق أعظم من جميع أفراد سلالة إبرهيم . كما أن الكهنة القائمين حالياً هم من سلالة إبرهيم وقياسا على هذا المبدأ يكون ملكى صادق أعظم من الكهنة .

(ب) إن ملكى صادق أعظم من بنى لاوى لأنهم يتقاضون العشور بموجب القانون لكن ملكى صادق أخذ العشور كحق شخصى له لم يعط له من أى إنسان .

(ج) إن اللاويين يتناولون العشور كأشخاص مائتين . أما هو فقد تناول العشور كشخص حى ويحيا إلى الأبد (عبرانيين ٧ : ٨)

(د) فى الواقع إن لاوى عندما دفع له بنو إسرائيل العشور يمكن أن يقال إنهم دفعوها لملكى صادق لأن لاوى كان حفيد إبرهيم وكان فى صلب إبرهيم عندما قدم إبرهيم له العشور .

وعلى جميع هذه الاعتبارات كان ملكى صادق متفوقا على الكهنوت اللاوى .

٤ — الوجه الرابع للاختلاف :

إبتداء من عبرانيين ٧ : ١١ وما بعده ، يمضى كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى إظهار المواضع التى يتفوق فيها الكهنوت الجديد .

(أ) إن مجرد الوعد بقيام كهنوت جديد (عبرانيين ٧ : ١١) يرينا أن الكهنوت القديم غير كاف . إذ لو كان فى استطاعة الكهنوت القديم أن يقدم الناس إلى محضر الله ، لما كانت هناك حاجة إلى قيام كهنوت آخر على رتبة ملكى صادق . وفضلا عن ذلك فإن إدخال الكهنوت الجديد هو فى حد ذاته ثورة كبرى. فإنه بموجب الناموس كان لابد للكهنة أن ينتموا إلى سبط لاوى . لكن يسوع جاء من سبط يهوذا وهذا يدل على أن النظام القديم قد انتهى زمانه . إن الناموس قد ألغى وحل محله شىء ما أعظم من الناموس وأصبح الناموس الآن حرفا ميتاً لاحياة فيه .

(ب) إن الكهنوت الجديد يبقى إلى الأبد (عبرانيين ٧ : ١٥ — ١٩) فى ظل النظام القديم مات الكهنة جميعاً واحداً بعد الآخر كغيرهم من البشر ولم يكن لهم البقاء والدوام بحكم بشريتهم . أما الآن فقد جاء الكاهن الذى يحيا إلى أبد الأبدين .

(ج) أدخل الكهنوت الجديد بواسطة قسم من الله كما جاء فى مزمور ١١٠ : ٤ « أقسم الرب ولن يندم : أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » ومن الواضح أن الله لاينطق بقسمه جزافا . وهو لم يضع الكهنوت القديم بهذه الكيفية . هذا شىء جديد تماما من جميع الوجوه .

(د) إن الكاهن الجديد لايقدم ذبيحة عن نفسه (عبرانيين ٧ : ٢٧)

كان على الكاهن القديم دائماً أن يقدم ذبيحة تكفير عن اخطاياه قبل أن يقدم الذبائح عن خطايا الشعب . أما يسوع المسيح رئيس الكهنة الجديد فهو قدوس بلاشر ولا دنس. وهو لأجل ذلك ليس فى حاجة إلى تقديم ذبيحة عن نفسه .

(هـ) إن الكاهن الجديد ليس فى حاجة أن يقدم الذبائح إلى مالا نهاية (عبرانيين ٧ : ٢٧) لقد قدم الذبيحة الوحيدة الكاملة التى لاتحتاج أن تتكرر مرة ثانية لأنها فتحت الطريق إلى الأبد إلى محضر الله .

وفى ميسورنا الآن أن نلخص بإيجاز شديد الأفكار التى كانت فى ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين عندما كان يفكر فى المسيح بوصفه رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق . ولكى نجعل الأمر أكثر وضوحا نكتفى بذكر الأفكار البارزة من غير أن نتعرض للأفكار الجانبية : —

١ — ان يسوع هو رئيس الكهنة الذى لا يعتمد كهنوته على التسلسل الوراثى لكنه يعتمد على شخصه فقط .

٢ — يسوع هو رئيس الكهنة الذى يحيا إلى الأبد ولايموت أبدا .

٣ — يسوع هو رئيس الكهنة الذى تخلو حياته خلوا تاماً من أى أثر للخطية . ولا يحتاج إطلاقاً إلى تقديم أية ذبيحة كفارية عن خطيته لأنه قدوس بلا شر ولا دنس .

٤ — يسوع هو رئيس الكهنة الذى فى تقديم نفسه ذبيحة صنع الذبيحة الكاملة ولاحاجة بعد ذلك إلى تقديم ذبائح أخرى كل يوم . لقد قدمت الذبيحة التى فيها كل الكفاية لفتح الطريق إلى الله .

إن وظيفة الكاهن هي أن يفتح الباب للمثول في حضرة الله . وقد فعل يسوع ذلك مرة واحدة وإلى الأبد بتقديم نفسه وأنجز إلى الأبد ما عجز الكهنة الأرضيون والعاديون عن القيام به .

لقد رأينا الأفكار الرئيسية التي كانت تملأ ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين عندما كان يفكر في المسيح كرئيس كهنة على رتبة ملكي صادق . والآن لنعد إلى هذا الكلام بالتفصيل وندرسه في أجزاء مترابطة واضعين في أذهاننا الفكرة العامة عن يسوع رئيس كهنتنا العظيم .

الملك الحقيقي والكاهن الحقيقي

« لِأَنَّ مَلْكِي صَادَقَ هٰذَا مَلِكَ سَالِيمَ كَاهِنَ اللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلَّذِي ٱسْتَقْبَلَ إِبْرٰهِيمَ رَاجِعاً مِنْ كَسْرَةِ ٱلْمُلُوكِ وَبَارَكَهُ ٱلَّذِي قَسَمَ لَهُ إِبْرٰهِيمُ عُشْراً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . ٱلْمُتَرْجَمَ أَوَّلاً مَلِكَ ٱلْبِرِّ ثُمَّ أَيْضاً مَلِكَ سَالِيمَ أَيْ مَلِكَ ٱلسَّلَامِ بِلاَ أَبٍ بِلاَ أُمٍّ بِلاَنَسَبٍ . لاَبَدَاءَةَ أَيَّامٍ لَهُ وَلاَ نِهَايَةَ حَيٰوةٍ بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِٱبْنِ ٱللهِ هٰذَا يَبْقَى كَاهِناً إِلَى ٱلْأَبَدِ » .

(عبرانيين ٧ : ١ – ٣)

كما رأينا في الفصل السابق أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يستمد برهانه على كهنوت المسيح الأبدي من موضعين في الكتاب المقدس وهما مزمور ١١٠ : ٤ وتكوين ١٤ : ١٨ – ٢٠ وفي قصة سفر التكوين يبدو ملكي صادق شخصية غريبة . وتكاد تكون شخصية خفية يكتنفها الغموض .

فهو يظهر هكذا فجأة على نحو غير متوقع . فلا يمدنا الوحى بشىء عن حياته أو مولده أو موته أو سلالته . وببساطة كاملة يظهر فى الطريق ويلتقى بابرهيم ويقدم له خبزاً وخمراً . ونحن إذ نقرأ هذه القصة فى نور ما لدينا من معرفة يبدو لنا كأن الخبز والخمر فريضة مقدسة وبعد ذلك يمنح إبرهيم البركة ثم يختفى من مسرح الحياة فجأة بنفس الصورة التى ظهر بها . وليس غريباً أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يجد من الأسرار التى تحيط بهذه القصة رمزاً ونبوة ومثالا للمسيح .

كان ملكى صادق — كما يدل عليه إسمه — ملك البر وكان كما يستدل من مملكته — ملك السلام . ولهذا الترتيب دلالة واضحة وحتمية . فالبر لابد أن يأتى دائماً قبل السلام . إذ بدون البر لا يمكن أن يكون سلام كما قال بولس فى روميه ٥ : ١ « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله » وكما قال أيضاً فى رومية ١٤ : ٧ «إن ملكوت الله .. . . . بروسلام وفرح فى الروح القدس» . وهذا هو الترتيب الذى يجب أن يكون دائماً — أولا البر ثم بعد ذلك يأتى السلام .

ومن الصواب أن يقال أن الحياة كلها هى بحث عن السلام وقد يكون أيضاً من الصواب أن يقال إن الناس يبحثون بإصرار عن السلام فى المكان الخطأ الذى لا يوجد فيه سلام .

١ — الناس يبحثون عن السلام بالهروب . ولكن المتاعب التى تنجم دائماً عن الهروب تضطرنا دائماً إلى العودة من حيث بدأنا . رسم أحد الكتاب صورة لإمرأة مهملة تعيش فى بيت قذر وتترك بيتها كل مساء لكى تقضى وقتها فى مشاهدة الأفلام السينمائية وتهرب لمدة ساعة أو ساعتين إلى أضواء المدينة ومباهج الفنون ثم لاتجد مفرا بعد ذلك من العودة إلى بيتها . نعم هو هروب ولكن تأتى بعده العودة التى لامناص منها . روى لنا كاتب آخر

عن إمرأة عجوز كانت تسكن فى أقذر الأحياء فى مدينة إدنبره . وكلما سئمت من البيئة التى تعيش فيها كانت تمر على صاحباتها وتأخذ من كل واحدة منهن دريهمات قليله وتشترى بالمبلغ الذى تجمعه شراباً مسكراً وكلما سمعت انتقادا من أحد على تصرفها كانت تقول للمنتقدين « هل تبخلن على بفرصتى الوحيدة التى أخرج فيها من هذه القاذورات لأحتسى كأساً من الخمر ؟ » وهذا هو الهروب الذى تعقبه العودة .

ومن الميسور دائماً أن نجد نوعاً من السلام فى طريق الهروب ولكنه لايكون أبداً سلاما دائماً . وكان الدكتور جونسون ينصح كل إنسان أن تكون له هواية يقضى فيها وقت فراغه وكان يؤيد رأيه بأن العقل يحتاج مرات كثيرة إلى الإنسحاب والتراجع إلى الوراء . ولكن حتى بعد هذه الفترات من الانسحاب فلابد من العودة . إن الخطأ ليس فى الهروب فى حد ذاته . وأحياناً يكون لازماً إذا أردنا الاحتفاظ بالصحة والحياة الروحية . ولكن الهروب هو دائماً دواء مسكن وليس علاجا شافيا .

٢ — ونوع ثان من السلام هو سلام المراوغة . ويبحث كثيرون عن السلام برفضهم مواجهة مشاكلهم . فهم يؤجلون مواجهتها أو يدفعونها إلى الجانب الخلفى من عقولهم ويسدلون عليها ستاراً من النسيان . وبصدد هذه الطريقة أقول كلمتين : الكلمة الأولى هى إنه لم يستطع أحد أن يحل مشكلته برفضه النظر إليها . ومهما أكثرنا من المراوغة فإن المشكلة تظل قائمة . والمشاكل مثل الأمراض كلما ماطلنا فى مواجهتها اشتدت وطأتها وقد نصل إلى مرحلة نجد فيها أن المرض لاشفاء له وأن المشكلة لاحل لها .

والكلمة الثانية هى أن المماطلة قد تكون أكثر خطراً وأسوأ عاقبة . إن علم النفس يقول لنا إن هناك جانباً فى العقل لا يتوقف أبداً عن التفكير . فبعقولنا الواعية قد نراوغ ونماطل فى إيجاد حل للمشكلة لكن العقل الباطن

يظل على الدوام مضايقا لها . ويكون مثل شظية مختبئة فى الجسم وهى كفيلة بالقضاء عليه طال الزمن أو قصر . فالمراوغة بدلا من إعطاء صاحبها السلام هى فى الواقع أكبر مدمر للسلام .

٣ – ونوع ثالث من السلام هو سلام المساومة . ومن الميسور أن نصل إلى نوع ما من السلام عن طريق نوع ما من المسأومة . وفى الواقع إن هذا الطريق هو أكثر الطرق شيوعا فى العالم . وقد ننشد السلام بتضحية بعض المبادىء أو النزول بها إلى مستوى خفيض . وبهذه الكيفية لايرضى أى طرف الرضى الكامل . ويقول أحد المفكرين إننا نستطيع أن نقطع فى طريق المساومة شوطاً طويلا ولكن لابد من أن يأتى الوقت الذى نحرم فيه من النوم المريح . إن المساومة هى ترك أطراف المشاكل بلا حل . وإذن فالمساومة تعنى التوتر ولو كان توتراً ظاهراً أو خفياً . التوتر معناه حتما القلق المزعج . المساومة إذن هى أكبر عدو للسلام .

٤ – أما الطريق الصحيح للسلام فهو طريق البر أو بعبارة أخرى هو طريق إرادة الله . وليس هناك سلام لأى إنسان مالم يقل أولا « لتكن مشيئتك » وبمجرد أن نقول هذا القول يغمر السلام الحقيقى قلوبنا . وهذا ماحدث بالفعل ليسوع . ذهب يسوع إلى بستان جشيمانى بنفس مرهقة ومن فرط الإعياء كان العرق يتساقط كقطرات دم نازلة على الأرض . وفى البستان قبل إرادة الله وخرج من البستان وقلبه مملوء بالسلام . إن السير فى طريق البر وقبول إرادة الله هو الوسيلة الوحيدة لانتزاع معطلات السلام . إنها الطريق النهائى والحل الأخير للسلام الدائم .

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لايدخر وسعا فى إثبات أن ملكى صادق ليس له نسب وهو يقصد بذلك أن يقارن بين كهنوت يسوع المسيح والكهنوت اللاوى القديم بغية إظهار الفروق بينهما . فإن الكاهن اليهودى لم

يكن مستطاعا له أن ينخرط فى سلك الكهنوت اللاوى ما لم يثبت بالدليل القاطع أنه متسلسل من هرون وأن هذه السلسلة لم تنقطع أبداً وإذا إستطاع إنسان أن يتقصى هذا التسلسل حتى يصل به إلى هرون فلا يقدر أى شىء فى الوجود أن يحول دون تقلده وظيفة الكاهن . وإذا أراد أن يتزوج فعلى زوجته أن تثبت أنها إبنة كاهن وعليها أن تثبت تسلسلها لأربعة أجيال ماضية . وإذا لم تكن إبنة كاهن فعليها أن تأتى بشهادة تثبت أنها من ذات السلالة لخمسة أجيال سابقة . إنها الحقيقة الغريبة التى لايكاد العقل أن يصدقها أن الكهنوت اليهودى كان مؤسساً على الوراثة وليس للمؤهلات الشخصية أى دخل فيه على الإطلاق .

لكن يسوع المسيح هو الكاهن الحقيقى ليس بفضل الميراث العظيم الذى ورثه ولكن لما هو عليه من شخصية مقتدرة وفريدة . إن كهنوته يقوم على شخصيته .

وكما قلنا سابقاً إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يأتى بكل ما فى جعبته من كلام لكى يؤكد هذه الحقيقة . فهو يقول إن يسوع بلا نسب . وهو يستعمل كلمة يونانية لا نظن أن كاتباً آخر استعملها قبله ولعله اخترعها إختراعاً لكى يثبت أن قوة يسوع لم تعتمد على تسلسل وراثى . ومن المحتمل أن كلمة جديدة تخرج إلى حيز الوجود لوصف شىء جديد . وهو يقول إن ملكى صادق كان بلا أب وبلا أم . وهو يستعمل الكلمات التى تطلق على المولود المجهول الأب . وقد وجدت شهادة ميلاد فى أوراق البردى بهذا المعنى « شاريمون : إسم الأب مجهول وإسم الأم ثاسيبى » إنه شىء مذهل حقاً إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يتخذ كلمات كهذه لتوضيح المعنى الذى يريده . وإن للكتاب المسيحيين طرقا غريبة فى إفتداء الكلمات مثل طرقهم الغريبة فى إسترداد كرامة الرجال والنساء . ويبدو أن كاتب

الرسالة إلى العبرانيين لم يجد كلمة أقوى من هذه لكي يثبت بها أن سلطان يسوع كان فى نفسه ولم يستمد سلطانه من أى إنسان كما أن ملكى صادق مجهول الأب والأم والنسب .

عظمة ملكى صادق

«ثُمَّ ٱنْظُرُوا مَا أَعْظَمَ هٰذَا ٱلَّذِى أَعْطَاهُ إِبْرٰهِيمُ رَئِيسُ ٱلْآبَاءِ عُشْراً أَيْضاً مِنْ رَأْسِ ٱلْغَنَائِمِ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ بَنِى لَاوِى ٱلَّذِينَ يَأْخُذُونَ ٱلْكَهَنُوتَ فَلَهُمْ وَصِيَّةٌ أَنْ يُعَشِّرُوا ٱلشَّعْبَ بِمُقْتَضَى ٱلنَّامُوسِ أَىْ إِخْوَتَهُمْ مَعْ أَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ صُلْبِ إِبْرٰهِيمَ . وَلٰكِنَّ ٱلَّذِى لَيْسَ لَهُ نَسَبٌ مِنْهُمْ قَدْ عَشَّرَ إِبْرٰهِيمَ وَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُ ٱلْمَوَاعِيدُ . وَبِدُونِ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ ٱلْأَصْغَرُ يُبَارَكُ مِنَ ٱلْأَكْبَرِ . وَهُنَا أُنَاسٌ مَائِتُونَ يَأْخُذُونَ عُشْراً وَأَمَّا هُنَاكَ فَٱلْمَشْهُودُ لَهُ بِأَنَّهُ حَىٌّ . حَتَّى أَقُولُ كَلِمَةً إِنَّ لَاوِى أَيْضاً ٱلْآخِذَ ٱلْأَعْشَارِ قَدْ عُشِّرَ بِإِبْرٰهِيمَ . لِأَنَّهُ كَانَ بَعْدُ فِى صُلْبِ أَبِيهِ حِينَ ٱسْتَقْبَلَهُ مَلْكِى صَادَقَ» .

(عبرانيين ٧ : ٤ – ١٠)

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين مهتم الآن بإثبات تفوق كهنوت ملكى صادق على الكهنوت العادى . وينتقل فى هذه العبارات إلى موضوع العشور لأن إبرهيم أعطى ملكى صادق عشر الغنائم . وشريعة العشور مقررة فى

سفر العدد (١٨ : ٢٠ ، ٢١) أمر الله ألا يكون لبنى لاوى ممتلكات فى أرض الموعد ولكن من حقهم أن يأخذوا عشور كل شىء مقابل خدماتهم فى خيمة الإجتماع « وقال الرب لهرون لاتنال نصيباً فى أرضهم ولا يكون لك قسم فى وسطهم . أنا قسمك ونصيبك فى وسط بنى إسرائيل . وأما بنو لاوى فإنى قد أعطيتهم كل عشر فى إسرائيل ميراثاً عوض خدمتهم التى يخدمونها خدمة خيمة الإجتماع » فالناموس إذن أعطى اللاويين الحق أن يأخذوا عشر الانتاج من كل إخوتهم بنى إسرائيل . والآن يذكر الكاتب سلسلة من الفروق لكى يبين تفوق ملكى صادق على الكهنة اللاويين وهو يذكر الآن خمسة من هذه الفروق :

١ — إن اللاويين يأخذون العشور من الشعب . وهذا حق يتمتع به اللاويون دون غيرهم . أما ملكى صادق فقد أخذ العشور من إبرهيم وهو لا يمت بصلة إلى سبط لاوى . وفى هذه النقطة قد يقال إن ملكى صادق يكون بهذا الوضع فى نفس المستوى مع بنى لاوى ولا يؤخذ ذلك دليلا على سمو ملكى صادق على بنى لاوى . ولذلك يضيف الكاتب النقاط الأربع الآتية .

٢ — إن اللاويين يعشرون إخوتهم بنى إسرائيل لكن ملكى صادق لم يكن إسرائيلياً بل كان شخصاً غريباً ولم يأخذ العشور من إسرائيلى عادى ولكنه أخذها من إبرهيم أبى الأمة اليهودية .

٣ — كان للاويين الحق فى أخذ العشور بحكم القانون لكن ملكى صادق أخذ العشور بحكم ما كان عليه من شخصية ممتازة وليس بسبب حكم قضائى . لقد كانت له عظمة شخصية وجوهرية فلم يكن فى حاجة إلى قانون يخول له أن يأخذ العشور .

٤ — إن اللاويين يأخذون العشور كأشخاص مائتين أما ملكى صادق فهو يبقى حياً إلى الأبد .

٥ – وأخيراً يأتى الكاتب بحجة غريبة يضطر أن يعتذر قبل أن ينطق بها . كان لاوى سليلا مباشراً من إبرهيم وكان لاوى الشخص الوحيد الذى له الحق القانونى فى أخذ العشور من الشعب . والآن إذا كان لاوى ينحدر مباشرة من إبرهيم فهذا معناه إن لاوى كان فى صلب إبرهيم عندما قدم العشور لملكى صادق . ونحن نعرف أن إبرهيم ولد إسحق وإسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد لاوى وإذن فيمكن أن يقال بحق إنه فى ذلك الوقت عندما قدم إبرهيم عشراً لملكى صادق كان لاوى كامنا فى عروق إبرهيم وإذن فان إبرهيم حينما قدم العشور لملكى صادق كان لاوى فى نفس الوقت يقدم العشور لملكى صادق لأنه كان ضمناً فى جسد إبرهيم . ولأجل ذلك فإن لاوى ، الرجل الوحيد الذى كان له الحق فى أخذ العشور من الشعب ، قد دفع فعلا العشور لملكى صادق عندما قدم إبراهيم له العشور . وهذا هو البرهان النهائى على أن ملكى صادق أسمى رتبة وأعلى مقاما من لاوى . وإنها فعلا حجة فى غاية الغرابة ولكنها بلاشك كانت مقنعة لمن كان يكتب إليهم وإن بدت غريبة أمامنا .

ولكن هذه الحجة تحتفظ بين طياتها بحق عظيم وجليل . وهذا الحق هو إن ما يفعله الإنسان يؤثر فى نسله . إذا إرتكب إنسان خطية ما فقد ينقل إلى أبنائه وأحفاده ميلا إلى تلك الخطية أو إصابة بعاهة جسدية أو كليهمامعا . وإذا عكف إنسان على بناء شخصية قوية وطاهرة فهو بلاشك سينقل إلى نسله ميراثاً مباركاً . وبناء على هذه الحجة التى قدمها كاتب الرسالة إلى العبرانيين فان لاوى قد تأثر بمافعله إبرهيم . وهكذا بالرغم من غرابة هذه الحجة فى نظرنا فإن هذا الحق سيظل باقياً وهو إنه ليس أحد منا يعيش لذاته لكنه ينقل شيئاً من ذاته لنسله الذى يأتى بعده .

« فَلَوْ كَانَ بِٱلْكَهَنُوتِ ٱللاَّوِيِّ كَمَالٌ . إِذِ ٱلشَّعْبُ أَخَذَ ٱلنَّامُوسَ عَلَيْهِ . مَاذَا كَانَتِ ٱلْحَاجَةُ بَعْدُ إِلَى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ وَلاَ يُقَالُ عَلَى رُتْبَةِ هٰرُونَ . لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ ٱلْكَهَنُوتُ فَبِٱلضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضاً . لأَنَّ ٱلَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هٰذَا كَانَ شَرِيكاً فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلاَزِمْ أَحَدٌ مِنْهُ ٱلْمَذْبَحَ . فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا ٱلَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئاً مِنْ جِهَةِ ٱلْكَهَنُوتِ . وَذٰلِكَ أَكْثَرُ وُضُوحاً أَيْضاً إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادَقَ يَقُومُ كَاهِنٌ آخَرُ قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيٰوةٍ لاَ تَزُولُ . لأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّكَ كَاهِنٌ إِلَى ٱلأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ .

فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ ٱلْوَصِيَّةِ ٱلسَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا . إِذِ ٱلنَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئاً . وَلٰكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى ٱللهِ » .

(عبرانيين ٧ : ١١ – ١٩)

لدى مطالعتنا لهذه الآيات يلزمنا أن نذكر الفكرة الأساسية عن الدين . وهى التى تشغل ذهن الكاتب دائماً . وفى رأى الكاتب إن الدين هو المثول أمام الله . الدين هو الذى يتيح لنا أن نأتى إلى الله كأصدقاء له ولايفصلنا عنه أى فاصل . هذه هى الشركة التى كان مرسوما للديانة اليهودية أن تجيء بها بطريقتين . الطريقة الأولى هى إن الديانة اليهودية كانت معدة لتكوين هذه الشركة بواسطة الطاعة للشريعة . لتيسر الإنسان فى طريق الطاعة للناموس الإلهى يصبح صديقاً لله . ليكن مستعداً على الدوام لطاعة وصايا الله يكن له دائماً حق المثول بين يديه . والطريقة الثانية هى إن الديانة اليهودية اعترفت بكل وضوح أن الطاعة الكاملة لوصايا الله فوق ميسور البشر ولذلك جاءت الديانة اليهودية بنظام كامل لذبائح التكفير عن الخطية . فإذا ماكسر الإنسان وصية من الوصايا فما عليه إلا أن يقدم الذبيحة المطلوبة وعندئذ يشفى الإنسان من كسره للوصية وتعود الشركة بينه وبين الله . وهذا مايقصد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يقوله . إن الشعب اليهودى هو أهل الشريعة على أساس الكهنوت اللاوى وما يتبعه من ذبائح . يقصد كاتب الرسالة أن يقول أنه لولا الذبائح اللاوية للتكفير عن كسر الناموس لكان من رابع المستحيلات أن يطيع الناس أوامر ومنا هى الناموس . ولكن الأمر الواقع هو أن الذبائح اللاوية برهنت على عجزها فى عودة الشركة المفقودة بين الله والإنسان فلم تستطع أن ترد إلى الإنسان إمتياز مثوله فى حضرة الله بسبب خطيته . ولأجل ذلك كان من اللازم إدخال كهنوت جديد على رتبة ملكى صادق . والآن يقول الكاتب إن هذا الكهنوت الجديد يختلف اختلافاً بينا عن الكهنوت القديم فى أنه لم يعتمد على وصايا جسدية بل على قوة حياة لاتزول . وما يقصد الكاتب أن يقوله هو هذا : إن كل الأنظمة التى كان على الكاهن أن يمارسها كانت تتطلب منه مجهوداً جسديا . فلكى يكون كاهناً كان عليه أن ينحدر من نسل هرون وهذا هو التسلسل

الجسدى . وفضلا عن ذلك فقد كانت هناك قائمة تحوى مائة واثنين وأربعين عيبا جسمانياً يحول أحدها دون تقلده وظيفة الكهنوت وجاء ذكر بعضها فى سفر اللاويين (٢١ : ١٦ - ٢٣) وكان عدم الصلاحية لهذه الوظيفة يرجع إلى أسباب جسدية فقط . وقد جاءت خلاصة لحفلة رسامة الكاهن فى الأصحاح الثامن من سفر اللاويين وهى :

١ - كان عليه أن يغتسل بالماء حتى يحسب طاهراً من الناحية الطقسية .

٢ - وكان يرتدى الثياب الكهنوتية الأربعة - القميص والجبة والمنطقة حول صدره ، والعمامة على رأسه .

٣ - وكان يمسح بالزيت .

٤ - كان يؤخذ من دم الذبيحة ويوضع على طرف الأذن اليمنى وعلى إبهام اليد اليمنى وعلى إبهام الرجل اليمنى . وكما رأيت كانت كل أجزاء حفلة الرسامة جسدية ولها إتصال بجسد الكاهن فقط . وبعد الرسامة كان عليه أن يغتسل مراراً كثيرة بالماء ويمسح مرات كثيرة بالزيت . كما كان ملتزما أن يقص شعر رأسه بكيفية خاصة . كان البرنامج كله جسديا صرفاً . خلاصة القول إن الكهنوت اللاوى كان يعتمد إعتماداً كليا من البداية إلى النهاية على أشياء جسدية ولم يكن أى إعتبا للأخلاق أو المقدرة أو الشخصية . أما الكهنوت الجديد فيعتمد على قوة حياة لا تزول . إن كهنوت المسيح لا يعتمد على اللياقة الجسدية بل على أخلاقه وشخصيته وكيانه . وهنا كانت الثورة الجارفة التى قلبت الأمور المتعارف عليها رأساً على عقب . فقد بطلت الحفلات الخارجية والطقوس الجسدية التى تصنع الكاهن وأصبحت أهلية الكاهن مستمدة من شخصيته لا من أمور خارجة عنه .

وفضلا عن ذلك فقد حدث تغيير كبير يحمل معه معانى أساسية .

كان الناموس ينص صريحاً على أن الكاهن يجب أن ينتمي إلى سبط لاوى ولابد للكهنة أن يكونوا من سلالة هرون . لكن يسوع كان ينتمي بحسب الجسد إلى سبط يهوذا وبناء على ذلك فان يسوع باعتباره رئيس الكهنة يلغى الناموس الطقسى فلا يكون له وجود . إن الكلمة التى يستعملها الكاتب للالغاء هى الكلمة التى تستعمل لإلغاء معاهدة أو فسخ وعد أو محو إسم من السجلات أو إعتبار مادة من مواد القانون لاغية ولايعمل بها . إن كل ما يتعلق بالنظام الموسوى من جهة الذبائح أو الشعائر الطقسية قد ألغى الغاء تاماً .

وأخيراً — وليس آخراً — إن يسوع يقدر أن يفعل مالم يستطع الكهنوت القديم أن يفعله . وهو — تبارك إسمه — يستطيع أن يعطينا مثولا لدى الله . وكيف يتسنى له أن يفعل ذلك ؟ وما الذى يمنع الإنسان من الاقتراب إلى الله ؟ ما الذى يضع العوائق بين الإنسان والله ؟ هناك شيئان يقطعان الصلة بين الإنسان وخالقه .

١ — هناك الخوف . وطالما كان الإنسان مرتعبا ومرتعداً من الله لايستطيع أن يكون على صلة وثيقة بالله . وقد جاء المسيح ليظهر للناس محبة الله الرقيقة التى لا نهاية لها . محبة الله الذى إسمه الأب . ومضى الخوف إلى غير عودة . ونحن نعرف الآن أن الشيء الوحيد الذى يطلبه الله منا هو أن نأتى إليه لا لكى نأخذ منه عقاباً ولكن لكى نلقى ترحيباً من ذراعيه المفتوحتين لاستقبالنا .

٢ — وهناك الخطية . لكن يسوع على صليبه قدم الذبيحة الكاملة الواحدة التى تكفر عن الخطية — لقد مضى الخوف لقد انهزمت الخطية وأصبح الطريق إلى الله مفتوحاً وميسوراً للجميع .

«وَعَلَى قَدْرِ مَاإِنَّهُ لَيْسَ بِدُونِ قَسَم . لِأَنَّ أُولٰئِكَ بِدُونِ قَسَم قَدْ صَارُوا كَهَنَةً وَأَمَّا هٰذَا فَبِقَسَم مِنَ ٱلْقَائِلِ لَهُ أَقْسَمَ ٱلرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى ٱلْأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ . عَلَى قَدْرِ ذٰلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِناً لِعَهْدٍ أَفْضَلَ. وَأُولٰئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ مِنْ أَجْلِ مَنْعِهِمْ بِٱلْمَوْتِ عَنِ ٱلْبَقَاءِ . وَأَمَّا هٰذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى ٱلْأَبَدِ لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ . فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَى ٱلتَّمَامِ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى ٱللهِ إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ » .

(عبرانيين ٧ : ٢٠ – ٢٥)

لايزال كاتب الرسالة إلى العبرانيين يدلى بالبرهان تلو البرهان لكى يثبت أن كهنوت يسوع الذى جاء على رتبة ملكى صادق أسمى من الكهنوت اللاوى . وهنا يأتى لنا ببرهانين آخرين .

البرهان الأول على سمو كهنوت المسيح هو أن إقامة كهنوت على رتبة ملكى صادق قد تثبت بقسم من الله بينما الكهنوت العادى لم يؤيد بقسم . والشاهد الكتابى هو فى مزمور ١١٠ : ٤ حيث يقول « أقسم الرب ولن يندم . أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » . وإن فكرة اتخاذ الله قسما لكى يثبت كلامه هى فى الواقع فكرة محفلة تدعو إلى الدهشة والتساؤل . ومن قديم

الزمن أشار أفلاطون إلى أن السبب الوحيد للنطق بالقسم هو شعور الإنسان بأن كلامه لا يصدق . وهو لذلك ينطق بقسم لكى يضمن تصديقاً لأقواله . ولكن الله ليس فى حاجة إطلاقاً أن يفعل ذلك لأنه من المستحيل أن كلام الله لا يصدق . ولذلك فإذا أراد الله أن يؤيد قولا بقسم فلا بد أن يكون لهذا القول أهمية خاصة . إن الشئ الذى يثبته الله بقسم هو شئ لا تمتد إليه يد التغيير والتبديل كأنه منسوج من نفس المادة التى صنع منها الكون ويجب أن يبقى إلى الأبد . وحينئذ فمن المحتمل أن الكهنوت العادى يمضى ويزول ولا تقوم له قائمة . أما الكهنوت الذى جاء على رتبة ملكى صادق فلن يزول لأن الله لم يكتف بأن ينشئه فقط بل اتبع النظام الفريد والمذهل فى تثبيته بقسم .

ولأن هذا الكهنوت قد تثبت بقسم فإن يسوع قد صار ضامناً لعهد أفضل . والآن لنذكر وظيفة الكاهن أى وظيفة كل دين حقيقى . إن وظيفة الكاهن كما سبق القول هى فتح الطريق للمثول أمام الله ولكى يتمتع الناس بالشركة الوثيقة المباشرة مع الله . والآن نأتى إلى تفهم معنى كلمة « عهد » ونحن سنصل سريعاً إلى درس هذه الكلمة بدقة أكثر وتفصيل أوفى . ويكفينا فى هذه اللحظة أن نقول إن العهد هو فى جوهره إتفاقية تبرم بين شخصين ومضمون هذه الاتفاقية هو أن أحد الطرفين إذا وفى ما تعهد به فإن على الطرف الآخر أن يستجيب بطريقة خاصة متفق عليها . وقد كان عهد قديم أو اتفاقية قديمة بين الله وإسرائيل . وفحوى تلك الاتفاقية أنه إذا أطاع بنو إسرائيل ناموس الله بأمانة فإن طريق المثول أمام الله مفتوح لهم . ونرى دخول هذه الأمة فى ذلك العهد فى سفر الخروج (٢٤ : ١ — ٨) ونرى موسى يأخذ كتاب الشريعة ويتلوه على الشعب ونرى الشعب يستجيب بهذه الكلمات « كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له » (خروج ٢٤ : ٧) وهذا معناه أن الإتفاقية القديمة كانت مؤسسة على الطاعة للناموس . وأن الإتفاقية

تظل باقية طالما كان الكهنة محافظين على تقديم ذبائح عن كل كسر للناموس .
أما يسوع فهو الضامن لعهد جديد وأفضل من العهد السابق بمعنى أن يسوع هو الضامن لاتفاقية من نوع جديد ، والوسيط لصلة جديدة بين الله والناس .
فى أى شئ يكون الاختلاف بين العهدين ؟ ما هى العلاقة الأفضل التى تربطنا بالله والتى ضمنها لنا العهد الجديد ؟ هذا هو الفرق بين العهدين . إن العهد القديم كان مؤسساً على الشريعة والعدل والطاعة . أما العهد الجديد فهو مؤسس بجملته على المحبة وعلى الذبيحة الكاملة التى قدمها بالنيابة عنا يسوع المسيح . فى ظل العهد القديم كان الاقتراب إلى الله يعتمد على طاعة الإنسان . وفى ظل العهد الجديد أصبح الاقتراب إلى الله مؤسساً على محبة الله المرحبة بنا .
كان العهد القديم مبنياً على عمل الإنسان . أما العهد الجديد فهو مبنى على محبة الله . وماذا يقصد الكاتب بقوله إن يسوع هو الضامن لهذا العهد الجديد ؟ إن الكلمة التى يستخدمها الكاتب كلمة شيقة . إن الضامن هو الذى يعطى ضماناً لشخص ما لدى البنك لكى يسحب أكثر من رصيده وهو يضمن سداد المبلغ فى الوقت المعين . الضامن هو الكفيل باطلاق سراح السجين وهو يتكفل بوقوف السجين أمام المحكمة فى الموعد المحدد . وإذن فما يقصده كاتب الرسالة إلى العبرانيين هو هذا : قد يقول قائل : كيف تعرف أن العهد القديم بين الله والناس قد صدر الحكم بالغائه ؟ وكيف تعرف أن المثول لدى الله وأن الصداقة مع الله لا تعتمد الآن على طاعة الإنسان بل على مجرد محبة الله التى ترحب بالإنسان ؟ والجواب هو أن يسوع المسيح يضمن لنا ذلك . إن يسوع هو الضامن لمحبة الله . إن يسوع هو الضامن بأن محبة الله ستبقى فى تدفقها نحونا إذا كنا فقط نأخذ كلام الله مأخذ التصديق . ويمكننا أن نضع هذا الكلام فى أبسط صورة ممكنة . عندما نتطلع إلى يسوع فى كل حبه ورحمته وشفقته ويجب أن نؤمن أن ما نراه فى يسوع هو بالضبط ما نراه فى الله .

لكن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يأتى لنا ببرهان ثان على سمو الكهنوت الجديد أى كهنوت يسوع . لم يكن فى مقدور الكهنوت القديم أن يتمتع بالبقاء والدوام . كان الموت ينقض على الكاهن فيموت ويأخذ كاهن آخر مكانه . لم يستطع كاهن واحد فى النظام القديم أن يعيش إلى الأبد . أما كهنوت يسوع فهو باق وسيبقى إلى أبد الآبدين . والشئ الذى يسترعى التفاتنا فى هذه العبارة هو أن الكاتب يصوغ كلمات يصعب ترجمتها حرفياً ولكنها تحمل معنى عدم التغير وعدم الانتقال من شخص إلى آخر . وهكذا يريد الكاتب أن يقول إن قوة يسوع فى إعطائه الناس إمتياز الاقتراب إلى الله وتكوين صداقة معه — هذه القوة الفريدة هى ما لا يستطيع شخص آخر أن يمتلكها . هى شئ يبقى ويدوم متصلا بشخصه المبارك كما تبقى القوانين التى تمسك بالكون . إن يسوع لا يمكن لأحد آخر أن يتفوق عليه ولا يمكن أن يكون له بديل يأخذ مكانه فهو الطريق الأوحد إلى الله . وسيبقى كذلك إلى آباد الدهور.

على أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يستعمل كلمة عجيبة أخرى عن يسوع . فهو عندما يتحدث عن بقاء كهنوت يسوع إلى الأبد يستعمل كلمة ذات معنيين جميلين . فأولا يقصد أن يقول إن يسوع باق فى وظيفته ولا يستطيع شخص آخر أن ينتزع وظيفة يسوع منه وسيبقى إلى كل الأبدية قائماً بتقديم الناس إلى الله . وثانياً يريد الكاتب أن يقول إن يسوع سيبقى إلى الأبد خادماً ، فهو يقدم الخدمة للشخص الذى يبقى معه . وبهذا المعنى كتب « جريجورى النازينازى » فى وصيته إن بناته يبقين فى خدمة أمهن طيلة أيام حياتها . كما أن أوراق البردى تحدثنا عن فتاة كان لزاماً عليها أن تبقى فى خدمة متجر مدة ثلاث سنين حتى تسدد ما عليها من ديون . كما وجد فى أوراق البردى عقد يقول عن ولد ارتبط بخدمة صاحب عمل بالتزامه أن يبقى مع سيده كل مدة العقد ويزيد عليها عدد الأيام التى يتغيب فيها عن العمل بغير إذن . وهكذا

عندما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن كهنوت سيبقى إلى الأبد يقصد أيضاً أن يقول إن يسوع سيظل إلى الأبد خادماً للناس . وهذا هو الذى لأجله يبقى يسوع مخلصنا إلى التمام . فنى حياته على الأرض كان يخدم الناس وقد بذل حياته لهم . وفى السماء سيظل شفيعاً فيهم . لقد عاش ومات لأجلهم على الأرض وهو يعيش الآن فى السماء متشفعاً فيهم . هو الكاهن الأبدى الذى يفتح على الدوام الباب إلى صداقة الله وهو الذى يبقى إلى الأبد الخادم الكبير للناس .

رئيس الكهنة الذى نحتاج إليه

«لِأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هٰذَا قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ قَدِ ٱنْفَصَلَ عَنِ ٱلْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ ٱضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلُ رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ انْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا ٱلشَّعْبِ لِأَنَّهُ فَعَلَ هٰذَا مَرَّةً وَاحِدَةً إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ . فَإِنَّ ٱلنَّامُوسَ يُقِيمُ أُنَاساً بِهِمْ ضَعْفٌ رُؤَسَاءَ كَهَنَةٍ . وأَمَّا كَلِمَةُ ٱلْقَسَمِ ٱلَّتِي بَعْدَ ٱلنَّامُوسِ فَتُقِيمُ ٱبْناً مُكَمَّلاً إِلَى ٱلْأَبَدِ» .

(عبرانيين ٧ : ٢٦ — ٢٨)

لا يزال كاتب الرسالة إلى العبرانيين ممتلئاً بالفكر عن يسوع باعتباره رئيس كهنة . وهو يبدأ هذا الفصل باتخاذه سلسلة من الكلمات والتعبيرات العظيمة لكى يصف بها يسوع .

١ – يقول الكاتب أن يسوع قدوس . والكلمة التى يستعملها جاءت أيضاً فى العهد الجديد وصفاً ليسوع فى أعمال ٢ : ٢٧ و ١٣ : ٣٥ كما جاءت وصفاً للرب فى سفر الرؤيا ١٥ : ٤ ، ١٦ : ٥ وهى تستعمل أيضاً للأسقف المسيحى فى تيطس ١ : ١٨ وأطلقت على الأيدى التى يجب أن يرفعها الرجال إلى الله فى الصلاة (تيموثاوس الأولى ٢ : ١٨) ومن وراء هذه الكلمة تكمن دائماً فكرة خاصة واحدة . إنها تصف دائماً الإنسان الذى يتمم واجبه نحو الله بكل أمانة وبمنتهى الدقة . إنها تصف الإنسان ليس كما يظهر أمام زملائه من الناس ولكن كما يظهر أمام الله . إن كلمة « قدوس » هى التى تحمل معها أعظم كل أنواع الصلاح – وهو الصلاح الطاهر فى نظر الله .

٢ – ويقول الكاتب عن يسوع إنه بلا شر بمعنى أنه لا يؤذى أحداً قط . إن الكلمة فى أصلها اليونانى تصف الإنسان الذى تطهر من الشر لدرجة أنه لم يبق فيه شئ إلا الخير . وهى تصف الإنسان فى تأثيره على إخوته وبنى جنسه . كان « السر والترسكوت » يجاهر قائلا إنه « لم يفسد أخلاق أى إنسان ولم يزعزع إيمان أحد من البشر » . إن الإنسان الخالى من الشر هو الذى بلغ من الطهارة إلى الحد الذى يكون مجرد حضوره بمثابة قوة مطهرة ومضادة للفساد وليس فى قلبه إلا شفقة الله المحب .

٣ – ويقول أيضاً إن يسوع بلا دنس . وهذه الكلمة فى أصلها اليونانى تصف الشخص الخالى خلواً تاماً من أى عيب من العيوب التى يستحيل على صاحبها أن يقترب إلى الله . الذبيحة التى بها عيب ما لا يمكن تقديمها وكذلك الرجل المدنس لا يقدر أن يحظى بالاقتراب إلى الله كذلك الإنسان الذى بلا دنس هو اللائق للدخول إلى محضر الله .

٤ – ويقول كذلك إن يسوع قد إنفصل عن الخطاة وهذا تعبير ينبغى لنا أن نفهم معناه فهو لا يقصد به أن يسوع لم يكن إنساناً حقيقياً ولا يحاول بأى طريقة أن ينزع الناسوت الكامل عن شخص الرب يسوع . إن يسوع

قد إنفصل عن الخطاة بمعنى أنه مع كونه إنساناً كاملا وجاز كل التجارب التى يمكن أن يجوزها أى إنسان لكنه لم يسقط فى أية تجربة بل انتصر عليها جميعاً وخرج من كل التجارب بلا خطية . إن الفرق الذى يفصله عن سائر الناس ليس فى أنه لم يكن إنساناً كاملا ولكن فى كونه إنساناً كامل الإنسانية فى أفضل وأعلى درجاتها لكنه بدون خطية .

٥ — وأخيراً يقول الكاتب إن يسوع صار أعلى من السموات . وهو بهذا التعبير يذهب بفكره إلى صعود المسيح وارتفاعه . فإذا كان التعبير السابق يصف يسوع فى كمال ناسوته فإن هذا التعبير يصفه فى كمال لاهوته . إن يسوع الذى كان إنساناً بين الناس هو نفسه الذى ارتفع إلى يمين الله .

ويعود الكاتب إلى إبراز جانب آخر من جوانب سمو كهنوت المسيح على الكهنوت اللاوى . وقبل أن يقدم رئيس الكهنة ذبيحة عن خطايا الشعب كان شرطاً عليه أن يقدم ذبيحته عن خطيته الشخصية لأنه كان إنساناً خاطئاً كغيره من البشر . إن الكاتب يفكر الآن فى يوم الكفارة وهو اليوم العظيم الذى كانت تقدم فيه الذبائح عن خطايا الشعب كان ذلك اليوم هو اليوم الذى يقوم فيه رئيس الكهنة بوظيفته الكبرى . وكان عادة هو اليوم الوحيد فى السنة الذى يقوم فيه شخصياً بتقديم الذبائح . أما فى الأيام العادية فكان الكهنة يتولون تقديم الذبائح . ولكن فى يوم الكفارة كان على رئيس الكهنة أن يمارس العمل بنفسه . وكان أول طقس من طقوس ذلك اليوم هو تقديم ذبيحة عن خطايا رئيس الكهنة ذاته . وكان عليه أن يغسل يديه وقدميه ويلبس ثيابه الفاخرة المصنوعة من الكتان الأبيض النقى . وكان يؤتى إليه بثور إشتراه من ماله الخاص ويضع يديه على رأس الثور لينقل خطيته إليه ويتلو هذا الاعتراف « أيها الرب الإله . لقد ارتكبت الإثم وتعديت وأخطأت أنا وأهل بيتى . أتضرع إليك يا رب أن تستر الخطايا والتعديات التى أخطأت

وتعديت بها أنا وبنيّ أمامك » إن أعظم كل الذبائح اللاوية كانت تبدأ بذبيحة عن خطايا رئيس الكهنة نفسه . كان رئيس الكهنة اللاوى إنساناً خاطئاً يقدم الذبائح عن أناس خطاة . أما يسوع فهو ابن الله القدوس الذى لم يفعل خطية ولا وجد فى فمه مكر . وهوالذى قدم نفسه ذبيحة عن خطايا جميع الناس . كان الناموس هو الذى عين رئيس الكهنة فى وظيفته . أما يسوع فقد تعين فى وظيفته بقسم من الله وبفضل ما كان عليه يسوع ابن الله الوحيد القدوس قداسة كاملة فقد كان مؤهلا تأهيلا كاملا أن يقوم بوظيفته كرئيس كهنة كما لم يستطع أى رئيس كهنة بشرى أن يقوم بها .

وبعد ذلك نرى كاتب الرسالة إلى العبرانيين يفعل ما اعتاد أن يفعله مراراً كثيرة . فهو يضع مؤشراً يشير إلى الاتجاه الذى يريد أن يمضى إليه فيقول عن يسوع إنه قدم نفسه ، وكان يشترط أمران مهمان فى أية ذبيحة . الشرط الأول يجب أن يتوفر فى الكاهن الذى يقدم الذبيحة والشرط الثانى يجب أن يكون فى الذبيحة نفسها . ولقد جاء كاتب الرسالة إلى العبرانيين بكل الحجج والأسانيد التى يبرهن بها أن يسوع هو رئيس الكهنة الكامل . والآن يتجه إلى فكر آخر . فليس فقط أن يسوع هو رئيس الكهنة الكامل بل أنه أيضاً التقدمة الكاملة . ويمضى كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى إظهار أن يسوع يقدر أن يفتح الطريق إلى الله لأنه رئيس الكهنة الكامل ولأنه قدم الذبيحة الكاملة الوحيدة — ذبيحة نفسه .

وفى الحجة التى يقدمها الكاتب تبرز أمامنا أشياء يصعب علينا أن نفهمها . فهو يتكلم ويفكر بتعبيرات طقسية وشعائر موسوية نسيها الناس من زمن بعيد لكن شيئاً واحداً أبدياً يبقى ماثلا أمام عيوننا . إن الإنسان يلتمس حضور الله . وقد قامت الخطية سداً منيعاً بينه وبين الله . وسيظل الإنسان قلقاً لا يهدأ حتى يجد راحته فى الله . ويسوع وحده هو الكاهن الذى يقدر أن يقدم التقدمة الوحيدة التى تستطيع أن تعيد فتح الطريق للناس إلى الله .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلثَّامِنُ

الطريق إلى الحقيقة

وَأَمَّا رَأْسُ ٱلْكَلَامِ فَهُوَ أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هٰذَا قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ ٱلْعَظَمَةِ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ خَادِماً لِلْأَقْدَاسِ وَٱلْمَسْكَنِ ٱلْحَقِيقِيِّ ٱلَّذِي نَصَبَهُ ٱلرَّبُّ لَا إِنْسَانٌ. لِأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ يُقَامُ لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ . فَمِنْ ثَمَّ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِهٰذَا أَيْضاً شَيْءٌ يُقَدِّمُهُ . فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى ٱلْأَرْضِ لَمَا كَانَ كَاهِناً إِذْ يُوجَدُ ٱلْكَهَنَةُ ٱلَّذِينَ يُقَدِّمُونَ قَرَابِينَ حَسَبَ ٱلنَّامُوسِ ٱلَّذِينَ يَخْدِمُونَ شِبْهَ ٱلسَّمٰوِيَّاتِ وَظِلَّهَا كَمَا أُوحِيَ إِلَى مُوسَى وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَصْنَعَ ٱلْمَسْكَنَ . لِأَنَّهُ قَالَ ٱنْظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ ٱلْمِثَالِ ٱلَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي ٱلْجَبَلِ . وَلٰكِنَّهُ ٱلْآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضاً لِعَهْدٍ أَعْظَمَ قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ » .

(عبرانيين ٨ : ١ — ٦)

إنتهى كاتب الرسالة إلى العبرانيين من وصف الكهنوت الذى جاء على رتبة ملكى صادق فى كل أمجاده فقد وصفه بأنه الكهنوت الذى يبقى إلى الأبد بلا بداءة أيام ولا نهاية حياة له — الكهنوت الذى أيده الله بقسم — الكهنوت المؤسس على العظمة الشخصية وليس على تعيين قضائى أو مؤهلات جسدية — الكهنوت الذى لا يستطيع الموت أن يلمسه — الكهنوت الذى يستطيع أن يقدم ذبيحة لا تحتاج إلى تكرار أو إعادة — الكهنوت الذى هو أطهر من أن يقدم ذبيحة عن خطاياه الشخصية . والآن يلخص دعواه العظيمة بالقول « وأما رأس الكلام فهو إن لنا رئيس كهنة مثل هذا » . إن يسوع وحده يكمل كل شروط الكاهن الكامل . وبعد ذلك يقول لنا شيئين عن يسوع :

١ — إن يسوع جلس فى يمين عرش العظمة والجلال فى السماء . وهذا هو البرهان النهائى على مجد يسوع .

إن أعظم مكان تقدمه السماء له
هو مكانه بحق لأنه جدير به
إذ هو ملك الملوك ورب الأرض
ونور السماء الأزلى

وليس فى الإمكان أن يكون هناك مجد أعظم من مجد يسوع فى صعوده السموات وفى جلوسه عن يمين العظمة فى الأعالى وأن مجده ليس أقل من مجد الله فى جلاله .

٢ — وهو يقول لنا أيضاً أن يسوع خادم للأقداس . وهذا هو برهان خدمة يسوع فهو الفريد الذى لا يساويه أحد فى مجده أو فى خدمته . لم يتطلع يسوع إلى مكان العظمة كشئ يتمتع به لذاته ولم يهدف إلى مكان الجلال كمأرب شخصى يسعى إلى تحقيقه . كان مرقس أوربليوس واحداً من أعظم

أباطرة الرومان . وفى أيام حكمه لم يباره أحد . ومات وهو فى التاسعة والخمسين من عمره إذ أفنى نفسه حتى الموت فى خدمة شعبه . وكان قديساً رواقياً . وعندما علم أن الشعب قد اختاره ليتولى سلطته كإمبراطور كان فزعه أكثر من سروره . ولما طلب منه أن ينتقل إلى المنزل الخاص بسلفه الإمبراطور هادريان قبل بتردد كثير أن يترك بيت أمه . وسأله بعض أهله والمقربين إليه لماذا يحزن عند توليه أعظم منصب فى الإمبراطورية فأحصى له المتاعب والمشقات التى يتطلبها الجلوس على كرسى الحكم . لقد رأى مرقس أوريليوس فى الجلوس على العرش فرصة للخدمة وليس فى الأبهة والعظمة . كذلك نقرأ عن أمير ويلز أنه كان يضع أمامه هذا الشعار « أنا أخدم » ويسوع هو المثل الفريد الذى لا يبارحه أحد فى امتزاج الجلال الإلهى بالخدمة الإلهية . إذ عرف أنه قد أعطى مركزه السامى لا لكى يحرص عليه ويتمتع به فى عزلة رائعة ولكن بالأحرى لكى يقوى الآخرين على الوصول إلى ذات المركز الفائق ومشاركتهم فيه والجلوس معه فى عرشه . لقد نال المجد لكى يمكن الآخرين من الدخول إلى المجد . وفى شخصه العظيم إلتقى الجلال الأسمى مع الخدمة الأسمى . والآن نرى أنه دخل إلى الصورة فكر لم يكن بعيداً عن ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين . . هذا الفكر هو معنى الدين فى رأيه . كان يرى أن الدين هو الاقتراب إلى الله وهو الشركة مع الله وأن الدين هو حق الدخول إلى محضر الله ، ولذلك فإن أعظم عمل للكاهن هو أن يفتح الطريق للناس إلى الله . على الكاهن أن يزيل العوائق التى تقف حائلا بين الله والإنسان ويبنى قنطرة يستطيع الإنسان أن يعبر عنها إلى محضر الله . لكننا نستطيع أن نضع هذا الكلام فى صورة أخرى . وعوضاً عن حديثنا عن الاقتراب إلى الله يمكننا أن نتحدث عن الاقتراب إلى الحقيقة . ولا يغيب عن أذهاننا أن كل كاتب دينى يجب أن يبحث عن العبارات التى يستطيع الناس الذين يكتب إليهم أن يفهموها ، وعليه أن يقدم رسالته فى لغة وأفكار

تكون فى متناول قرائه أن يدركوها أو على الأقل تستطيع أن تضرب على وتر حساس فى أذهان القراء . ولقد كان للاغريق فكر أساسى عن تصورهم للكون أنه مركب من عالمين : عالم حقيقى وعالم آخر مجازى غير حقيقى واعتقدوا أنه فى مكان ما يوجد عالم الحقيقة . أما هذا العالم – عالم الفضاء والزمن – فليس إلا عالم الظلال الباهتة والانعكاسات غير الحقيقية للعالم الحقيقى . وقد كان هذا الاعتقاد الرئيسى عند أفلاطون أعظم جميع المفكرين الإغريق . اعتقد بما كان يسميه صوراً وظلالا ولكن فى مكان ما يوجد العالم الذى ترى فيه النماذج الكاملة لصور أشباه الحقيقة . ويمثل الفيلسوف لفكرته بالكرسى فيقول إن كل الكراسى الموجودة فى العالم ليست إلا نسخاً ناقصة للكرسى الأصيل . وكانت هذه التصورات تستهوى الإغريق القدامى . وكان يلذ لهم أن يعتقدوا فى وجود عالم حقيقى وما هذا العالم إلا نسخة ناقصة ومؤقتة للعالم الحقيقى . فى هذا العالم نحن نمشى فى الظلال وفى العالم الآخر نجد الحقيقة . وتبقى أمامنا مشكلة الحياة الكبرى وهى كيف نجتاز من هذا العالم – عالم الظلال – إلى العالم الآخر – عالم الحقائق . وهذه هى الفكرة التى كانت تملأ ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين فلم يكن الهيكل الأرضى إلا صورة باهتة لهيكل الله الحقيقى . وما العبادة الأرضية إلا إنعكاس بعيد للعبادة الحقيقية فى السماء . وما الكهنوت الأرضى إلا ظل ناقص للكهنوت الحقيقى الذى يقدر بحق أن يقربنا إلى الله . وكل هذه الأشياء تشير إلى أشياء أخرى أعلى منها – إلى الحقيقة . وما الأشياء الأرضية إلا ظل لها . ويجد كاتب الرسالة إلى العبرانيين هذه الفكرة عينها فى العهد القديم . وعندما تلقى موسى تعليمات من الله عن إقامة خيمة الاجتماع بكل محتوياتها ، قال له الله « وانظر فاصنعها على مثالها الذى أظهر لك فى الجبل (خروج ٢٥ : ٤٠) . لقد أظهر لموسى الطراز الحقيقى والأزلى الذى ليست العبادة الجسدية إلا ظلا له . وهكذا

يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن خدمة الكهنة الأرضيين ليست إلا شكلا وظلا للنظام السماوى . إن الكهنوت الأرضى كهنوت شكلى غير حقيقى . ولا يمكنه أن يقود الناس إلى الحقيقة . أما يسوع فيقدر أن يقود الناس إلى الحقيقة ، وكهنوته هو الكهنوت الحقيقى الذى يستطيع وحده أن يخرج الناس من عالم الظلال الغير الحقيقى ويقودهم إلى العالم الحقيقى غير المنظور ، ونستطيع أن نقول أن يسوع يقودنا إلى محضر الله كما أننا نستطيع أن نقول أن يسوع يقودنا إلى الحقيقة — وكلا التعبيرين بمعنى واحد . وعندما تكلم كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن الحقيقة كان يستعمل اللغة والأفكار التى كان معاصروه يستعملونها ويفهمونها .

وإن أعظم ما يستطيع هذا العالم أن يقدمه لا يخلو من نقائص . ولن نصل أبداً إلى ما يجب علينا أن نعرفه . وفى أعظم مجالات المحبة على الأرض لا تخلو من النقائص والشوائب . وفى أسمى درجات المعرفة على الأرض فإن رواسب الجهل تتخللها . وأعظم المنجزات التى قام بها البشر على الأرض تشوبها عناصر القصور أو التقصير . لا شئ مما نفعله أو نختبره أو ننجزه هنا على الأرض يصل إلى الكمال المنشود . أما العالم الحقيقى فهو العالم الآتى كما قال براوننج « إن ما يطمع إليه الإنسان يجب أن يكون أكثر مما تصل إليه يده ، وإلا فلماذا أعد الله لنا السماء » ؟ سمها « سماء » أو « حقيقة » أو « صورة » أو « فكرة » هذه جميعها تحمل معنى واحداً . إن الله هو الحقيقة الكبرى . وكما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن يسوع وحده يستطيع أن يقودنا إلى الحقيقة . هو وحده يستطيع أن يخرجنا من الواقع المخيب للآمال إلى الحقيقة التى فيها كل الشبع والكفاية لنفوسنا ولذلك فإن كاتب الرسالة يطلق على يسوع لقباً عظيما إذ يقول عنه إنه الوسيط أى الذى يقف فى الوسط بين شعبين ويوحدهما معاً وعندما كان أيوب متلهفاً عن الكيفية التى يبسط بها

حالته أمام الله قال فى مرارة يائسة ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا (أيوب ٩ : ٣٣) ونرى أيضاً بولس يدعو موسى وسيطاً (غلاطية ٣ : ١٩) إذ كان موسى هو الرجل الذى توسط بين الله والشعب إذ تلقى الناموس من يدى الله وسلمه للشعب . وفى الأزمنة القديمة فى أثينا كان بها مجلس مؤلف من المواطنين البالغ عمرهم ستين عاماً وكانوا يدعون الوسطاء . وإذا دب خلاف بين إثنين من المواطنين كان الواجب الأول على هؤلاء الوسطاء أن يعقدوا صلحاً بين هذين المتخاصمين . وفى مدينة روما كان شئ من هذا القبيل . فالقاضى يحكم بموجب نصوص القانون ولكن فى حالة الخلاف أو الخصام كان يوكل إلى الوسطاء فى العمل على إزالة أسباب الخصومة . وفضلا عن ذلك فإن الوسيط فى اليونان كان يقوم بدور الضامن أو الكفيل . فكان يضمن صديقه أمام المحكمة وكان يضمن الدين أو المبلغ المسحوب من المصرف من غير رصيد وكان يقوم بدفع الدين عن رضى وارتياح فضلا عن قيامه باعادة السلام بين الطرفين المتخاصمين . ويسوع هو وسيطنا الكامل فهو يقف بين هذا العالم الوهمى وبين العالم الحقيقى الأصيل . هو يقف بيننا وبين الله . هو الشخص الوحيد القادر أن يوجد هذا الاتحاد وهذه المصالحة بين الله والناس ، بين الحقيقى وغير الحقيقى أو بكلمات أخرى أن يسوع يقدر أن يمنحنا الحياة الحقة . فى إحدى الروايات يقول شخص لآخر « إننى لم أعرف أبداً ما هى الحياة . إلا عندما رأيتها فى عينيك » وليس هناك شخص واحد فى كل الكون إلا يسوع القادر أن يمنحنا الحياة بتقديمنا إلى الحقيقة الكبرى أى إلى الله .

الصلة الجديدة بالله

« فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذٰلِكَ ٱلأَوَّلُ بِلاَ عَيْبٍ لَمَا طُلِبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ

لأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لاَئِماً هُوَذَا أَيَّام تَأْتِي يَقُولُ ٱلرَّبُّ حِينَ أُكَمِّلُ مَعْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعْ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْداً جَدِيداً . لاَ كَٱلعَهْدِ ٱلَّذِي عَمِلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرِ لأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ يَقُولُ ٱلرَّبُّ . لأَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْعَهْدُ ٱلَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ ٱلأَيَّامِ يَقُولُ ٱلرَّبُّ أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلٰهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً . وَلاَ يُعَلِّمُونَ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلاً ٱعْرِفِ ٱلرَّبَّ لأَنَّ ٱلْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ . لأَنِّي أَكُونُ صَفُوحاً عَنْ آثَامِهِمْ وَلاَ أَذْكُرُ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ . فَإِذْ قَالَ جَدِيداً عَتَّقَ ٱلأَوَّلَ . وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ ٱلاضْمِحْلاَلِ » .

(عبرانيين ٨ : ٧ - ١٣)

يدخل كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى موضوع من الموضوعات الكتابية الأساسية العظيمة — هو موضوع العهد . والمعنى المألوف للعهد هو إتفاقية تبرم بين طرفين وتعتمد على شروط يتفق عليها الطرفان . وإذا أخل أحد الطرفين بشروط هذا العهد يصبح لاغياً . وهو عادة يستعمل فى العهد القديم بهذا المعنى البسيط . فمثلا يطلق على المعاهدة التى أراد الجبعونيون أن يعقدوها مع يشوع (يشوع ٩: ٦) أو المعاهدة المحرمة مع الكنعانيين (قضاة

٢ : ٢) أو عهد داود مع يوناثان (صموئيل الأول ٢٣ : ١٨) ولكن المعنى المميز للعهد كان فى وصف العلاقة بين الله وشعب إسرائيل كما جاء فى سفر التثنية (٤ : ٣) « احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلهكم الذى قطعه معكم » أما العهد الذى يتحدث عنه الكاتب فى هذا الفصل فيستعمل له كلمة أخرى تحمل معنى الوصية . والسبب الذى لأجله يستعمل هذه الكلمة الجديدة هو أن العهد فى مفهومه الواضح عبارة عن إتفاق بين طرفين متساويين . وفى ميسور أحد الطرفين أن يتفاوض مع الطرف الآخر ويقترح عليه شروطاً أخرى ولكن الله والإنسان لا يتلاقيان على شروط متساوية . والمعنى الكتابى للعهد هو أن المبادرة تأتى دائماً من الله . فالله هو الذى يأتى إلى الإنسان ويقدم له الصلة الجديدة به ويضع الشروط التى بموجبها تصبح هذه الصلة سارية . ولا يستطيع الإنسان أن يبدى رأيه فى شروط العهد . لا يملك إلا أن يقبل أو يرفض ما يعرضه الله عليه . وليس فى ميسوره أن يغير العهد أو يعدل بنداً من بنوده . إن الاتفاقية التى من هذا القبيل هى فى الواقع وصية . وشروط الوصية لا توضع بين طرفين متساويين . إنما توضع برمتها من شخص واحد هو الموصى ولا يملك الطرف الآخر إلا أن يقبل أو يرفض الميراث المقدم له لأنه لا يوجد إلا طرف واحد هو المسئول عن تنفيذها . إن صلتنا الجديدة بالله معطاة لنا على أساس نعمته المجانية فقط كما قال فيلو الفيلسوف « إنه لائق بالله أن يعطى ولائق بالإنسان الحكيم أن يقبل عطية الله » . وعندما نستعمل كلمة « عهد » يجب أن نذكر دائماً أن الإنسان لا يتفاوض مع الله على شروط متساوية بين الطرفين . يجب أن يكون المعنى الواضح دائماً هو أن المبادرة جاءت كلها من الله وأن الشروط قد وضعها الله وأن الإنسان لا يقدر أن يغير أو يبدل فى أبسط بند من بنودها .

وقد كان العهد القديم المعروف جيداً لليهود هو العهد الذى قطعه الله

مع الشعب بعد إعطائهم الناموس . وكان من تفضل الله وكرمه أنه اقترب إلى شعب إسرائيل وعرض عليهم صلة فريدة وخاصة به . وكانت تعتمد إعتماداً كلياً على شئ واحد هو حفظ الناموس . ونحن نرى بنى إسرائيل يقبلون القيام بهذا الشرط فى سفر الخروج (٢٤ : ١ — ٨) إن عهد الله مع شعبه منحهم صلة خاصة به على شرط طاعة الشعب لناموس الله . ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن ذلك العهد القديم صار لاغياً وقدم يسوع عهداً جديداً تقوم عليه الصلة الجديدة بالله . وفى نور العبارات التى جاءت فى هذا الفصل نستطيع أن نرى السمات البارزة للعهد الجديد الذى جاء به يسوع :

١ — ويبدأ كاتب الرسالة إلى العبرانيين بالإشارة إلى أن فكرة العهد الجديد لم تأت فى قطار المفاجآت فقد جاءت بصريح العبارة فى العهد القديم فى سفر إرميا (٣١ : ٣١ — ٣٤) وينقل كاتب الرسالة إلى العبرانيين كل ما كتبه إرميا النبى بحذافيره . إن فكرة عهد جديد ليست ضلالة غريبة وجديدة ابتدعها كاتب الرسالة إلى العبرانيين . لقد كانت هناك فى سفر إرميا منذ مئات السنين. وفضلا عن ذلك فإن مجرد الحديث فى الكتاب المقدس عن قيام عهد جديد يدل دلالة واضحة على أن العهد القديم لو كان على نحو مرض تمام الرضى ما دعت الحاجة إلى عهد جديد ولذلك يبدأ الكاتب بالإشارة إلى أن الوحى نفسه كان يتطلع إلى عهد جديد وأن الوحى نفسه كان يصرح بأن العهد القديم لم يكن كاملا بأى حال من الأحوال .

٢ — إن هذا العهد لم يكن فقط عهداً جديداً بل كان مختلفاً عن سابقه فى الصفة والنوع . واللغة اليونانية تعبر عن الجديد بكلمتين . الكلمة الأولى نصف الشئ جديداً بالنسبة للزمن فالشئ الجديد قد يكون صورة طبق الأصل لسابقه . والكلمة الثانية تحدد معنى الشئ الجديد ليس بالنسبة للزمن ولكن

بالنسبة لصفته ونوعه . فالشئ الذى لا يزيد عن صورة متكررة لسابقه بالنسبة للزمن الذى أخرج فيه ولكنه ليس جديداً بالنسبة لصفته ونوعه . وهذا العهد الذى يقدمه يسوع للناس يختلف عن العهد القديم فى صفته ونوعه . وفى الواقع إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يصف العهد القديم بوصفين فيقول إنه عتق وشاخ أى أنه قد امتدت به الأيام ويقول عنه أيضاً إنه قريب من الاضمحلال وكلمة « الاضمحلال » تستعمل فى إزالة مدينة قديمة أو محو نقش من النقوش أو إلغاء قانون لم يعد صالحاً .

وهكذا فإن العهد الذى يأتى به يسوع هو عهد جديد فى صفته وهو يمحو محواً تاماً العهد القديم .

٣ — فى أى شئ يعتبر هذا العهد جديداً ؟ هو جديد فى هدفه فهو يشمل بيت إسرائيل وبيت يهوذا . وقبل هذه النبوة التى نطق بها إرميا بألف عام إنقسمت المملكة فى عهد رحبعام إلى قسمين هما مملكة إسرائيل وبها عشرة أسباط ومملكة يهوذا وبها سبطان وهذان القسمان ظلا منفصلين بعد ذلك ولم يتحدا ثانية . ولكن العهد الجديد هو الذى يوحد بين الانقسامات ويزيل الخصومات ويجعل من الأعداء شعباً متحداً .

٤ — وهو أيضاً جديد فى عموميته . سيعرف الجميع الله من الصغير إلى الكبير . وهذا شئ جديد حقاً ففى الحياة العادية لليهود كانوا منقسمين إنقساماً محزناً . فمن هذا الجانب كان الفريسيون المتمسكون بالناموس . ومن الجانب الآخر كان الذين يسمون احتقار بشعب الأرض . كانوا عامة الشعب الذين لم يحافظوا تماماً على فرائض النواميس ونوافله . وكانوا موضع مقت شديد من الكتبة والفريسيين الذى حرموا أية علاقة معهم . وإذا زوج فريسى إبنته لواحد من عامة الشعب كان يعتبر عملا رديئاً بل أردأ مما لو طوح بها للوحوش الضارية . وكان ممنوعاً على الفريسيين أن يرافقوا أحداً منهم فى رحلة ما

كما وصل بهم الأمر إلى حد التحريم على أى واحد من الفريسيين أن تكون له علاقات تجارية مع العامة متى كان ذلك ممكناً. وعند هؤلاء الفريسيين المتزمتين كان ممنوعاً على عامة الشعب أن يدخلوا مجمعهم المقدس ولكن فى العهد الجديد تزول كل هذه الفوارق. ويستظل جميع الناس بظله. ولا تكون طبقة مفضلة على غيرها وكل الناس من حكيم وجاهل ومن كبير وصغير سيعرفون الرب. والأبواب التى كانت مغلقة ستفتح على إتساعها.

٥ — لكن هناك فرقاً أساسياً آخر بين العهدين. كان العهد القديم يعتمد على الطاعة لشعائر الناموس الطقسى الخارجى أما العهد الجديد فهو مكتوب على قلوب الناس وأذهانهم. ويمكننا أن نضع هذا الكلام فى عبارة أخرى: إن الناس فى العهد الجديد يطيعون الله لا خوفاً من العقاب الرهيب ولكن لأنهم يحبون الله من قلوبهم. إنهم يطيعون الله لا خضوعاً لأوامر الناموس برغم أنوفهم ولكن لأن الرغبة فى طاعة وصاياه منقوشة فى أعماق قلوبهم وليست هى الطاعة المرغمة لناموس سطحى خارجى ولكنها الرغبة المسرورة النابعة من القلب لطاعة وصايا الرب.

٦ — إن العهد الجديد يتضمن غفراناً للخطايا. وكيف جاء هذا الغفران؟ قال الله أنه سيكون صفوحاً عن آثامهم ولا يذكر خطاياهم فيما بعد بمعنى أن كل شئ جاء من عند الله. إن الصلة الجديدة مؤسسة بأكملها على محبة الله. فى العهد القديم كان يشترط على الإنسان أن يحفظ الناموس لكى تبقى علاقته بالله ويجب أن يحفظ الناموس بمجهوداته الخاصة. وأما الآن فكل شئ يعتمد لا على مجهودات الإنسان بل على نعمة ومحبة ورحمة الله. إن العهد الجديد يضع الناس على صلة بالله الذى لا يزال إله العدل لكنه الله الذى إبتلع عدله فى محبته. إن أروع شئ فى العهد الجديد أنه لم يجعل صلة الإنسان بالله تعتمد على طاعة الإنسان. بل أصبحت هذه الصلة تعتمد اعتماداً كلياً على محبة الله.

بقى شىء آخر يجدر بنا أن نقوله . فى كلمات إرميا النبى عن العهد الجديد لم يات ذكر عن الذبيحة إطلاقا . ويبدو لنا أن إرميا كان يؤمن فى قرارة نفسه أن الذبائح فى العهد الجديد لامكان لها ويتحتم إلغاؤها . ولكن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لا يقدر أن يفكر إلا فى نور نظام الذبائح . وسنرى بعد قليل أنه يمضى لكى يحدثنا عن يسوع باعتباره الذبيحة الكاملة الذى بموته فقط جعل العهد الجديد ميسوراً لجميع الناس .

اَلْأَصْحَاحُ ٱلتَّاسِعُ

مجد خيمة الاجتماع

« ثُمَّ ٱلْعَهْدُ ٱلْأَوَّلُ كَانَ لَهُ أَيْضاً فَرَائِضُ خِدْمَةٍ وَٱلْقُدْسُ ٱلْعَالَمِيُّ . لِأَنَّهُ نُصِبَ ٱلْمَسْكِنُ ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِى يُقَالُ لَهُ ٱلْقُدْسُ ٱلَّذِى كَانَ فِيهِ ٱلْمَنَارَةُ وَٱلْمَائِدَةُ وَخُبْزُ ٱلتَّقْدِمَةِ . وَوَرَاءَ ٱلْحِجَابِ ٱلثَّانِى ٱلْمَسْكِنُ ٱلَّذِى يُقَالُ لَهُ قُدْسُ ٱلْأَقْدَاسِ فِيهِ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَتَابُوتُ ٱلْعَهْدِ مُغَشًّى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِٱلذَّهَبِ ٱلَّذِى فِيهِ قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ ٱلْمَنُّ وَعَصَا هٰرُونَ ٱلَّتِى أَفْرَخَتْ وَلَوْحَا ٱلْعَهْدِ. وَفَوْقَهُ كَرُوبَا ٱلْمَجْدِ مُظَلِّلَيْنِ ٱلْغِطَاءَ أَشْيَاءُ لَيْسَ لَنَا ٱلْآنَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْهَا بِٱلتَّفْصِيلِ » .

(عبرانيين ٩ : ١ – ٥)

كان فكر الكاتب منشغلا فى الفصل السابق بيسوع باعتباره الشخص الوحيد الذى يقودنا إلى الحقيقة — إلى الله . وكان يقول لنا إننا فى هذا العالم ليس عندنا إلا الظلال والصور الباهتة لحقيقة الكبرى . فالعبادة التى يقدمها الناس ماهى إلا ظلال للعبادة الحقيقية التى يستطيع يسوع وحده رئيس الكهنة الحقيقى أن يقدمها . ولكن حتى وهو منشغل بهذا الفكر يعود بعقله إلى

خيمة الاجتماع . ويجب أن نذكر أن مانفكر فيه الآن هو خيمة الإجتماع لا الهيكل . وفى حب يذكر حسنها وجمالها . وفى شوق يتعلق بها وبمحتوياتها التى لاتقدر بثمن . ثم يجول بخاطره هذا الفكر : إن كانت العبادة الأرضية بهذه اللذة وبهذا الجمال فكم تكون العبادة الحقيقية . وإذا لم يكن كل جمال خيمة الاجتماع إلا ظلا للحقيقة فكم يكون جمال الحقيقة ذاتها . وهو لايسهب فى تفاصيل خيمة الاجتماع ولكنه فقط يشير مجرد إشارة إلى بعض كنوزها . ولم يكن فى حاجة إلى ذكر التفاصيل لأن قراءه كانوا يعرفون كل أمجادها التى كانت منقوشة على ذاكرتهم . ولكننانجهل هذه الأمجاد ولذلك فمن واجبنا أن نمتع أنظارنا بالجمال الأرضى الذى كان لخيمة الاجتماع متذكرين دائماً أن كل هذا الجمال لم يكن إلا ظلا ضعيفاً للحقيقة .

إن الوصف الرئيسى لخيمة الاجتماع فى البرية نجده بالتفصيل فى سفر الخروج (٢٥ – ٣١) وكذلك (٣٥ – ٤١) عندما قال الله لموسى « فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم » (خروج ٢٥ : ٨) وقد صنعت الخيمة من التقدمات الشعبية التطوعية (خروج ٢٥ : ١ – ٧) وأعطى الشعب بسخاء وسرور بالغين حتى أن موسى أطلق نداء إلى الشعب أن يكفوا عن تقديم العطايا (خروج ٣٦ : ٥ – ٧) وقد بلغت مساحة الدار مائة وخمسين قدما طولا وخمسة وسبعين قدما عرضا . وكانت محاطة بسياج من كتان مبروم يبلغ ارتفاعة سبعة أقدام ونصف قدم . وكانت ستائر الكتان الأبيض تحيط بمكان حضور الله وكان الستار يقوم على عشرين عامودا على الجانبين الشمالى والجنوبى وعشرة أعمدة على الجانبين الشرقى والغربى وكانت قواعد الأعمدة من نحاس ورززها من فضة وكان للدار باب واحد فقط يتجه إلى الشرق وكان عرضه ثلاثين قدما وارتفاعه سبعة أقدام ونصف قدم وكان مصنوعاً من الكتان النقى المبروم ذى الألوان الثلاثة وهى الأزرق

والاسمانجونى والقرمزى . وفى الدار الخارجيه أقيم مذبح النحاس والمرحضة وكانت مساحة المذبح سبعة أقدام ونصف قدم مربعة واربعة أقدام ونصف قدم إرتفاعا . وكان مصنوعاً من خشب السنط المغلف بالنحاس وكان على سطحه حاجز من نحاس توضع عليه الذبيحة وكانت له أربعة قرون تربط إليها الذبيحة . أما المرحضة فكانت من المرايا النحاسية للنساء لأن المرايا الزجاجية لم تكن قد صنعت فى ذلك الوقت . ولم يذكر لنا الوحى شيئاً عن أبعادها وكان الكهنة يغتسلون من ماء المرحضة لكى ينظفوا أجسادهم قبل القيام بواجباتهم المقدسة .

وكانت خيمة الاجتماع نفسها مقامة على ثمانية وأربعين عامودا من خشب السنط وارتفاع كل عامود خمسة عشر قدما وعرضه قدمان وثلاث بوصات . وكانت الأعمدة مغشاة بالذهب النقى ومستقرة على رزز من الفضة وكانت الأعمدة متصلة معا من الخارج بعامود خشبى يربطها معاً . وكانت خيمة الاجتماع منقسمة إلى قسمين : الجزء الأول وهو ثلثاى المساحة كلها ويسمى القدس . والجزء الثانى وهو ثلث المساحة ويسمى قدس الأقداس . وهو مكعب من خمسة عشر قدما فى كل جانب . وكان الستار المعلق أمام القدس مستنداً على خمسة أعمدة من نحاس ومصنوعاً من الكتان النقى ذى الألوان الثلاثة : الأبيض والأسمانجونى والقرمزى . وكان القدس يحتوى على ثلاثة أشياء (١) المنارة الذهبية وكانت قائمة على الجانب الجنوبى وكانت مصنوعة من وزنة من الذهب الخالص وبلغت قيمتها خمسة الآف جنيهاً إسترلينيا ، والسرج التى كانت تضاء بزيت الزيتون النقى وكانت دائمة الإضاءة (٢) ومن الجانب الشمالى كانت مائدة خبز الوجوه وكانت مصنوعة من خشب السنط ومغشاة بالذهب وكان طولها ثلاثة أقدام وعرضها قدماً ونصف قدم وارتفاعها ثلاثة أقدام . وكان يوضع عليها كل يوم

سبت اثنا عشر رغيفاً مصنوعة من أجود أنواع الدقيق وموضوعة على صفين وفى كل صف ستة أرغفة . وكان الكهنة فقط هم الذين يأكلونها عندما ترفع من على المائدة . وكانت تجدد كل يوم سبت (٣) وكان أيضاً مذبح البخور وكان مصنوعاً من خشب السنط ومطليا بالذهب وكانت مساحته قدماً ونصف قدم مربعا وثلاثة أقدام إرتفاعا وكان يوضع عليه البخور الذى يرمز إلى صلوات الشعب المرفوعة إلى الله وكان البخور يحرق كل صباح وكل مساء .

وأمام قدس الأقداس كان الحجاب المصنوع من الكتان النقى المبروم والمطرز بالألوان الثلاثة : القرمزى والاسمانجونى والأزرق وعليه يقوم الكروبان ولم يكن مسموحا لأحد أن يدخل إلى قدس الأقداس إلا رئيس الكهنة فقط ويدخل مرة واحدة فقط فى السنة أى فى يوم الكفارة وبعد إستعدادات كبيرة للدخول ، وفى داخل قدس الأقداس كان يوضع تابوت العهد وكان يحتوى على ثلاثة أشياء : — القسط الذهبى الذى كان فيه المن ، وعصا هرون التى أفرخت ولوحا الشريعة . وكان التابوت مصنوعاً من خشب السنط ومطلياً من الخارج والداخل بالذهب . وكان طوله ثلاثة أقدام وتسع بوصات وعرضه قدمين وثلاث بوصات وارتفاعه قدمين وثلاث بوصات . وكان على التابوت غطاء يطلق عليه عرش النعمة وعلى عرش النعمة كان الكروبان باسطين اجنحتهما . وبين الكروبين كان الحضور الإلهى لأن الله قد قال « وأنا اجتمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل » (خروج ٢٥ : ٢٢) .

وحول كل هذا الجمال كان كاتب الرسالة إلى العبرانيين يطوف بخياله . ولم يكن هذا الجمال إلا ظلا للجمال الحقيقى. كما كان الإسرائيلى العادى

يقف فقط عند باب فناء خيمة الاجتماع . وكان مسموحا للكهنة واللاويين فقط أن يدخلوا إلى الدار الخارجية . أما الكهنة فقط فهم الذين يدخلون إلى القدس . ولا أحد يدخل إلى قدس الأقداس إلا رئيس الكهنة فقط . وكان هناك جمال ممنوع على الإنسان العادى ان يدخل إلى محضر الله . وانتزع يسوع المسيح كل هذه الحواجز والموانع وفتح الباب إلى سر محضر الله لكل إنسان . وفى المسيح أصبح الباب المقفل مفتوحا على مصراعيه .

الباب الوحيد إلى محضر الله

«ثُمَّ إِذْ صَارَتْ هٰذِهِ مُهَيَّأَةً هٰكَذَا يَدْخُلُ ٱلْكَهَنَةُ إِلَى ٱلْمَسْكِنِ ٱلْأَوَّلِ كُلَّ حِينٍ صَانِعِينَ ٱلْخِدْمَةَ . وَأَمَّا إِلَى ٱلثَّانِي فَرَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ فَقَطْ مَرَّةً فِي ٱلسَّنَةِ لَيْسَ بِلاَ دَمٍ يُقَدِّمُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ جَهَالاَتِ ٱلشَّعْبِ مُعْلِناً ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ بِهٰذَا أَنَّ طَرِيقَ ٱلْأَقْدَاسِ لَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَا دَامَ ٱلْمَسْكَنُ ٱلْأَوَّلُ لَهُ إِقَامَةٌ ٱلَّذِي هُوَ رَمْزٌ لِلْوَقْتِ ٱلْحَاضِرِ ٱلَّذِي فِيهِ تُقَدَّمُ قَرَابِينُ وَذَبَائِحُ لاَ يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ ٱلضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ ٱلَّذِي يَخْدُمُ. وَهِيَ قَائِمَةٌ بِأَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ وَغَسَلاَتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَرَائِضَ جَسَدِيَّةٍ فَقَطْ مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ ٱلْإِصْلاَحِ » .

(عبرانيين ٩ : ٦ — ١٠)

رأينا فيما سبق أن الدخول مباح للكهنة إلى الدار الخارجية والقدس . ولكن رئيس الكهنة فقط هوالذى يستطيع الدخول إلى قدس الأقداس

وفى يوم واحد فقط من كل أيام السنة وهو يوم الكفارة العظيم . ويتجه كاتب الرسالة إلى العبرانيين بتفكيره إلى إحتفالات ذلك اليوم . ولم يكن فى حاجة إلى وصفها لأن قراءه كانوا ملمين بها كل الإلمام وكانت فى نظرهم أقدس الاحتفالات الدينية فى كل العالم ولكننا لا نعرف شيئاً عنها . وإذا أردنا ان نفهم فكر الكاتب يجب علينا أن نرسم صورة لها فى عقولنا . ونحن نجد الوصف الرسمى لهذه الاحتفالات فى الأصحاح السادس عشر من سفر اللاويين .

وأول كل شيء يلزمنا أن نسأل : ماذا كانت الفكرة القائمة خلف يوم الكفارة . أو بعبارة اخرى لماذا وضع الله هذا اليوم ؟ وكما سبق لنا أن رأينا أن العلاقة بين الله وإسرائيل كانت علاقة عهد . وقطعت الخطية من جانب إسرائيل تلك العلاقة وأدخل نظام الذبائح للتكفير عن الخطية وإعادة العلاقة المقطوعة . ولكن ما الذى يحدث إذا بقيت بعض الخطايا من غير تكفير عنها ؟ ماذا ينتج من عدم شعور الإنسان ببعض خطاياه بسبب طبيعته الخاطئة ؟ فمثلا إذا حدث تدنيس أو تلويث للمذبح أو للهيكل أو لقدس الأقداس نفسه وارتكبت هذه الخطايا وأمثالها سهواً ومن غير دراية بها؟ لقد أعطانا سفر اللاويين (١٦ : ٣٣) خلاصة لما يجب أن يعمل فى يوم الكفارة « ويكفر عن مقدس القدس وعن خيمة الإجتماع والمذبح يكفر وعن الكهنة وكل شعب الجماعة يكفر » .

كان يوم الكفارة عملا كفاريا عظيما وشاملا لكل خطية ولكل نجاسة . كان يوماً جليلا فيه يتطهر كل الشعب وكل الأشياء وتمحى كل نجاسة وكل خطية حتى تستمر العلاقة بين الله وإسرائيل دائمة وغير مقطوعة . ولأجل هذا الغرض كان يوم الكفارة يوماً للتذلل « تذللون نفوسكم » (لاويين ١٦ : ٢٩) لم يكن يوم الكفارة يوم وليمة بل يوم صيام . وكان

كل الشعب حتى الأولاد والبنات يصومون كل اليوم . وكان على اليهودى التقى أن يعد نفسه لذلك اليوم العظيم بالصوم مدة عشرة أيام قبل حلوله . ويوم الكفارة يأتى عادة قبل مطلع العام اليهودى الجديد بعشرة أيام وهذا معناه أنه يأتى فى الأيام الأولى من شهر سبتمبر بحسب تقويمنا . وكان يوم الكفارة أعظم يوم فى حياة رئيس الكهنة وفى الواقع كان وجود رئيس الكهنة خصيصاً لأجل هذا اليوم وما يشتمل عليه من طقوس وذبائح .

ولنأخذ فكرة عما كان يحدث فى ذلك اليوم . كان على رئيس الكهنة أن ينهض باكراً جداً فى الصباح لكى يغتسل ويتطهر ثم يلبس الملابس الفاخرة الخاصة بوظيفته والتى كان يلبسها فقط فى ذلك اليوم . وكانت هذه الملابس عبارة عن صدرة من الكتان النقى ومن تحتها الرداء الأبيض الطويل الذى يصل إلى القدمين والمنسوج كله قطعة واحدة وكان عليه أيضاً أن يلبس رداء الأفود وكان أزرق قاتماً ينتهى عند القدمين بأهداب فى شكل رمانات ذات ألوان زرقاء وأرجوانية وقرمزية ويتخلل هذه الأهداب عدد متساو من الأجراس الذهبية الصغيرة وعلى هذا الرداء كان يلبس الأفود . وفى الغالب كان الأفود نوعاً من السترة المطرزة بالقرمز والأرجوان والذهب . وعلى كتفى الأفود كان يوضع حجران من العقيق . وعلى جانب من جانبى الصدرة نقشت أسماء ستة أسباط وعلى الجانب الآخر أسماء الأسباط الستة الآخرين كما أنه كان يضع على سترته قطعة مربعة موضوع عليها إثنا عشر حجراً كريماً نقش عليها أيضاً أسماء أسباط إسرائيل الإثنى عشر . وبهذه الكيفية كان رئيس الكهنة يحمل الشعب إلى الله على كتفيه وعلى قلبه . وعلى الصدرة كان الأوريم والتميم ومعناهما النور والتمام (خروج ٢٨ : ٣٠) وحقيقتهما غير معروفة بالضبط وكل ما نعرفه عنهما أن رئيس الكهنة كان يستشيرهما عندما كان يريد معرفة إرادة الله وربما كان كل منهما قطعة

من الماس الغالى جداً والمنقوش عليهما الحروف الساكنة من إسم « يهوه » وكان رئيس الكهنة يضع على رأسه عمامة من الكتان النقى وعلى العمامة صفيحة من ذهب مربوطة بشريط أزرق ومكتوب عليها « قدس للرب » ويسهل علينا أن نتصور كم كانت هيئة رئيس الكهنة براقة ورائعة وخاطفة للأبصار فى ذلك اليوم الذى هو أعظم الأيام عنده . وكان رئيس الكهنة يبدأ عمله بانجاز الواجبات المطلوب منه القيام بها فى كل يوم . فكان يحرق بخور الصباح ثم يقدم ذبيحة الصباح ويشرف على تنظيف سرج المنارة ذات السبعة الفروع ثم يجيء الجزء الأول من الطقوس الخاصة بذلك اليوم . فيذبح رئيس الكهنة ثوراً وسبعة حملان وخروفاً واحداً وهو ما يزال مرتدياً ملابسه الفاخرة (أعمال ٢٩ : ٧) ثم يخلع رئيس الكهنة هذه الملابس الفاخرة ويرتدى ملابس بسيطة من الكتان الأبيض ويقدم إليه ثور اشتراه من ماله الخاص ويضع يديه على رأس الثور ويقف مواجها كل الشعب ويعترف بخطيته وخطية أهل بيته بالصورة الآتية « آه أيها الرب الإله . لقد ارتكبت الإثم وتعديت واخطأت أنا وبيتى . يارب التمس منك أن تكفر عن الآثام والتعديات والخطايا التى ارتكبتها واخطأت بها قدامك أنا وبيتى كما هو مكتوب فى شريعة موسى عبدك » « لأنه فى ذلك يكفر عنكم فتطهرون ومن كل تعدياتكم التى تعديتم بها أمام الرب ستطهرون » .

وإلى لحظة قصيرة يترك الثور أمام المذبح ثم يتبع ذلك خدمة فريدة من نوعها فى يوم الكفارة إذ يؤتى بتيسين وعلى جانبهما وعاء به قرعتان . وعلى قرعة منهما مكتوب « للرب » وعلى القرعة الثانية مكتوب « عزازيل » ثم تسحب القرعتان وتوضع كل قرعة على رأس التيس المكتوب اسمه عليها . ثم يترك رئيس الكهنة التيسين قليلا ويعود إلى الثور المربوط بجانب المذبح ويذبحه ويضع الكاهن الدم فى طست ويحفظ الطست فى حركة دائمة حتى

لايتجمد الدم الذى سيستعمل بعد قليل . ثم تجيء اللحظة الأولى من اللحظات العظيمة فى ذلك اليوم إذ يلتقط رئيس الكهنة جمرات من على المذبح ويضعها فى مبخرة ويأخذ البخور ويضعه فى طبق خاص ثم يسير إلى قدس الأقداس ليحرق البخور فى ذات محضر الله وكان المفروض أن لايبقى طويلا لئلا يرعب إسرائيل . وفى الواقع كان بنو إسرائيل يراقبون رئيس الكهنة بأنفاس مقطوعة . وعند خروجه من محضر الله كان يخرج منهم أنين الارتياح كما لو كان هبوب الرياح .

وعند خروج رئيس الكهنة من قدس الأقداس . يأخذ الطست الموضوع فيه دم الثور ويعود به ثانية إلى قدس الأقداس ويرش سبع مرات إلى أعلى وسبع مرات إلى أسفل وهو فى داخل قدس الأقداس . ثم يخرج ويذبح التيس الذى وضعت عليه القرعة « للرب » ومرة ثانية يعود إلى قدس الأقداس ويرش من دم التيس هناك . ثم يخرج دم الثور ودم التيس معا ويرش هذا المزيج على قرون مذبح البخور ثم على المذبح نفسه وما يتبقى من الدم يصبه عند قاعدة مذبح المحرقة وهكذا يتطهر القدس وقدس الأقداس والمذبح جميعاً بالدم من أى تلوث قد يصل إليها . كانت الكفارة تتم بواسطة الدم .

ثم تجيء أروع الطقوس التى تمارس فى ذلك اليوم العظيم . كان يؤتى بتيس عزازيل ويضع رئيس الكهنة يديه عليه ويعترف بخطيته وخطية الشعب ثم يطلق التيس إلى الصحراء إلى أرض غير مسكونة وقد وضعت عليه خطايا الشعب . وهناك يذبح فى مكان بعيد ومنعزل . لقد وضعت خطايا الشعب على تيس عزازيل .

ثم يعود الكاهن إلى الثور والتيس المذبوحين ويعدهما للذبيحة . ويقرأ من الأصحاح السادس عشر من سفر اللاويين (١٦ : ٢٣ ، ٢٧ — ٣٢) وهو لايزال لابساً ملابسه المصنوعة من الكتان النقى . ويتلو الآيات المحفوظة

غيباً من سفر العدد (٢٩ : ٧ — ١١) ثم يصلى لأجل الكهنوت والشعب . ومرة ثانية يغتسل بالماء ويلبس ملابسه الفخمة . ويقدم الذبيحة وهى جدى من الماعز تكفيراً عن خطايا الشعب ثم يقدم الذبيحة المسائية المعتادة وبعد ذلك يقدم الذبيحة من الأجزاء التى سبق إعدادها من الثور والتيس . ومرة أخرى يغتسل ويخلع ثيابه الفخمة ويلبس ملابسه المصنوعة من الكتان الأبيض . وللمرة الرابعة والأخيرة يدخل قدس الأقداس وينقل المبخرة التى كانت لاتزال مشتعلة ثم يذهب ليغتسل بالماء ويعود أيضاً إلى لبس ملابسه الفاخرة ثم يشعل تقدمة البخور المسائية ويرتب السرج على المنارة الذهبية وبذلك ينتهى عمل رئيس الكهنة فى ذلك اليوم العظيم . وفى المساء يقيم وليمة لأنه كان له شرف الدخول إلى محضر الله وخرج من الحضرة الإلهية حياً .

كانت هذه مراسيم يوم الكفارة . كان هذا هو اليوم المعين لتطهير كل الأشياء وكل الشعب من الخطية . وكانت هذه الصورة هى التى ارتسمت فى ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين والتى كان يعتز بها بلا شك ولكن كانت هنالك بعض الأشياء التى رسخت فى ذهنه . فى كل عام كان يقام هذا الحفل ويتكرر على مدى الأعوام . وكل إنسان ممنوع منعاً باتاً من الدخول إلى محضر الله ماعدا رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة ويدخل وهو مرتعب لئلا يموت وكان التطهير قاصراً على النظافة الخارجية بالغسل المتكرر بالماء . وكانت ذبائح التقرب إلى الله ذبائح ثيران وتيوس ودماء الحيوانات وفشل كل نظام الذبائح لأنها لاتقدر أن تكفر عن الخطية . وفى هذه جميعها يرى كاتب الرسالة إلى العبرانيين صورة باهتة للحقيقة وظلا ضئيلا للذبيحة الواحدة الحقيقية . إن تلك الطقوس كانت طقوسا سامية ونبيلة وفيها الكثير من الجلال والجمال ولكنها لم تكن أكثر من ظلال خالية من القوة والفاعلية . إن الكاهن الوحيد والذبيحة الوحيدة هما فى

الذبيحة التى تفتح الطريق إلى الله

« وَأَمَّا ٱلْمَسِيحُ وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ ٱلْعَتِيدَةِ فَبِٱلْمَسْكَنِ ٱلْأَعْظَمِ وَٱلْأَكْمَلِ غَيْرِ ٱلْمَصْنُوعِ بِيَدٍ أَيِ ٱلَّذِي لَيْسَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْخَلِيقَةِ وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى ٱلْمُنَجَّسِينَ يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ ٱلْجَسَدِ فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلهِ بِلاَ عَيْبٍ يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا ٱللهَ ٱلْحَيَّ » .

(عبرانيين ۹ : ۱۱ – ۱٤)

عندما نحاول أن نفهم معنى هذا الفصل يجدر بنا أن نذكر ثلاثة أشياء رئيسية وأساسية كانت تجول دائما بخاطر كاتب الرسالة إلى العبرانيين هذه الأشياء التى كانت تلازم فكره بصفة مستمرة هى :

۱ - أن الدين هو الاقتراب إلى الله . إن الوظيفة الأساسية لكل دين هى تقريب الإنسان إلى الله .

۲ - أن هذا العالم هو عالم الظلال الباهتة والصور الناقصة . وأما وراء هذا العالم فهناك عالم الحقائق . والغرض الأسمى من كل عبادة هو أن يجعل الناس يرتبطون بالحقائق الأزلية . وكان هذا هو المقصود من إقامة العبادة

والطقوس بخيمة الإجتماع . إن العبادة الأرضية هى انعكاس بعيد للعبادة الحقيقية . أما خيمة الإجتماع الحقيقية والعبادة الحقيقية فهما اللتان تستطيعان وحدهما تقريب الإنسان إلى الحقيقة .

٣ ــ لا يمكن أن تكون هناك ديانة بدون ذبيحة . إن الطهارة شيء غال ومكلف وأن الإقتراب إلى الله يتطلب طهارة ويجب أن يكفر عن الخطية بطريقة أو بأخرى . إن نجاسة الإنسان تطهر بكيفية ما . وما لم يحدث هذا فلا يمكن للانسان أن يقترب من الله .

بهذه الأفكار التى تملأ ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يمضى لكى يبين لنا أن يسوع هو رئيس الكهنة الحقيقى الذى يستطيع أن يقرب الناس إلى الله ، وأنه وحده دون سواه يقدم الذبيحة القادرة أن تفتح الطريق إلى الله ، وأن تلك الذبيحة هى نفسه .

وهكذا يشير كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى بعض الذبائح الكبرى التى إعتاد اليهود أن يقدموها بمقتضى نظام العهد القديم .

١ ــ من هذه الذبائح كانت ذبيحة الثيران والتيوس . وكانت هاتان الذبيحتان من الذبائح الكبرى فى يوم الكفارة . كان رئيس الكهنة يقدم ذبيحة الثور تكفيراً عن خطاياه الخاصة . وأما تيس عزازيل فكان يطلق فى البرية حاملا خطايا الشعب على رأسه (اللاويين ١٦ : ١٥ ، ٢١ ، ٢٢) وقد رأينا ما كانت تشير إليه تلك الطقوس فى يوم الكفارة .

٢ ــ وكانت أيضاً ذبيحة العجلة الحمراء . وقد جاء وصف لهذا الطقس الغريب فى الأصحاح التاسع عشر من سفر العدد . وطبقاً للناموس اليهودى الطقسى كان يعتبر الإنسان نجساً إذا مس جسما ميتاً وكان ممنوعا من عبادة

الله . وكل ما يمسه – شخصاً كان أو شيئاً – يصير نجساً . وكان للتطهير من تلك النجاسة طقس خاص خلاصته أن تذبح عجلة حمراء خارج المحلة ثم يرش الكاهن دم العجلة أمام خيمة الإجتماع سبع مرات . وبعد ذلك يحرق جسد الحيوان مع أرز وزوفا وقطعة من القماش الأحمر . وماينتج من الرماد يوضع خارج المحلة فى مكان نظيف وبذلك يصير تطهير للخطية .

وكلا الأصل والمعنى لهذا الطقس يكتنفهما الغموض . ويقول اليهود أنفسهم إن شخصاً أمميا سأل مرة الربى يوحنا بن زكاى عن معنى هذا الطقس الذى يبدو كأنه نوع من الأساطير . وأجاب الربى إن الله القدوس هو الذى وضع هذا الطقس ولايجب على الناس أن يسألوا عن الأسباب التى دعت إلى وضع هذا الطقس،وأنه يجب أن يمارس بدون طلب للإيضاح وبالرغم من غموض هذا الطقس فى معناه ومبناه فإنه كان من أعظم وأقدس الطقوس عند اليهود .

ويخبرنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين بهذه الذبائح تمهيداً لإعلانه أن الذبيحة التى قدمها يسوع أعظم تأثيراً وأكثر فاعلية . ونرى لزاما علينا أن نسأل ماذا يقصده الكاتب من القول عن الخيمة الأعظم والأقوى تأثيراً ، الخيمة غير المصنوعة بأيد ، الخيمة التى تقرب الناس حقاً إلى محضر الله ؟ وهذا فى الواقع سؤال تصعب الإجابة عليه . وهو سؤال لايجرؤ واحد من الناس أن يجيب عليه إجابة قاطعة . لكن العلماء القدامى للكتاب المقدس أجمعوا تقريباً على إجابة واحدة لهذا السؤال فقالوا إن الخيمة التى قربت الناس فعلا إلى ذات محضر الله لم تكن إلا جسد يسوع . فقد جاء إلى عالمنا فى جسد أى فى خيمة . وبمجيئه فى الجسد إستطاع أن يقرب الله إلى الناس وأن يقرب الناس إلى محضر الله . وأن هذا القول ما هو إلا صورة أخرى لما سجله يوحنا على لسان المسيح من رآنى فقد رأى الآب (يوحنا ١٤ : ٩)

كان الغرض من العبادة فى الخيمة القديمة أن تأتى بالناس إلى محضر الله وهذا مافعلته الخيمة قديما ولكن فى صور ضعيفة وظلال باهتة . أما مجىء المسيح فقد قرب الناس حقاً ويقيناً إلى ذات محضر الله لأن فى شخصه المبارك قد دخل الله إلى هذا العالم — عالم الفضاء والزمن — فى هيئة بشرية . وإذ نرى يسوع نرى الله .

والآن يليق بنا أن نسأل : فى أى شىء تتفوق الذبيحة التى قدمها يسوع كل هذا التفوق العظيم ؟ هناك ثلاثة وجوه للتفوق .

١ — كانت الذبائح القديمة تطهر جسد الإنسان من النجاسة الطقسية . أما ذبيحة المسيح فقد طهرت نفوس الناس لا أجسادهم ويجب علينا أن نذكر على الدوام شيئاً واحدا : إن كل الذبائح طهرت من الخطايا ضد الناموس الطقسى ومتطلباته ولم تطهر من خطايا القلب العنيد المتكبر والذراع الرفيعة . خذ مثلا ذبيحة العجلة الحمراء . فلم تكن النجاسة الأدبية هى التى طهرتها تلك الذبيحة . لم تطهر الإنسان من الخطية الكامنة والمتأصلة فى نفسه . وكل ما استطاعت تلك الذبيحة أن تفعله هو التطهير من النجاسة الجسدية الطقسية الناتجة عن لمس جسد ميت . إن جسد الإنسان فقط يمكنه أن يكون نظيفاً بالمعنى الطقسى لكن قلب الإنسان يظل ممزقا بالحسرة ومعذباً بالندم . إنه يستطيع أن يقترب من خيمة الإجتماع ومع ذلك يظل بعيداً كل البعد عن محضر الله . ويشعر فعلا أن الحاجز للعبادة الطقسية قد رفع لكن الباب إلى محضر الله لا يزال موصدا . أما ذبيحة يسوع فترفع عن ضمير الإنسان حمل الخطايا الثقيل . إن يسوع بحياته وموته قد أعطى الناس صورة واقعية عن محبة الله فعرفوا أن الطريق إلى الله الذى يحب الناس مثل هذا الحب هو طريق مفتوح على الدوام . إن الذبائح الحيوانية فى العهد القديم لم تملك

إلا أن تترك الإنسان بعيداً ومعزولا عن الله . أما ذبيحة يسوع فترينا إلهاً يفتح ذراعيه مرحبا بنا وقلبه مفعم بالحب من نحونا .

٢ – أن ذبيحة يسوع جاءت لنا بالفداء الأبدى . إن الناس هم تحت سلطة الخطية وصاروا عبيداً لها . وكما يدفع السيد ثمن شراء العبد لكى يحرره من العبودية هكذا دفع المسيح الثمن لتحرير الإنسان من الخطية . إن الإنسان مرتبط بالخطية وموثق بها بحيث لا يقدر أن يحرر نفسه بقوته الذاتية ويحتاج إلى قوة المسيح لتحريره .

٣ – أن ذبيحة المسيح تمكن الإنسان من ترك أعمال الموت ليصير خادما لله الحى . وهذا معناه أن يسوع لايكتفى بمنح الغفران للخطايا الماضية للانسان فقط . بل يقويه فى المستقبل لكى يحيا الحياة المقدسة . أن ذبيحة المسيح لا تتجه إلى الوراء فقط بل تمتد بأبصارها إلى المستقبل أيضاً . وهى لاتعطى الإنسان غفراناً لخطاياه وحسب ، لكنها تجعله شخصا صالحاً أيضاً . إنها لا تسدد له ديون الماضى فقط بل تمنحه إنتصاراً أيضاً . وما فعله يسوع يضع الإنسان فى علاقة مع الله . وما يستطيع يسوع أن يفعله اليوم هو المحافظة على علاقة الإنسان الطيبة مع الله . إن فعل الصليب هو أن يقدم للناس محبة الله بطريقة تنزع الرعب من لقاء الله . إن حضور المسيح الحى يقدم للناس قوة الله حتى يستطيعوا أن يكسبوا نصرة يومية ومستمرة على الخطية .

ويضع العلامة « وستكوت » أربع طرق تميز ذبيحة يسوع عن ذبائح العهد القديم .

١ – ذبيحة يسوع تطوعية . إن الحيوان يموت لأنه مضطر إلى الموت . أما يسوع فقد قبل الموت بمحض إختياره . إن حياة الحيوان تنتزع منه انتزاعاً أما يسوع فقد أعطى حياته هبة منه للناس . إن ذبيحة يسوع لم تؤخذ منه عنوة واقتداراً ولكنه عن رضى وإرتياح وضع حياته لأجل أحبائه .

٢ – ذبيحة يسوع تلقائية . الذبيحة الحيوانية كانت تقدم لأن أوامر الناموس كانت تقضى بذلك أما ذبيحة يسوع فكانت بدافع المحبة . ونحن نسدد ديوننا للتاجر لأننا ملزمون بذلك ولكننا نقدم هدية لأصدقائنا لأننا نرغب فى ذلك . فليس الناموس بل الحب الذى كان من وراء ذبيحة يسوع .

٣ – ذبيحة يسوع عقلية . الذبيحة الحيوانية لم تعرف ماذا كان يجرى حولها ولا لماذا ربطت إلى قرون المذبح فليس لها عقل تفكر به . أما يسوع فقد كان عارفا تمام المعرفة بما كان يقوم به . فلم يمت كضحية لايدرى من أمرها شيئاً ولم تسيره ظروف فوق إرادته وأعلى من إدراكه . لقد مات وهو مفتوح العينين عارفا من أين أتى وإلى أين يمضى وما الذى ينوى أن يفعله .

٤ – ذبيحة يسوع أدبية . الذبائح الحيوانية كانت تقدم بطريقة آلية ميكانيكية . كانت الطقوس تتم طبقاً لتعليمات موضوعة وكانت عجلات التنظيمات تدور فى طريقها . أما ذبيحة يسوع فقد تمت – كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين – بروح أزلى . فلم تكن الشرعية الميكانيكية هى التى تحرك ذبيحة يسوع بل روح الله الأزلى . وماتم على الصليب لم يكن تنفيذاً لطقوس وفرائض ولكن إرادة يسوع أطاعت وخضعت لإرادة الله لأجل خلاص الناس . ومن خلف الصليب لم تكن أوامر الناموس بل إختيار المحبة .

الطريق الوحيد لمغفرة الخطايا

«وَلِأَجْلِ هٰذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ لِكَيْ يَكُونَ ٱلْمَدْعُوُّونَ إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ ٱلتَّعَدِّيَاتِ ٱلَّتِي فِي ٱلْعَهْدِ

ٱلْأَوَّلِ يَنَالُونَ وَعْدَ ٱلْمِيرَاثِ ٱلْأَبَدِيِّ. لِأَنَّهُ حَيْثُ تُوجَدُ وَصِيَّةٌ يَلْزَمُ بَيَانُ مَوْتِ ٱلْمُوصِي. لِأَنَّ ٱلْوَصِيَّةَ ثَابِتَةٌ عَلَى ٱلْمَوْتَى إِذْ لَا قُوَّةَ لَهَا ٱلْبَتَّةَ مَادَامَ ٱلْمُوصِي حَيًّا. فَمِنْ ثَمَّ ٱلْأَوَّلُ أَيْضاً لَمْ يُكَرَّسْ بِلَا دَمٍ لِأَنَّ مُوسَى بَعْدَمَا كَلَّمَ جَمِيعَ ٱلشَّعْبِ بِكُلِّ وَصِيَّةٍ بِحَسَبِ ٱلنَّامُوسِ أَخَذَ دَمَ ٱلْعُجُولِ وَٱلتُّيُوسِ مَعَ مَاءٍ وَصُوفاً قِرْمِزِيًّا وَزُوفَا وَرَشَّ ٱلْكِتَابَ نَفْسَهُ وَجَمِيعَ ٱلشَّعْبِ قَائِلاً هٰذَا هُوَ دَمُ ٱلْعَهْدِ ٱلَّذِي أَوْصَاكُمُ ٱللهُ بِهِ وَٱلْمَسْكَنَ أَيْضاً وَجَمِيعَ آنِيَةِ ٱلْخِدْمَةِ رَشَّهَا كَذٰلِكَ بِٱلدَّمِ. وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيباً يَتَطَهَّرُ حَسَبَ ٱلنَّامُوسِ بِٱلدَّمِ وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لَا تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ ».

(عبرانيين ٩ : ١٥ – ٢٢)

هذا فصل من أصعب فصول الرسالة إلى العبرانيين . ولم تكن به صعوبة للذين كتبت لهم الرسالة خصيصاً وكانوا أول من قرأوها لأن هذه الحجج والتعبيرات وطرق التفكير كانت مألوفة لديهم أما لنا فهى غريبة عنا .

وكما رأينا أن فكرة العهد هى شيء أساسى فى ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين وهو يقصد بالعهد العلاقة القائمة بين الله والناس . وكان العهد الأول كما نعلم يعتمد على حفظ الإنسان للناموس . وفى حالة كسر الإنسان للناموس يصبح العهد عاجزاً ولاغياً . ولنذكر دائماً الفكرة الأساسية عند كاتب الرسالة إلى العبرانيين عن معنى وعمل الدين . وما الدين إلا وسيلة

للتقرب إلى الله . وبناء على ذلك فان المعنى الأساسى للعهد الجديد الذى جاء به يسوع وافتتحه هو أن ينال الناس امتياز الاقتراب إلى الله . أو فى كلمات أخرى – لتكون لنا شركة مع الله وهنا تبرز أمامنا صعوبة كبرى . نعرف أن الناس أتوا إلى العهد الجديد وهم ملوثون من قبل بالخطايا والمعاصى التى ارتكبوها وهم فى ظل العهد القديم . انهم يأتون بذنوب سابقة قد تعدوا بها على الناموس . يجيئون بذنوبهم التى عجزت الذبائح القديمة أن تكفر عنها . ولذلك نرى كاتب الرسالة إلى العبرانيين يأتى لنا بفكر عظيم حلا لهذه الصعوبة فيقول إن ذبيحة يسوع المسيح ذات أثر رجعى وهذا معناه أن ذبيحة المسيح لها فاعلية فى محو عواقب الخطايا التى ارتكبها الناس وهم فى ظل العهد القديم . وتأسيس الشركة الموعود بها فى العهد الجديد .

وبالرغم من أن هذا الفصل فى غاية الصعوبة والتعقيد ولكننا نجد أنه يحمل لنا بين السطور حقين عظيمين وأزليين .

أولا – أن ذبيحة يسوع قد كسبت لنا غفرانا لخطايانا الماضية . كان من العدل أن ننال عقابا عما فعلناه وكان ينبغى أن نحرم من محضر الله بسبب خطايانا ومعاصينا ولكن بفضل مافعله يسوع فان خطايانا قد محيت . والدين الذى كان علينا قد سدده يسوع بالنيابة عنا . إن الله قد طرح خطايانا وراء ظهره كما أن الحاجز الذى كان بيننا وبينه قد أزيل نهائياً .

ثانياً – أن ذبيحة يسوع تفتح لنا حياة جديدة للمستقبل وتفتح لنا الطريق للشركة مع الله .. إن الله الذى جعلته خطايانا غريبا عنا قد صار بالمسيح صديقاً لنا . وبواسطة يسوع المسيح يمكننا أن نحيا حياتنا فى شركة يومية وفى علاقة دائمة مع الله . وبفضل مافعله يسوع المسيح وما هو عليه الآن قد انزاح من على صدورنا حمل الماضى الثقيل وأصبحت الحياة فى المستقبل حياة مع الله .

ولكن الخطوة التالية فى هذه الحجة يتعذر علينا متابعتها و تبدو لنا خيالية . إن السؤال الذى يشغل فكر كاتب الرسالة إلى العبرانيين هو : لماذا تتطلب علاقتنا الجديدة مع الله أن يموت المسيح ؟ . لماذا كان من الضرورى له أن يموت قبل أن تصير العلاقة الجديدة ممكنة وفعالة ؟ . وهو يجيب على هذا السؤال الحيوى بطريقتين .

١ ــ الجواب الأول ــ الذى لانكاد نقتنع به كما سبقت الاشارة لأنه غير مؤسس على شىء أكثر من تبديل كلمة بكلمة أخرى . فعوضا عن إستعماله كلمة « عهد » وهى الكلمة المعروفة بمعناها المسيحى نراه يستعمل فجأة كلمة أخرى وهى « الوصية » والمعروف أن الوصية لا ينتفع بها الورثة مادام الموصى حيا ولكن إذا مات الموصى صار من حق الورثة أن يأخذوا نصيبهم منها . وهكذا صار موت المسيح ضروريا حتى يكون لنا حق التمتع بالوصية التى أوصى بها أو بالعهد الذى جاء به إلى العالم . وقد تبدو لنا هذه الحجة غير مقنعة لعقولنا العصرية وليست فى نظرنا إلا من قبيل التورية أو التلاعب بالألفاظ . ولكن هذا الأسلوب كان شائعاً ومقبولا وممدوحا عند علماء الإسكندرية فى الزمن الذى كتبت فيه الرسالة إلى العبرانيين . وحجة لهذه كانت تلقى عندهم ترحيباً ممزوجاً بالإعجاب .

٢ ــ وجوابه الثانى هو بالرجوع إلى نظام الذبائح عند اليهود فهو يرجع إلى نص كتابى وأساسى جاء فى لاويين ١٧ : ١١ « لأن نفس الجسد هى فى الدم فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم لأن الدم يكفر عن النفس » . كما أن هناك أمراً معروفا ومحددا فى الشريعة اليهودية وهو « بدون سفك دم لاتحصل مغفرة » ولذلك فان كاتب الرسالة إلى العبرانيين يرجع بهم إلى يوم تأسيس العهد الأول على يدى موسى وهو اليوم الذى قبل فيه الشعب الناموس كشرط لعلاقتهم الخاصة بالله . وهناك

نقرأ كيف قدمت الذبيحة وكيف أخذ موسى نصف الدم ووضعه فى طسوس ورش نصفه على المذبح . وبعد أن قرىء كتاب الناموس على مسامع الشعب واعترفوا بقبوله أخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال لهم « هوذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال » خروج ٢٤ : ١ — ٨) ويرى بعض المفسرين أن ذكر أشياء مثل الزوفا والصوف القرمزى التى كانت تستعمل فى يوم الكفارة ربما يرجع إلى أن يوم الكفارة كانت له مكانة كبيرة فى ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين : والفكرة الأساسية هى أنه لم يكن هناك من سبيل التنظيف والتطهير إلا بواسطة الدم . ولم تكن وسيلة لتثبيت العهد إلا بسفك الدم . ولماذا كان سفك الدم لازما ؟ إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لايعرف لذلك سبباً وليست به حاجة إلى معرفة السبب . كل ما فى الأمر أن الوحى قال هكذا . وهذا يكفى لتأييد حجته . إن السبب المرجح فى لزوم الدم هو لأن الدم هو الحياة كما رآه العبرانيون وأن الحياة هى أغلى شىء فى العالم وأن الإنسان يجب أن يقدم لله أغلى ما لديه .

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يرجع بنا إلى طقس ليست له قيمة فى نظرنا إلا من الناحية التاريخية ولكن من وراء هذا الطقس يظهر لنا مبدأ أزلى وسيبقى سارى المفعول طالما كان العالم باقيا . هذا المبدأ هو أن المغفرة شىء مكلف سواء كانت المغفرة إلهية أو بشرية . فقد ينحرف الابن أو البنت عن الطريق المستقيم وقد يغفر لهما الأب والأم ولكن هذه المغفرة تراق معها الدموع . جاءت المغفرة ببياض فى الشعر وتجاعيد فى الوجه وألم شديد وحاد فى القلب . وكذلك المغفرة الإلهية مكلفة . إن الله محبة ولكن الله قداسة أيضاً . إن أقل شىء عند الله أنه يقدر أن يكسر القوانين الأدبية العظيمة التى يبنى عليها الكون . لكن الخطية يجب أن تنال عقابها وإلا يتحطم

كيان الحياة . وأن الله وحده هو القادر أن يدفع الثمن المريع قبل أن يغفر للناس خطاياهم . إن المغفرة ليست شيئاً سهلا أو رخيصا كما لو كنت تقول لابنك الذى تريد أن تغفر له « لابأس ولايهمك هذا الأمر » إن المغفرة التى من هذا القبيل ليست هى المغفرة الحقيقية . إن المغفرة أغلى شىء فى العالم كله وبدون سفك دم القلب لاتحصل مغفرة ولاشىء يعيد إلى الإنسان عقله مثلما يرى بعينيه نتائج خطيته على الإنسان الذى يحبه ويقول بصوت تخنقه العبرات « لقد كلف أبى وأمى كل هذا الألم لكى يغفرا لى خطيتى » وحيث تكون مغفرة فلابد أن شخصاً ما قد علق على صليب .

التطهير الكامل

فَكَانَ يَلْزَمُ أَنَّ أَمْثِلَةَ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ تُطَهَّرُ بِهٰذِهِ وَأَمَّا ٱلسَّمٰوِيَّاتُ عَيْنُهَا فَبِذَبَائِحَ أَفْضَلَ مِنْ هٰذِهِ . لِأَنَّ ٱلْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ ٱلْحَقِيقِيَّةِ بَلْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ عَيْنِهَا لِيَظْهَرَ ٱلْآنَ أَمَامَ وَجْهِ ٱللهِ لِأَجْلِنَا . وَلاَ لِيُقَدِّمَ نَفْسَهُ مِرَاراً كَثِيرَةً كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ كُلَّ سَنَةٍ بِدَمِ آخَرَ فَإِذْ ذَاكَ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ مِرَاراً كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ ٱلْعَالَمِ وَلٰكِنَّهُ ٱلْآنَ قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ ٱنْقِضَاءِ ٱلدُّهُورِ لِيُبْطِلَ ٱلْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ . وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلدَّيْنُونَةُ هٰكَذَا ٱلْمَسِيحُ أَيْضاً بَعْدَ مَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ

خَطَايَا كَثِيرِينَ سَيَظْهَرُ ثَانِيَةً بِلاَ خَطِيَّةٍ لِلْخَلاَصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ » .

(عبرانيين ٩ : ٢٣ - ٢٨)

لايزال كاتب الرسالة إلى العبرانيين منشغلا بالتفكير فى اقتدار وكفاية الذبيحة التى قدمها يسوع ويبدأ كلامه فى هذا الفصل بفكر طارىء ولكنه مذهل . لنذكر ثانية الفكر الأساسى لهذه الرسالة وهو أن عبادة هذا العالم ما هى إلا نسخة باهتة للعبادة الحقيقية . وفى هذا العالم توجد عبادة تستطيع أن تعطى الإنسان ظلا للشركة الحقيقية مع الله . وأما فى العالم الآتى فستكون عبادة يستطيع بها الإنسان أن يعرف الله حق المعرفة . ويقول الآن كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن الذبائح اللاوية رتبت لتطهير وسائط العبادة . فمثلا كان القصد من ذبائح يوم الكفارة أن تطهر خيمة الإجتماع والمذبح والقدس . أما الآن فان الكاتب يتقدم خطوة أخرى فيقول إن عمل المسيح يطهر لا الأرض فقط بل السماء أيضاً . إن الفكر البالغ الأهمية عند كاتب الرسالة هو أن عمل المسيح له تأثيره الفعال فى السماء والأرض على حد سواء . كأنى بالكاتب يريد أن يعطينا صورة لنوع من الفداء الكونى الذى يطهر الكون كله بمافيه المنظور وغير المنظور . وهكذا يمضى الكاتب ليؤكد لنا ثانية أن عمل وذبيحة المسيح هما فى أقصى درجات التفوق .

١ — إن يسوع المسيح لم يدخل إلى قدس بشرى مصنوع بيد إنسان بل دخل إلى محضر الله فى السماء . إن مايعطيه لنا المسيح ليس دخولا إلى كنيسة بل دخولا إلى محضر الله . ويجب أن نفكر تفكيراً صحيحا فى المسيحية . فهى ليست عضوية فى كنيسة ما بل هى علاقة شخصية وثيقة بالله .

٢ — إن يسوع لم يدخل إلى محضر الله لأجل نفسه فقط بل لأجلنا أيضاً .

إن دخوله إلى محضر الله لم يكن فقط لأجل مجده وارتفاعه . بل إنه دخل ليفتح لنا الطريق . دخل لكي يستطيع أن يقف فى ذات محضر الله ويتشفع لأجلنا . فى المسيح نجد أعظم تناقض فى العالم — تناقض المجد الأعظم مع الخدمة العظمى — تناقض شخص يبقى العالم قائماً لأجله ويبقى هو قائماً لأجل العالم — تناقض الملك الأبدى مع الخادم الأبدى .

٣ — إن ذبيحة المسيح قدمت مرة واحدة . وليس هو فى حاجة إلى تقديمها مرة ثانية . كانت الذبائح تقدم فى يوم الكفارة سنة بعد سنة . كانت الذبائح تكفر عن الأشياء التى سدت الطريق إلى الله ولكن ذبيحة المسيح ليست فى حاجة إلى تكرارها مرة ثانية . إن الطريق إلى الله مفتوح على الدوام ولا يمكن أن يقفل ثانية . إن الناس كانوا دائماً خطاة وسيظلون كذلك إلى نهاية الأجل . ولكن ليس هذا معناه أن يستمر فى تقديم نفسه ذبيحة مرة ومرات بلانهاية . إن الطريق إلى الله قد فتح مرة وسيظل مفتوحاً على الدوام . ونستطيع أن نجد تشبيهاً ضئيلا لهذه الحقيقة الرائعة . إن بعض الأشياء تحتاج فقط أن تتم مرة واحدة وبعد ذلك ينفتح الطريق ولايقفل مرة ثانية . فمثلا إن عملية جراحية معينة يظل إجراؤها عملا مستحيلا فترة طويلة من الزمن . ولكن جراحاً موهوبا يجد طريقاً للتغلب على الصعوبات القائمة . ومن ذلك الوقت ينفتح ذلك الطريق لكل الجراحين ، وأن ذلك الدواء يكون فى متناول جميع المتألمين من ذلك المرض. لقد انفتح الطريق نهائياً ولن يقفل مرة ثانية . وعلى هذا النور يمكننا أن نقول إنه لن يضاف شىء على ماصنعه المسيح لكى يفتح الطريق ويحفظه مفتوحاً إلى محبة الله لأجل الخطاة .

وأخيراً يرسم كاتب الرسالة إلى العبرانيين خطا موازيا يفاضل به بين حياة الإنسان وحياة المسيح .

١ – إن الإنسان يموت ثم يقوم للدينونة . وهذا فى حد ذاته كان صدمة عنيفة لليونانى . وعلى وجه الإجمال كان اليونان يعتقدون أن الإنسان يموت وبهذا ينتهى كل شىء . قال « أسكليس » « عندما تشرب الأرض مرة من دم الإنسان فسيبقى الموت حاصدا لأرواح الناس ولن تكون قيامة بعد ذلك » ويقول « يوريسبيدس » « إنه فى حكم المستحيل أن يعاين الموتى النور مرة ثانية . إن الخسارة الكبرى هى هذه : أن الموتى لايعودون إلى الحياة . إن ثروة الإنسان قد تعود إلى صاحبها ولكن الحياة لاتعود إليه بعد الموت » كما أن هوميرس يجعل أكليس يقول عندما يصل إلى ظلال الموت « إنه لأفضل لى أن أعيش أجيرا لآخر بلا أرض أملكها وليس لى من القوت إلا الفتات من أن أطرح بعيدا بين الموتى الذين لن يعودوا إلى الحياة ثانية » ويكتب كاتب يونانى آخر بلغة اليأس قائلا « أيتها المحبة الذهبية ! أنت الحياة وأنت الفرح ثم يأتى الموت وتمضين إلى الفناء بلا عودة » .

ووجدت هذه الكلمات على مقبرة يونانية :

« وداعا ياقبر ميليتا . إن أفضل النساء ترقد هنا . وهى التى أحبت زوجها المحب انسيموس . يافضلى النساء إن زوجك يشتاق إليك بعد موتك لأنك كنت أفضل الزوجات وداعاً لك يا أعز زوج لى . فقط أرجوك أن تحب أطفالى مثلما كنت محبا لى » .

لقد كانت كلمة « الوداع » هى البدء والختام لذلك الشاهد المنقوش على المقبرة اليونانية . كان الموت هو النهاية لكل شىء . وعندما أراد « تاسيتوس » أن يمتدح « أجريكولا » لم يسعه إلا أن يختم مديحه بكلمة « إذا » .

إذا كانت هناك مساكن لأرواح الأبرار
وإذا لم تهلك النفوس العظيمة مع الأجساد

كما يقول لنا الحكماء

فانى أتمنى لك أن تستقر فى سلام

كانت الكلمة الوحيدة عنده هى « إذا »

وكان « مرقس أوريليوس » يقول « عندما يموت الإنسان وتخرج الشرارة منه لكى تعود إلى الله بل تذوب فى الله ، فان مايتبقى بعد ذلك هو التراب والرماد والعظام والرائحة الكريهة »

لكن الشيء الجوهرى الذى يظهره هذا الفصل من الرسالة إلى العبرانيين هو الاعتقاد الحازم بأن الإنسان سيقوم ثانية بعد موته . هذا ماتؤكده العقيدة المسيحية . وأن التحذير الخطير الذى يتبع عقيدة القيامة هو أن الإنسان يقوم للدينونة .

٢ ــ لكن مع المسيح يختلف الأمر اختلافا كلياً . إن المسيح مات لكنه قام وسيأتى ثانية لا لكى يقف للدينونة ولكن لكى يكون الديان . إن الكنيسة الأولى لم يغب عن فكرها أبداً رجاء المجىء الثانى . كان المجىء الثانى ينبض بالحياة فى كل جانب من جوانب عقيدتهم . ولكن يجب أن نلاحظ شيئاً هاما ــ إن المجىء الثانى كان يوماً مرعباً ومخيفاً لغير المؤمنين كما يروى عن أخنوخ انه قال عن يوم الرب « إنه لا يرجى خلاص لكم ياجميع الخطاة ولكن سيحل عليكم اللعنة والدمار » وبطريقة ما لابد أن تأتى النهاية وإذا جاء المسيح فى ذلك اليوم كصديق فان ذلك اليوم سيكون يوم الأمجاد ولكن إذا جاء كغريب أو كشخص حسبناه عدواً سيكون ذلك اليوم يوم الدينونة الرهيبة . إن الإنسان قد يتطلع إلى نهاية الأشياء بابتهاج وتشوق أو قد ينظر إليها برعب مخيف . وما يصنع الفرق فى الموقفين هو : ــ كيف حال قلبك مع المسيح ؟ .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلْعَاشِرُ

الذبيحة الوحيدة الحقيقية

«لِأَنَّ ٱلنَّامُوسَ إِذْ لَهُ ظِلُّ ٱلْخَيْرَاتِ ٱلْعَتِيدَةِ لَا نَفْسُ صُورَةِ ٱلْأَشْيَاءِ لَا يَقْدِرُ أَبَداً بِنَفْسِ ٱلذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ ٱلَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى ٱلدَّوَامِ أَنْ يُكَمِّلَ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ. وَإِلَّا أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ . مِنْ أَجْلِ أَنَّ ٱلْخَادِمِينَ وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً لَا يَكُونُ لَهُمْ أَيْضاً ضَمِيرُ خَطَايَا. لٰكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا . لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا لِذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى ٱلْعَالَمِ يَقُولُ ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً لَمْ تُرِدْ وَلٰكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَداً . بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ . ثُمَّ قُلْتُ هَذَا أَجِيءُ فِي دَرْجِ ٱلْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي لِأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا ٱللهُ . إِذْ يَقُولُ آنِفاً إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلَا سُرِرْتَ بِهَا . ٱلَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ ٱلنَّامُوسِ . ثُمَّ قَالَ هَذَا أَجِيءُ لِأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا ٱللهُ . يَنْزِعُ ٱلْأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ ٱلثَّانِي . فَبِهَذِهِ

الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيم جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً » .

(عبرانيين ١٠ : ١ - ١٠)

يرى كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن ذبائح العهد القديم لم تكن إلا ظلا باهتا لما ينبغي أن تكون عليه العبادة الحقيقية ، وأن مهمة الدين هي أن تضع الإنسان في علاقة قوية ووثيقة مع الله وأن تعطيه تقربا حرا وكاملا إلى محضر الله . وهذا ما لم تستطع تلك الذبائح أن تفعله . وكل ما كان في ميسور تلك الذبائح أن تفعله هو أنها أعطت الإنسان اتصالا بعيداً ومتقطعا بالله . وهو يستعمل هنا كلمتين يعبر بهما عن فكره فيقول إن هذه الأشياء هي ظلال للخيرات العتيدة . والظلال في أصلها اليوناني تعني إنعكاساً ضعيفاً وغامضا ، أو صورة تؤخذ لانسان في الظل ، أو شكلا بغير حقيقة . وأن هذه الظلال الباهتة لا يمكنها أن تعطي الصورة الحقيقية وما يريد أن يقوله هو « إنكم بدون المسيح لا تقدرون أن تصلوا إلى ما بعد ظلال الله » ثم يأتي بالبرهان الذي يؤيد رأيه فيقول إن الذبائح تقدم سنة بعد أخرى وعلى مدى الأزمان إلى خيمة الإجتماع وعلى وجه الخصوص تنحر الذبائح في يوم الكفارة وهكذا يمضي تقديم الذبائح بلا توقف أو إنقطاع وهي تتكرر على مر السنين. أما الشيء الفعال فلا يحتاج إلى تكراره مرة ثانية . إنه يتم مرة واحدة وتظهر نتيجته السريعة . وأن حقيقة تكرار الذبائح يومياً وسنويا هي البرهان النهائي على أنها لاتطهر نفوس الناس . وأنها لاتعطي الإنسان اقترابا كاملا ودائماً إلى الله . وفي الواقع أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يمضي إلى ماهو أبعد من ذلك فيقول إن هذه الذبائح هي بمثابة تذكير الناس بخطاياهم . هي أبعد من أن تطهر إنسانا من خطاياه . وكل ماتستطيع أن تفعله هو أن تذكر الإنسان أنه لم ينل تطهيرا وأن خطاياه تقف فاصلة بينه وبين الله . لنأخذ واحداً من

الناس كمثال ولنفترض أنه مريض ويكتب له الطبيب دواء . وإذا كان الدواء فعالا وأتى بنتيجة طيبة ينظر هذا الإنسان إلى زجاجة الدواء ويقول « هذا الدواء شفانى . وهذا ما استرد لى صحتى » أما إذا لم يأت الدواء بنتيجة طيبة وظل فى حال سيئة بدون تحسن فنى كل مرة ينظر إلى زجاجة الدواء يتذكر أنه لايزال مريضاً وأن هذا الدواء الموصوف له لم ينفعه بشىء .
وهكذا يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين بأسلوب عنيف مثل عنف الأنبياء إن ذبائح الحيوانات لاقوة لها فى تطهير الإنسان وفى إزالة خطيته وفى تقريبه إلى الله . وكل ماتستطيع ذبائح مثل هذه أن تفعله هو تذكير الإنسان بصفة مستمرة بأنه لايزال خاطئاً وأن خطاياه لاتزال حاجزاً سميكاً بينه وبين الله وهى أبعد ما تكون عن التطهير لكنها قادرة فقط على تذكير الإنسان بخطاياه .
إن الذبيحة الوحيدة الفعالة هى ذبيحة يسوع المسيح . وما هو برهان الكاتب على فاعلية ذبيحة المسيح ؟ لكى يؤيد كاتب الرسالة إلى العبرانيين رأيه يقتبس بضع آيات من سفر المزامير (مزمور ٤٠ : ٦ — ٩) حيث يقول المسيح بلسان النبوة :

« بذبيحة وتقدمة لم تسر
أذنى فتحت
حينئذ قلت هائنذا جئت
بدرج الكتاب مكتوب عنى
أن أفعل مشيئتك يالهى سررت
وشريعتك فى وسط أحشائى »

ولكننا نلاحظ بدل السطر الثانى « أذنى فتحت » القول « « هيأت لى جسداً » ولتوضيح سبب هذا الاختلاف أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لم يقتبس هذه الأقوال من النسخة العبرية الأصلية للعهد القديم لكنه إقتبسها

من الترجمة السبعينية التى هى الترجمة اليونانية للعهد القديم . فنى حوالى سنة ٢٧٠ قبل الميلاد شرع علماء الاسكندرية فى مصر فى ترجمة العهد القديم من العبرانية إلى اليونانية . ومن الواضح أن جمهور العارفين باللغة اليونانية كانوا أكثر عدداً من العارفين باللغة العبرية ولذلك فهو يقتبس الآيات من الترجمة السبعينية المعروفة جيداً عندهم . وعلى أى الحالات فان معنى الآيتين واحد . إن القول « أذنى فتحت » يعنى « لقد مسستنى بحيث جعلتنى أطيع كل ما أسمعه » . إنها الأذن المفتوحة المطيعة التى يفكر فيها داود وأما القول « هيأت لى جسداً » فالمقصود به « لقد هيأتنى هكذا بحيث إننى فى جسدى وبجسدى أفعل مشيئتك » فى واقع الأمر نجد أن المعنى واحد فى كلتا العبارتين .

ماهى إذن حجة كاتب الرسالة إلى العبرانيين بعد أن أخذ كلمات ذلك المزمور ووضعها على لسان يسوع ؟ إن ما يقوله ذلك المزمور هو أن الله لايريد ذبائح حيوانية لكنه يريد الطاعة لإرادته . إن الذبيحة الوحيدة التى يرغبها الله من الإنسان هى الطاعة . إن الذبيحة فى جوهرها شىء عظيم ونبيل فهى تدل على أن الإنسان أخذ شيئاً غالياً لديه وقدمه لله إظهاراً لحبه له . ولكن الطبيعة البشرية كما نعرفها جيداً كان من السهل عليها أن تنحدر بفكرة الذبيحة شيئاً فشيئاً . كان من السهل أن تفهم الذبيحة على أنها وسيلة لشراء الغفران من الله . أما الذبيحة فى جوهرها فينبغى أن تكون رمزا للمحبة والولاء لله . ومما يؤسف له أنه كثيراً ما كان ينظر إلى الذبيحة على أنها الثمن الذى يدفعه الإنسان لقاء حصوله على غفران الله . ولم يقل كاتب الرسالة إلى العبرانيين شيئاً جديداً عندما أعلن جهاراً أن الطاعة لله هى الذبيحة الوحيدة الحقيقية . وقبله بزمن طويل رأى الأنبياء كيف شوه الناس معنى الذبيحة وقالوا للشعب إن ما يريده الله ليس دماء وأجساد الذبائح ولكن الطاعة هى

الشيء المقبول عند الله . وهذه الفكرة هي من أنبل الأفكار التي عبر عنها أنبياء الله في العهد القديم . وإليك بعضاً من هذه الأقوال .

« فقال صموئيل هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب . هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش » (صموئيل الأول ١٥ : ٢٢) .

« أذبح لله حمداً وأوف العلي نذورك » (مزمور ٥٠ : ١٤) .

« لأنك لاتسر بذبيحة وإلا فكنت أقدمها . بمحرقة لا ترضى . ذبائح الله هي روح منكسرة القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره » (مزمور ٥١ : ١٦ ، ١٧) .

« إني أريد رحمة لاذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات (هوشع ٦ : ٦)

« اسمعوا كلام الرب ياقضاة سدوم . أصغوا إلى شريعة إلهنا ياشعب عمورة . لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب . اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات . وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر . حينما تأتون لتظهروا أمامي ، من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري . لاتعودوا تأتون بتقدمة باطلة . البخور هو مكرهة لي . رأس الشهر والسبت ونداء المحفل . لست أطيق الاثم والاعتكاف . رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي صارت على ثقلا مللت حملها . فحين تبسطون أيديكم أسترعيني عنكم . وإن كثرتم الصلاة لا أسمع . أيديكم ملآنة دما . اغتسلوا . تنقوا . إعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني . كفوا عن فعل الشر . تعلموا فعل الخير . أطلبوا الحق أنصفوا المظلوم . أقضوا لليتيم . حاموا عن الأرملة . هلم نتحاجج يقول الرب . إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج . إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف . إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض . وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم (إشعياء ١ : ١٠ — ٢٠) .

« بم أتقدم إلى الرب وأنحنى للإله العلى ؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة ؟ هل يسر الرب بألوف الكباش بربوات أنهار زيت ؟ هل أعطى بكرى عن معصيتى ثمرة جسدى عن خطية نفسى ؟ قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح . وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك » (ميخا ٦ : ٦ — ٨) .

وعلى مر العصور كانت الأصوات تنادى بلسان الله أن الذبيحة الوحيدة هى ذبيحة الطاعة . ولا شىء يقدر أن يفتح الطريق إلى الله إلا الطاعة . إن العصيان والعناد والتمرد تضع حاجزا بين الله والإنسان لاتستطيع الذبائح أن تزيله .

وهذا هو السبب الذى لأجله كان يسوع الذبيحة الكاملة لأنه أطاع إرادة الله إلى التمام . لقد أخذ نفسه وأخذ جسده وقال لله « افعل بى كما يحسن فى عينيك ولتكن مشيئتك » وقال أيضاً إن طعامه وشرابه هو أن يفعل إرادة أبيه . وصنع للناس ما كان مستحيلا على أى إنسان أن يصنعه . وقدم لخلاص الناس الذبيحة التى لايقدر أى إنسان أن يقدمها . قدم لله الطاعة الكاملة من جميع الوجوه . ولأجل ذلك كانت ذبيحته الذبيحة الوحيدة الكاملة كمالا مطلقا .

وإذا أردنا أن تكون لنا على الدوام شركة مع الله واقتراب إلى محضره المقدس فان طريق الطاعة هو الطريق الوحيد . ومالم يستطع الإنسان أن يفعله قد فعله يسوع بالنيابة عنه . ومالم يستطع الإنسان أن يقدمه قدمه يسوع كبديل له . إن يسوع قد جاء إلى هذه الأرض وصار إنسانا وفى ناسوته الكامل قدم الذبيحة الكاملة . أجل ! إن الذبيحة الكاملة قد قدمت وأن الطريق بين الله والإنسان قد فتح مرة وسيبقى مفتوحاً لنا إلى الأبد .

« وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَاراً كَثِيرَةً تِلْكَ ٱلذَّبَائِحَ عَيْنَهَا ٱلَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ ٱلْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ ٱلْخَطِيَّةَ . وَأَمَّا هَذَا فَبَعْدَ مَا قَدَّمَ عَنِ ٱلْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً جَلَسَ إِلَى ٱلْأَبَدِ عَنْ يَمِينِ ٱللهِ مُنْتَظِراً بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى تُوضَعَ أَعْدَاؤُهُ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْهِ. لِأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى ٱلْأَبَدِ ٱلْمُقَدَّسِينَ . وَيَشْهَدُ لَنَا ٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ أَيْضًا . لِأَنَّهُ بَعْدَ مَا قَالَ سَابِقاً هَذَا هُوَ ٱلْعَهْدُ ٱلَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَهُمْ بَعْدَ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي قُلُوبِهِمْ وَأَكْتُبُهَا فِي أَذْهَانِهِمْ وَلَنْ أَذْكُرَ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ . وَإِنَّمَا حَيْثُ تَكُونُ مَغْفِرَةٌ لِهَذِهِ لاَ يَكُونُ بَعْدُ قُرْبَانٌ عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ » .

(عبرانيين ١٠ : ١١ – ١٨)

يعود كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى ذكر وجوه الإختلاف بين الذبيحة الّتي قدمها يسوع والذبائح الحيوانية الّتي يقدمها الكهنة .

١ — يؤكد الكاتب على الإنجاز العظيم الذى أنجزه يسوع فحقق به هدفاً عظيماً . إن ذبيحة يسوع قدمتَ مرة واحدة وهى باقية إلى الأبد فى فاعليّها . كانت ذبائح العهد القديم تقدم باستمرار كل يوم بلا استثناء ومع

ذلك فلم تكن لها أية فاعلية . وفى كل يوم كانت الذبائح الآتى بيانها تقدم صباحاً ومساء بلا توقف أو إنقطاع (إقرأ ما جاء فى سفر العدد ٢٨ :٣ — ٨) فى كل صباح ومساء يقدم خروف حولى صحيح كذبيحة محرقة ، ومعه تقدم تقدمة تحتوى على عشر الإيفة من دقيق ملتوت بربع الهين من الزيت ثم تقدم تقدمة أخرى وهى عبارة عن ربع الهين من الخمر وفضلا عن ذلك كانت التقدمة اليومية لرئيس الكهنة وهى عشر الإيفة من الدقيق الملتوت بزيت ويخبز على صاج مسطح ويقدم نصفه فى الصباح ونصفه الآخر فى المساء . وقبل هذه التقدمات كانت تقدم تقدمة البخور فى الصباح ومثلها فى المساء . وطالما كان الهيكل قائماً كانت هذه الذبائح تقدم بانتظام وباستمرار . ما أشبه هذا النظام بطاحون كهنوتى للذبائح . قال أحدهم عن هذه الذبائح إنها نوع من الأشغال الشاقة التى كان الكهنة مكلفين بالقيام بها يوماً بعد يوم ولانهاية لهذه الأشغال . وبعد كل مايقدم من هذه الذبائح والتقدمات فانها تترك الناس على حالهم شاعرين بخطاياهم .

أما يسوع فقد قدم ذبيحته ولم يكن فى الامكان تكرارها ، ولم تكن هى فى حاجة إلى تكرار .

(أ) إن ذبيحة يسوع لم يكن فى الإمكان تكرارها . إن أى عمل عظيم ينطوى على شىء من عدم القابليةللتكرار . فى الإمكان تكرار ألحان « الجاز » الصاخبة . إن موسيقى كهذه لها نظائر تشبهها ولها « عائلات » تنتمى إليها . وإلى حد بعيد يتكرر كل لحن فى لحن آخر . ولكن ليس فى الإمكان تكرار السيمفونية الخامسة أو السادسة لبيتهوفن . ولا يقدر أحد آخر أن يكتب لحنا شبيها بهما فهما تقفان وحدهما بلاشبيه أو نظير .

ومن الميسور أن تتكرر الأشعار التى تنشرها المجلات العاطفية أو التى تطبع على بطاقات عيد الميلاد ولكن من المستحيل تكرار أبيات من شعر شكسبير أوسداسيات إلياذة هوميروس هذه الروائع تبقى فريدة فى بابها . إن هذه الفرائد التى ينجزها العباقرة تمتاز بصفة عدم القابلية إلى تكرارها . على هذا المنوال نقول عن ذبيحة المسيح إنها نسيج وحدها لايمكن أن تتكرر . إنها تمت مرة واحدة وستبقى هكذا إلى الأبد .

(ب) إن ذبيحة المسيح لاتحتاج إلى تكرارها . ولماذا لاتحتاج ذبيحة المسيح إلى التكرار والاعادة ؟ لسببين :

السبب الأول انها ترينا بالوضوح الكامل محبة الله . وفى حياة المسيح — حياة الخدمة ، وفى موت المسيح — موت المحبة نرى قلب الله معروضاً أمامنا بأجلى بيان . وإذ نحدق النظر فى يسوع وهو يحب الناس فى حياتهم ويحبهم حتى الممات لايسعنا إلا أن نقول « هذه هى الصورة الحقيقية لله » . فى حياة وموت يسوع نرى الإعلان الكامل لله .

والسبب الثانى هو أن ذبيحة يسوع كانت عملا من أعمال الطاعة الكاملة لله . وهى لأجل ذلك كانت الذبيحة الكاملة المقبولة عند الله . وكل أسفار الوحى تعلن لنا أن الذبيحة التى يطلبها الله هى الطاعة . وفى حياة وموت يسوع كانت الذبيحة الكاملة التى قبلها الله . إن الكمال المطلق لايحتاج إلى شيء آخر لكى يكمله وهو يقف وحده لا يضارعه شيء آخر . فى ذبيحة المسيح ظهر فى وقت واحد الإعلان الكامل لله والطاعة الكاملة لله .

ولأجل ذلك فان ذبيحة المسيح لايمكن أن تكرر ولا تحتاج إلى التكرار . يستمر الكهنة فى تكرار ذبائحهم يوما بعد يوم أما ذبيحة المسيح فقد قدمت مرة واحدة ولن تتكرر مرة ثانية .

٢ — ويشيد كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى الارتفاع العظيم الذى وصل إليه يسوع . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يختار كلماته بعناية . فالكهنة يقومون لكى يقدموا ذبائحهم أما يسوع فيجلس عن يمين الله . فكأنهم فى مكان الخادم أما مكان يسوع فهو مكان الملك . إن يسوع هو الملك الذى عاد إلى عرشه بعد أن أكمل المهمة وحاز الانتصار . وفى حياة يسوع نجد الكمال الكلى الذى يجب أن يزداد تفكيرنا فيه . حياته لا تكمل إلا بموته . وموته لا يكمل إلا بقيامته . وقيامته لا تكمل إلا بعودته إلى مجده . هو يسوع نفسه الذى عاش ومات وقام ثانية وهو الآن عن يمين الله . فهو ليس مجرد قديس عاش حياة جميلة وهو ليس مجرد شهيد مات موتاً بطولياً . وهو لم يقم من الأموات لكى يمشى على الأرض فى رفقة أصدقائه . هو رب المجد . إن حياته مثل نسيج بالرسوم والصور المتوازية وإذا نظرت إلى جزء من النسيج لا يتيسر لك أن تتبين جماله . إن النسيج يجب أن ينظر إليه ككل لكى يعرف جماله وكذلك يسوع نحتاج أن ننظر إليه ككل يبهرنا بجماله ويجذبنا بمحبته .

٣ — إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين ينبر أيضاً على النصرة النهائية التى سيحرزها يسوع . إنه ينتظر خضوع أعدائه له فى النهاية ولا شئ يستطيع أن يوقف موكب التاريخ أو يعطل هذه النهاية المحتمة . فى النهاية لا بد أن يأتى كون جديد يسود فيه يسوع المسيح سيادة مطلقة وليس لنا أن نعرف كيف تأتى هذه السيادة المطلقة ليسوع المسيح . ربما يجوز لنا أن نتصور أن هذه النصرة النهائية لن تكون بتحطيم أعدائه وسحقهم وملاشاتهم ولكنها ستكون بخضوعهم لمحبته . وبعد كل شئ فليست قوة الله هى التى ستنتصر أخيراً بل محبة الله هى التى سيعقد لها لواء النصر فى النهاية .

وأخيراً يقتبس كاتب الرسالة إلى العبرانيين كعادته آية من الكتاب المقدس لكى يؤيد بها حجته . وهو يقتبس هذه المرة من سفر إرميا ٣١ : ٣٣ ،

٣٤ حيث يحدثنا إرميا النبي عن العهد الجديد الذى لن يفرض على الإنسان فرضاً من الخارج ولكنه سيكتب على قلبه . وتنتهى العبارة المقتبسة بالقول « ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد » وفى يسوع قد جاء العهد الجديد أو الصلة الجديدة بين الله والناس وبفضل ما كان عليه يسوع . وما تحمله ، وما هو عليه الآن فإن حاجز الخطية قد زال إلى الأبد .

معنى المسيح بالنسبة لنا

« فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ بِدَمِ يَسُوعَ طَرِيقاً كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثاً حَيًّا بِالْحِجَابِ أَىْ جَسَدِهِ وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ ٱللهِ لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِى يَقِينِ ٱلْإِيمَانِ مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ ٱلرَّجَاءِ رَاسِخاً لِأَنَّ ٱلَّذِى وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ . وَلْنُلَاحِظْ بَعْضُنَا بَعْضًا لِلتَّحْرِيضِ عَلَى ٱلْمَحَبَّةِ وَٱلْأَعْمَالِ ٱلْحَسَنَةِ غَيْرَ تَارِكِينَ ٱجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبِالْأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ ٱلْيَوْمَ يَقْرُبُ » .

(عبرانيين ١٠ : ١٩ – ٢٥)

يصل الآن كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى التطبيق العملى لكل ما كان يقوله . ومن الحقائق اللاهوتية ينتقل إلى الدروس العملية . وهو يعتبر واحد من أعمق اللاهوتيين فى العهد الجديد ، وكل عقائده اللاهوتية تحكمها غريزته

الرعوية . فهو لا يفكر بعمق لمجرد استمتاعه بالتفكير العميق ولا لنشوة الارتياح العقلى . إنه يفكر فقط لكى يقوده التفكير إلى تقديم أقوى نداء للناس ليدخلوا إلى محضر الله .

وهو يبدأ بذكر بعض الحقائق عن يسوع .

١ – هو الطريق الحى إلى محضر الله . يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إننا ندخل إلى محضر الله بواسطة الحجاب أى بواسطة جسد يسوع . وهذا فكر من الصعب علينا أن نتفهمه فما الذى يقصده كاتب الرسالة إلى العبرانيين بهذا الكلام ؟ إن الحجاب معلق أمام قدس الأقداس فى خيمة الاجتماع . وقد حجب ذلك الحجاب محضر الله عن أنظار الناس . ولكى يتمكن الناس من الدخول إلى محضر الله كان من اللازم أن ينشق الحجاب إلى قسمين لكى يرى الناس المحضر الإلهى . والآن إن جسد يسوع هو الحجاب الذى حجب لاهوته عن عيون الناس . وبهذا المعنى يقول تشارلس وسلى فى ترنيمته العظيمة : « أنظر إلى اللاهوت محجوباً فى الجسد . وعندما تمزق جسد يسوع على الصليب استطاع الناس حقاً أن يروا الله » إن حياة يسوع كلها ترينا الله ولكن على الصليب أعلنت لنا محبة الله بصورة حقيقية ونهائية . وكما فتح حجاب الهيكل الممزق الطريق إلى محضر الله هكذا يعلن لنا جسد يسوع الممزق العظمة الكاملة لمحبة الله . وإذن فنحن لنا فى يسوع الشخص الذى يفتح لنا الطريق إلى الله باظهار محبة الله لنا وبتقديمه إلى الله الذبيحة الكاملة للطاعة الكاملة .

٢ – إن يسوع هو رئيس الكهنة العظيم على بيت الله فى السموات . وكما رأينا مراراً كثيرة أن وظيفة الكاهن هى بناء قنطرة بين الإنسان والله . وهذا معناه بكل بساطة أن يسوع لا يرينا فقط الطريق إلى الله ولكننا عندما نصل إلى هناك سيقدمنا إلى محضر الله . إن إنساناً ما قد يكون قادراً على توجيه

شخص غريب إلى القصر الملكى فى لندن لكنه أبعد ما يكون عن توصيله إلى محضر الملكة . إن يسوع المسيح لا يرينا فقط الطريق الذى يؤدى بنا إلى محضر الله ولكنه يأخذنا — كرئيس كهنة — إلى محضر الله . ولسبب ما فعله يسوع لأجلنا ليس هناك ما يغلق الباب أو يسد الطريق إلى الله .

٣ — إن يسوع هو الشخص الوحيد الذى يقدر أن يطهرنا إلى التمام . وكما رأينا فى الطقوس اليهودية أن الأشياء المقدسة كانت تطهر بدم الذبائح . ومراراً كثيرة كان رئيس الكهنة يغتسل ويطهر نفسه فى المرحضة بماء نقى ولكن هذه الطقوس كانت عديمة الجدوى وعاجزة كل العجز عن إزالة الدنس الحقيقى للخطية . أما يسوع وحده فيقدر بحق أن يطهر قلب الإنسان وجسده إلى أن يكون فى أعلى درجات الطهارة . وتطهير يسوع ليس تطهيراً خارجياً ولكنه بحضوره الشخصى وبفعل روحه القدوس يطهر أفكار القلب الداخلية ورغبات الإنسان العميقة إلى أن يصير بحق طاهراً إلى التمام .

وبعد هذه الأوصاف الجميلة التى وصف بها كاتب الرسالة إلى العبرانيين شخص الرب يسوع ، يمضى إلى حث المؤمنين للقيام بعمل ثلاثة أشياء .

١ — لنقترب إلى محضر الله . وهذا معناه أننا لا يليق أن ننسى أبداً واجب العبادة . لقد أعطى لكل إنسان أن يعيش فى عالمين . فهو يعيش فى هذا العالم — عالم الفضاء والزمن — وهو يعيش فى نفس الوقت فى عالم الروح والأشياء الأبدية . والخطر المحدق بنا هو أننا نرتبط بهذا العالم المادى ونندمج فيه لدرجة أننا ننسى العالم الآخر . فنى الصباح عندما يطلع النهار وفى المساء عندما تغيب الشمس وفى وسط زحام الحياة وأثناء القيام بواجباتنا اليومية يجب أن نطرح كل هذه جانباً لكى ندخل — ولو إلى وقت قصير — إلى محضر الله . إن كل شخص فينا يحمل معه مذبحه الخاص به . ولكن كثيرين من

الناس ينسون أن يدخلوا إلى هذا المذبح ويرفعوا عليه ذبائح الحمد والتكريس للرب .

« كل يوم يحمل معه ترابه التافه الحقير
الذى يملأ النفوس إلى حد الاختناق
ونحن ننسى أن نصلى لأن من طبعنا النسيان
وليس لأننا نريد أن ننسى » .

٢ ــ لنتمسك بإيماننا . أو بعبارة أخرى لا يجب أن ترتخى قبضتنا على ما نؤمن به . إن الأصوات الساخرة تحاول أن تنتزع الإيمان منا . والرجل المادى يخرج كل ما تحوى جعبته من براهين لكى يجعلنا ننسى الله . وأحداث الحياة قد تتحد معاً لكى تهز إيماننا . لقد كان ستيفنسون يؤمن أن الأمور ستتحول فى النهاية إلى الخير وأنه إذا استيقظ يوماً ما فوجد نفسه فى الجحيم فإنه لن يتخلى عن إيمانه . ويجب أن يكون تمسكنا بالإيمان شديداً بحيث لا يقدر أى شئ بالغاً ما بلغت شدته أن يفصلنا عن إيماننا بالله .

٣ ــ يجب أن نهتم بالتفكير فى الآخرين . لنذكر أننا مسيحيون ليس لأجل خيرنا فقط ولكن لخير الآخرين وخدمتهم والتماس الراحة لهم . وما من أحد خلص نفسه وهو يكرس كل وقته وجهوده فى تخليصها . وكم من إنسان خلص نفسه وهو منشغل بالآخرين لدرجة أنه نسى أن له نفساً يهتم بخلاصها . ومن السهل علينا أن يجرفنا التيار إلى نوع من المسيحية الأنانية التى لا تفكر إلا فى نفسها فقط . ولكن المسيحية المحبة لذاتها مناقضة تماماً للمسيحية التى علمها المسيح وطبقها عملياً فى حياته .

ويمضى كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى تلخيص واجبنا نحو الآخرين وهو يرى أن هذا الواجب يمتد إلى ثلاثة إتجاهات .

١ — يجب أن يحرض بعضنا بعضاً على الحياة النبيلة وأفضل طريق لذلك هو بالقدوة الحسنة . ونستطيع أن نفعل ذلك أيضاً بتذكير الآخرين بماضيهم وواجباتهم وامتيازاتهم ومسئولياتهم إذا مالوا إلى نسيانها . وقد قيل إن القديس هو الإنسان الذى يظهر فيه المسيح . ونستطيع أن نحث الآخرين على الصلاح باظهار المسيح لهم بمعنى أن يرى الناس المسيح فى حياتنا . ولنذكر كيف كان الجندى الجريح يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يتجه ببصره إلى «فلورنس نايتنجيل» — رائدة فن التمريض فى العالم — ويقول لها « أنت كالمسيح بالنسبة لى » .

٢ — يجب أن نجتمع معاً للعبادة . كان بعض الأخوة ممن يكتب لهم كاتب الرسالة إلى العبرانيين قد هجروا عادة الاجتماع مع الآخرين للصلاة . ولا يزال بعض الناس يزعمون أنهم مسيحيون بالرغم من أنهم تركوا الاجتماع للعبادة مع شعب الله فى بيت الله وفى يوم الله . وهذا المسيحى المنعزل عن إخوته هو ما يسميه « موفات » : « ذرة نقية » ويذكر « موفات » ثلاثة أسباب مانعة للانسان عن العبادة لله مع الأخوة .

(ا) فهو قد لا يذهب إلى الكنيسة بسبب الخوف . إنه يخجل من إظهار ولائه لله بالذهاب إلى الكنيسة . فهو قد يعمل أو يسكن بين قوم يسخرون ممن يذهبون إلى الكنائس . وقد يكون له أصدقاء يخشى إنتقادهم له أو إحتقارهم إياه . وقد يحاول أن يكون تلميذاً مختفياً وقد قيل بحق إنه يستحيل على الإنسان أن يكون تلميذاً مختفياً لأنه إما أن التلمذة تقتل الاختفاء أو أن الاختفاء يقتل التلمذة ومن الخير لنا أن نذكر — بغض النظر عن أى شئ آخر — أننا بذهابنا إلى الكنيسة نبين إلى أى اتجاه يتجه ولاؤنا . ولنفرض جدلا أن الموعظة ركيكة وأن الخدمة ضعيفة ومع ذلك فإن الكنيسة لا تزال تعطينا

الفرصة لكى نظهر للناس فى أى جانب نحن واقفون .

(ب) قد لا يذهب إنسان إلى الكنيسة بسبب أناقته وحساسيته الشديدة من جهة المظهر الخارجى . فقد لا يميل إلى عامة الشعب . وقد ينفر من الاتصال بالناس الذين ليسوا فى مستواه . وهناك كنائس فى كل مكان تجمع بين الكنائس والأندية . وقد يكون مجاوراً لقوم مستواهم الاجتماعى منخفض ولكن لا يجب أن ننسى أبداً أنه فى نظر الله لا يوجد شئ إسمه إنسان عادى أو إنسان عامى فإن المسيح قد مات لأجل جميع الناس وليس للطبقات المحترمة فقط

(ح) وقد يمتنع عن الذهاب إلى الكنيسة بسبب غروره . وقد يبلغ به الغرور إلى حد أنه يجاهر بصراحة أنه ليس فى حاجة إلى الكنيسة وأنه من الناحية العقلية متفوق على مستوى الوعظ الذى يسمعه فى الكنيسة ؛ والكبرياء الاجتماعية شئ ردئ وممقوت ولكن الكبرياء العقلية والروحية أردأ وأسوأ . وإن أحكم الناس هو جاهل فى عينى الله وأقوى الناس ضعيف فى لحظة التجربة . ولا يوجد ذلك الإنسان الذى يقدر أن يحيا الحياة المسيحية وهو مهمل لشركة الكنيسة . وإذا كان هناك إنسان يشعر هذا الشعور ويظن أنه يقدر أن يحيا الحياة المسيحية وهو بعيد عن شركة الكنيسة فليذكر أنه يذهب إلى الكنيسة لا لكى يأخذ بل لكى يعطى . وينبغى له أن يداوم على الذهاب إلى الكنيسة لا لكى يحصل على فائدة ولكن ليساهم فى النهوض بالكنيسة . وإذا كان يشعر أن فى الكنيسة عيوباً وأخطاء فإن من واجبه أن يأتى لكى يجاهد فى إزالة هذه العيوب وإصلاح هذه الأخطاء .

٣ ــ يجب أن نشجع بعضنا بعضاً . إن أسمى الواجبات البشرية هو

واجب التشجيع . . . وتقضى التعليمات فى البحرية الملكية فى بلاد الإنجليز بأنه لا يجوز لضابط أن يتكلم مع زميل له بأسلوب يحاول به أن يوهن عزيمته فى أداء واجباته. وقد أسدى أليفاز لأيوب فضلا عظيما عندما قال له على غير قصد منه « قد أقام كلامك العاثر وثبت الركب المرتعشة » (أيوب ٤ : ٤) .

كتب يوماً أحد الكتاب ويدعى « بارى » إلى « سنيثا اسكويث » يقول لها « إن غريزتك الأولى هى أن ترسلى دائماً برقية إلى « جونز » عن الكلمات الطيبة التى قالها « براون » فى حقه أمام « روبنصون » « لقد زرعت قدراً كبيراً من السعادة بهذه الطريقة » . ومن السهل علينا أن نهزأ بالمثل التى يضعها الناس أمامهم . ومن السهل أن نصب الماء البارد على حماسهم ومن السهل أن نثبط من عزائم الآخرين ونضعف من روحهم المعنوية والعالم ملئ بهؤلاء المثبطين للعزائم . نحن الآن أمام واجب مسيحى يدعونا إلى تشجيع بعضنا البعض وكم من مرة كانت كلمة ثناء أو شكر أو تقدير أو تشجيع سبباً فى وقوف إنسان على قدميه . طوبى للانسان الذى يقول كلمة من هذا القبيل .

وأخيراً يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن واجبنا من نحو بعضنا البعض يزداد ضغطاً علينا لأن الوقت مقصر . إن اليوم يقترب . وهو يقصد مجئ المسيح الثانى عندما تأتى النهاية لكل هذه الأشياء التى نعرفها . إن الكنيسة الأولى كانت تعيش فى ذلك الانتظار . وسواء كنا فى روح ذلك الانتظار أم أن مشاغل الحياة قد طغت علينا ، فلنتيقن أنه لا أحد يعرف متى يأتيه النداء ليقوم ويذهب إلى راحته . وإن هذا النداء قد يأتى إلينا نحن أيضاً فى ساعة لا نعلمها . وما دامت لنا الفرص السانحة فإن واجبنا أن نعمل كل ما نستطيع من الخير لكل من نستطيع من الناس وبكل ما نستطيع من الطرق .

إنذار فى الصميم

« فَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأْنَا بِٱخْتِيَارِنَا بَعْدَ مَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ ٱلْحَقِّ لاَ تَبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ ٱلْخَطَايَا بَلْ قُبُولُ دَيْنُونَة مُخِيفٌ وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٌ أَنْ تَأْكُلَ ٱلْمُضَادِّينَ . مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ . فَكَمْ عِقَابًا أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقًّا مَنْ دَاسَ ٱبْنَ ٱللهِ وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ ٱلَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً وَٱزْدَرَى بِرُوحِ ٱلنِّعْمَةِ . فَإِنَّنَا نَعْرِفُ ٱلَّذِي قَالَ لِيَ ٱلانْتِقَامُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ ٱلرَّبُّ . وَأَيْضًا ٱلرَّبُّ يَدِينُ شَعْبَهُ. مُخِيفٌ هُوَ ٱلْوُقُوعُ فِي يَدَيِ اللهِ ٱلْحَيِّ » .

(عبرانيين ١٠ : ٢٦ — ٣١)

من وقت لآخر يتكلم كاتب الرسالة إلى العبرانيين بلهجة شديدة وصارمة ويكاد أن لا يكون لها مثيل فى العهد الجديد . وقليلون هم الكتاب الذين يحققون هكذا برعب الخطية .

وفى هذا الفصل تعود أفكاره إلى الإنذار الشديد الذى جاء فى سفر التثنية (١٧ : ٢ — ٦) حيث صدرت التعليمات بصريح العبارة أنه إذا ثبت على إنسان أنه يذهب وراء آلهة غريبة ويسجد لها « فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة الذى فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك الرجل أو المرأة وأرجمه بالحجارة حتى يموت . على فم شاهدين أو ثلاثة شهود يقتل الذى

يقتل . لا يقتل على فم شاهد واحد . أيدى الشهود تكون عليه أولا لقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيراً فتنزع الشر من وسطك » .

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يرتعب من الخطية لسببين . السبب الأول هو أنه عاش فى زمن كانت فيه الكنيسة تحت هجوم شديد ويحتمل كثيراً أن العدو يجدد هجومه عليها مرة ثانية . وكان أعظم خطر يهدد الكنيسة هو الخوف من سلوك أعضائها المشين وارتدادهم عن المسيح . والكنيسة فى مثل هذه الظروف لا يمكنها أن تحتمل الأعضاء الذين كانوا دعاية سيئة للإيمان المسيحى . وأناس من هذا القبيل يسببون للكنيسة عقبات لا يمكن التغلب عليها . إن الكنيسة فى مثل هذه الظروف لا تقدر أن تتهاون مع المرتدين فأعضاؤها يجب أن يكونوا أمناء ومخلصين لها أو لا شئ بالمرة . إن العصر الذى عاش فيه كاتب الرسالة إلى العبرانيين كان يحتم على الأعضاء أن يكونوا فى تمام الولاء للمسيح إذا أرادت الكنيسة أن تعيش . ولا يزال هذا هو الحق فى يومنا الحاضر . قضى « دك شبرد » جانباً كبيراً من حياته وهو يعظ فى الهواء الطلق ولم يكن السامعون معادين للكنيسة وفى نفس الوقت لم يكونوا مكترثين بها . ومن أسئلتهم وبراهينهم وانتقاداتهم كون ذلك الواعظ رأياً مؤداه أن أعظم عقبة فى وجه الكنيسة هو الحياة غير المرضية للمسيحيين إسما لا فعلا . إن المسيحى الذى لا يسلك سلوكاً مرضياً هو الذى يدمر الكنيسة ويقوض أركانها .

والسبب الثانى الذى جعل كاتب الرسالة إلى العبرانيين يرتعب من الخطية هو يقينه الجازم من أن الخطية أصبحت أكثر خطورة بسبب المعرفة الجديدة التى حصلوا عليها عن الله وعن إرادة الله للناس الذين اشتراهم المسيح بدمه .

وضع أحد رجال الدين القدامى كتاباً على هيئة سؤال وجواب . وختم

كتابه بهذا السؤال : « ماذا يحدث إذا استهان الناس بالحق وازدروا بالنداء الذى يقدمه لهم يسوع المسيح » ؟ وكان جوابه : « إن الدينونة أمر محقق لا شك فيه ، وبالأكثر بعد أن قرأت هذا الكتاب » كلما ازدادت المعرفة عظمت الخطية وازداد جرمها . إن اعتقاد كاتب الرسالة إلى العبرانيين هو إن كان الارتداد فى زمن الناموس شيئاً مرعباً فإنه يصير أكثر رعباً وأشد هولا بعد أن جاء المسيح .

ويضع كاتب الرسالة إلى العبرانيين ثلاثة تحديدات للخطية :

١ ــ الخطية هى دوس المسيح بالأقدام . الخطية هى أن تأخذ تقدمة المحبة وتطأها بقدميك . ليست الخطية مجرد تمرد على الناموس . الخطية هى أن تجرح المحبة . وقد يتحمل الإنسان اعتداءاً على جسده . أما الشئ الذى يطرحه إلى الأرض فهو أن يكسر أحدهم قلبه . يقال أنه فى أيام هتلر المرعبة أن رجلا فى ألمانيا قبض عليه وحوكم وعذب ووضع فى معتقل وواجه الرجل كل هذا بشجاعة وبسالة ووقف أمام هذه الأحداث مرفوع الرأس منتصب القامة وأخيراً خرج من المعتقل بعد أن أذاقوه ألوان العذاب لكن روحه المعنوية بقيت عالية . ثم اكتشف بمحض الصدفة اسم الشخص الذى كان أول من قدم بلاغاً كيدياً ضده . كان المبلغ الذى اعتقل بسببه إبنه . وكسر الاكتشاف قلبه ومات فى الحال . انه استطاع أن يتحمل اعتداء العدو عليه لكن اعتداء إبنه وحبيبه عليه قتله . وعندما قتل قيصر واجه قاتليه بشجاعة فائقة ولكنه عندما رأى يد صديقه بروتوس تمتد لضربه لف رأسه بردائه ومات . وبعد أن جاء المسيح إلى العالم لم تكن شفاعة الخطية فى كسرها للناموس بل كانت الخطية فى أبشع صورها فى دوس محبة المسيح بالأقدام . صارت الخطية أكثر الجرائم وحشية لأنها صارت جريمة ضد المحبة .

٢ ــ الخطية هى الفشل فى رؤية الجوانب القدسية فى الأشياء المقدسة .

لا شئ يرعب ويرجف مثل تدنيس المقدسات. يقام فى بعض الجامعات يوم يسمى يوم الطلبة وتجمع فيه التبرعات وتوزع على الأعمال الخيرية . ويعطى الطلبة فى ذلك اليوم شئ كثير من الحرية والتساهل وتمارس الألعاب البهلوانية بكل ما فيها من تهريج ويشاهدها الجمهور بقدر كبير من السرور ولكن حدث أن بعض الطلبة تجردوا من ثيابهم ومثلوا فصلا من رواية ماجنة عند قاعدة نصب تذكارى أقيم تكريماً لمدينة عظيمة وإذا بالجمهور يظهر فى الحال علامات الاستياء والامتعاض لأنهم إنتهكوا قدسية ذلك النصب التذكارى إن الشئ المقدس قد استعمل كأنه خال من القدسية . ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين بهذا الصدد « أنظروا إلى ما عمل لأجلكم . أنظروا إلى دم المسيح المسفوك وإلى جسده المكسور ، أنظروا إلى الثمن الذى تكلفته علاقتكم الجديدة بالله . فهل تقدرون أن تعملوا بهذه الأشياء المقدسة كأن الأمر لا يهمكم فى كثير أو قليل . ألا ترون كم هى مقدسة ويجب أن تعامل بكل توقير وتقديس» إن الخطية هى الفشل فى التأكد من قدسية الذبيحة التى قدمت على الصليب .

٣ — الخطية هى الازدراء بالروح القدس . إن الروح القدس هو الذى يتحدث إلينا فى داخلنا . وهو الذى يخبرنا بالصواب فنتبعه وبالخطأ فنتجنبه هو الذى يعمل على إيقافنا عندما نكون سائرين فى طريق الخطية . وهو الذى يعطينا دفعة قوية للسير إلى الأمام إذا كنا متكاسلين أو متباطئين . وإذا تجاهلنا هذه الأصوات وهذه التحذيرات ولم نعطها الاعتبار الواجب فإننا فى هذه الحالة نزدرى بالروح القدس . وإذا رفضنا نصيحة رجل صالح وحكيم وأهملنا دعوته باحتقار وأسأنا معاملته الكريمة نحونا نكون قد ازدرينا به وهذا ما يحدث تماماً عندما نمضى فى الطريق الذى رسمناه لأنفسنا غير عابئين بالتماسات الروح القدس ، ودعواته ، وأوامره . إننا بهذا التصرف نزدرى بالروح القدس ونحزن قلب الله .

ومن كل هذا الذى مر بنا نخرج بشئ واحد وهو أن الخطية ليست عصياناً على ناموس لكنها إتلاف وتدمير لعلاقة شخصية . الخطية ليست خطية ضد الناموس لكنها التحدى والجرح لقلب الله الآب .

وأخيراً يختم كاتب الرسالة إلى العبرانيين نداءه بانذار شديد فيقتبس ما جاء فى سفر التثنية ٣٢ : ٣٥ و ٣٦ حيث ترى شدة وصرامة الله بكل جلاء ووضوح . وإنك تجد فى صميم المسيحية أن الإنذارات لها مكانها وستظل باقية إلى منتهى الأجيال . وفى إزالة الإنذار إضعاف للإيمان المسيحى وفى النهاية لن يقف الرجل الشرير مع الرجل الصالح على قدم المساواة كما أنه لا يستطيع أحد أن يتهرب من يقينية الدينونة العتيدة أن تكون .

خطر الانحراف

« وَلَكِنْ تَذَكَّرُوا ٱلْأَيَّامَ ٱلسَّالِفَةَ ٱلَّتِي فِيهَا بَعْدَ مَا أُنِرْتُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى مُجَاهَدَةِ آلاَمٍ كَثِيرَةٍ مِنْ جِهَةٍ مَشْهُورِينَ بِتَعْيِيرَاتٍ وَضِيقَاتٍ وَمِنْ جِهَةٍ صَائِرِينَ شُرَكَاءَ ٱلَّذِينَ تُصُرِّفَ فِيهِمْ هَكَذَا . لِأَنَّكُمْ رَثَيْتُمْ لِقُيُودِي أَيْضًا وَقَبِلْتُمْ سَلْبَ أَمْوَالِكُمْ بِفَرَحٍ عَالِمِينَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنَّ لَكُمْ مَالاً أَفْضَلَ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَبَاقِياً . فَلاَ تَطْرَحُوا ثِقَتَكُمُ ٱلَّتِي لَهَا مُجَازَاةٌ عَظِيمَةٌ . لِأَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى ٱلصَّبْرِ حَتَّى إِذَا صَنَعْتُمْ مَشِيئَةَ اللهِ تَنَالُونَ ٱلْمَوْعِدَ . لِأَنَّهُ بَعْدَ قَلِيلٍ جِدًّا سَيَأْتِي ٱلْآتِي وَلاَ يُبْطِئُ . أَمَّا ٱلْبَارُ فَبِٱلْإِيمَانِ يَحْيَا وَإِن

ٱرْتَدَّ لاَ تُسَرُّ بِهِ نَفْسِي . وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا مِنْ ٱلارْتِدَادِ لِلْهَلاَكِ بَلْ مِنَ ٱلْإِيمَانِ لِٱقْتِنَاءِ ٱلنَّفْسِ » .

(عبرانيين ١٠ : ٣٢ – ٣٩)

هؤلاء القوم الذين كتبت لهم هذه الرسالة جاء عليهم زمن لم يكونوا فيه مهددين بخطر الانحراف . إنهم عندما صاروا مسيحيين عرفوا الاضطهاد وذاقوا ألوانه وقبلوا سلب أموالهم بفرح . وعرفوا معنى الانتماء إلى قوم هم موضع شبهة مع أنهم مغمورون ولا مكانة لهم فى المجتمع . وقبلوا هذا الموقف بشجاعة وبشرف . وأما الآن ، وقد صاروا فى خطر الانحراف فإن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يذكرهم بولائهم السابق .

إن الحق الصريح فى هذه الحياة أنه فى طرق كثيرة أسهل علينا أن نقاوم الشدائد من أن نقاوم الرخاء . إن الرخاء قد أخرب عدداً من الناس أكثر ممن أتلفتهم الشدائد والضيقات . وأصدق مثل لذلك ما حدث لجيوش هانيبال. إن هانيبال ابن قرطاجنة كان القائد الوحيد الذى استطاع أن يلحق بالجيوش الرومانية هزائم منكرة . والرومان شعب قد يخسر المعركة ولكنه قلما يخسر الحرب . وجاء الشتاء واضطرت الحملة إلى التوقف وقضى هانيبال الشتاء مع جيوشه فى مدينة « كابوا » التى كان قد استولى عليها وكانت « كابوا » مدينة الرخاء والتنعم . وفعل شتاء واحد فى مدينة « كابوا » ما لم تستطع الجيوش الرومانية أن تفعله . شتاء واحد فى مدينة الرخاء والتنعم إستنزف الروح المعنوية من جيوش قرطاجنة ولما جاء الربيع حاولت جيوش قرطاجنة أن تواصل حملتها ولم تستطع أن تقف أمام جيوش الرومان . لقد أتلفهم الرخاء فى الوقت الذى نجح الكفاح على تقوية عزائمهم . وهذه حقيقة ساطعة من حقائق الحياة المسيحية وكثيراً ما يقابل الإنسان ساعة الإمتحان العظيمة . أما طريق الحياة اليومية فهو الذى يعتصر قوته ويضعف إيمانه .

وأن نداء كاتب الرسالة إلى العبرانيين هو نداء يصح أن يوجه إلى كل إنسان فى أيامنا الحاضرة . وكأنى بالكاتب يقول لهم «كونوا كما كنتم فى الماضى فى أحسن حالاتكم » ولو كنا اليوم فى أحسن ما يمكن أن نكون عليه وسرنا على هذا المبدأ دائماً لتغيرت حياتنا تغيراً ملحوظاً . إن الديانة المسيحية لا تطالبنا بالمستحيل . وإذا كنا على الدوام نسلك بالاستقامة ، والأمانة ، والشفقة ، والشجاعة ، واللطف ودماثة الأخلاق ، ولو كنا نسلك بهذه الصفات فى أحسن صورة ممكنة ، لكانت حياتنا تختلف إختلافاً بيناً عما نحن عليه اليوم . وكل واحد فينا يستطيع أن يتخذ لنفسه هذا الشعار « إياك يا نفسى أن تنقصى فى يوم من الأيام فى حياتك الأدبية والروحية عن أعلى مستوى يمكنك أن تصلى إليه » .

ولكى نحقق هذا الشعار نحتاج إلى بعض الأشياء .

١ — نحتاج لأن نضع رجاءنا أمامنا دائماً . أنظر إلى الرياضى الذى يتأهب للسباق نجد أن الهدف وشريط المنتهى ينادیانه لبذل أقصى جهد لديه وهو يخضع للتدريب مهما كان قاسياً لأنه يضع نهاية الشوط أمام عينيه . وإذا كانت الحياة مجرد قضاء يوم بعد يوم فى الأعمال الروتينية العادية فقد يجرفنا التيار وننحرف عن الطريق المستقيم . ولكن إذا كنا فى طريقنا إلى السماء عندئذ لا بد أن تكون الحياة دائماً فى أقصى طاقتها .

٢ — نحتاج إلى الصبر والثبات . إن المثابرة هى واحدة من الفضائل العظيمة الواقعية غير الخيالية . ومعظم الناس قد يبدأون حسناً . وكل واحد منا يستطيع أن يكون لطيفاً وصبوراً فى فترات متقطعة ومعظم الناس لهم أيامهم العظيمة — الأيام التى لها تاريخ . ومعظم الناس لهم لحظات عظيمة فى حياتهم وقفوا فيها مواقف البطولة والشجاعة . ويعطى لكل واحد منا أحياناً أن يتسلق أعلى الجبال ويرفع أجنحة كالنسور . وفى اللحظات التى تدعو إلى

مجهود عظيم يستطيع كل إنسان أن يجرى ولا يكل ولكن أعظم المواهب جميعاً أن نمشى ولا نعيا .

٣ ــ نحتاج إلى تذكر النهاية . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقتبس من سفر حبقوق ٢ : ٣ حيث يتحدث النبى إلى قومه بأنهم إذا تمسكوا بولائهم لله فإن الله سيتدخل فى موقفهم الحاضر لأن الانتصار يأتى دائماً للانسان الذى يظل ثابتاً إلى النهاية . وفى نظر كاتب الرسالة إلى العبرانيين كانت الحياة شيئاً يمضى فى طريقه إلى محضر المسيح . ولم تكن الحياة فى يوم من الأيام مسموحاً لها أن تنحرف ذات اليمين أو ذات اليسار . ولم يكن مباحاً للحياة أن تحجم أو ترتد عن مطالب الولاء لله . إن نهاية الحياة هى التى تجعل كل الأعمال فى غاية الأهمية وأن الإنسان الذى يصبر إلى المنتهى فهو وحده الذى يخلص .

هذا هو نداء موجه إلينا اليوم أن لا نكون أبداً أقل من أعلى مستوى يمكننا أن نصل إليه ، وأن نتصف دائماً بالفضيلة الجوهرية الواقعية أعنى بها فضيلة الصبر والثبات والمثابرة وعلينا أن نذكر دائماً أن النهاية آتية ولا ريب فيها . وإذا كانت الحياة هى الطريق إلى المسيح فلا ينبغى لأحد أن يضل أو يقف فى منتصف الطريق .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلْحَادِىَ عَشَرَ

الرجاء المسيحى

« وَأَمَّا ٱلْإِيمَانُ فَهُوَ ٱلثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَٱلْإِيقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى . فَإِنَّهُ فِى هَذَا شُهِدَ لِلْقُدَمَاءِ . بِالْإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ ٱلْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ ٱللهِ حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ » .

(عبرانيين ١١ : ١ – ٣)

يقول لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن الإيمان هو الرجاء الأكيد بأن ما يؤمن به هو الحق وما يتوقعه سيأتى لا محالة . فهو ليس الرجاء الذى يتطلع إلى المستقبل بالأشواق والرغبات ويتعلل بالأحلام والأمانى بل هو الرجاء الذى يمد بصره إلى الأمام بيقين كامل . إنه ليس الرجاء الذى يلجأ إلى «عسى» أو « لعل » أو « ربما » بل هو الرجاء المؤسس على اعتقاد جازم وراسخ . جاءوا فى الأيام الأولى للاضطهاد المسيحى برجل فقير أمام القضاة . وجاهر أمامهم قائلا إنه لا يمكنهم أن يفعلوا به شيئاً يستطيع أن يزعزعه لأنه يؤمن أنه متى كان أميناً لله فإن الله سيكون أميناً نحوه ولا شك . وسأله القاضى « هل تظن أن رجلا فقيراً ووضيعاً مثلك سيذهب إلى الله ويتمتع بأمجاده » ؟ فأجاب الرجل على الفور « ليس هذا من قبيل الظن والتخمين بل هو العلم واليقين » . ومرت أيام على يوحنا بنيان تزعزع فيها إيمانه وكان يتعذب من عدم الثقة . وكان أحياناً يقول « إن كل واحد من الناس يرى أن ديانته هى

أصدق الأديان . فاليهودى والوثنى يؤيد كل منهما رأيه . ومن يدرى فربما كان الإيمان بالمسيح والوحى من قبيل الظن والترجيح فقط ، ولكن عندما سطع عليه النور السماوى وفتح بصيرته خرج وهو يصيح « الآن أنا أعرف الآن أنا أعرف » إن الرجاء المسيحى هو أكثر من أمل براق . إنه الرجاء الذى يتحول إلى يقين . إن الرجاء المسيحى هو الذى يملى على الإنسان سلوكه ويسيطر على تصرفاته فيعيش ويموت فى هذا الرجاء .

كان أحد المؤمنين يترنم قائلا :

أنا أمضى متوكئاً على عكاز الرجاء
ولابساً رداء الصـــبر فى سياحتى
وكيفما كان الأمر من يسر أو عسر
فإن تذكرة سفرى هى للأبديـــة

ويحدد « موفات » ثلاثة اتجاهات للرجاء المسيحى :

١ ـ الرجاء المسيحى هو الإيمان بالله وليس بالعالم .

وإذا كنا نسير طبقاً لمقاييس العالم فمن المحتمل جداً أن يكون لنا الرخاء والراحة والحياة السهلة . أما إذا كنا نتبع مقاييس الله فقد يكون لنا الألم والخسارة والحياة المغمورة ، وقد نضطر أن نضرب صفحاً عما يقدمه لنا العالم من مكافآت سخية . إن الرجاء المسيحى يجعلنا نفضل الألم والضيق مع الله على الرخاء مع العالم . وفى سفر دانيال نقرأ عن الفتية الثلاثة ـ شدرخ وميشخ وعبد نغو ـ بعد أن ووجهوا باختيار أمر من إثنين : إما أن يطيعوا نبوخذنصر ويسجدوا لتمثال الملك أو يطيعوا الله ويدخلوا أتون النار المحمى سبعة أضعاف . وبدون تردد اختاروا الوقوف بجانب الله (دانيال ٧) وعندما استدعى بنيان للمحاكمة قال « بتعزيات الله لنفسى المسكينة توسلت

إلى الله قبل ذهابى إلى المحكمة أنه إن كان يرجى منى خير وأنا حر أكثر مما أكون وأنا سجين فليطلق سراحى. وإلا فلتكن مشيئة الله» . إن موقف الإنسان المسيحى — إجمالا وتفصيلا — هو أنه فى نور الأبدية لا يخسر شيئاً ببقائه أميناً لله . إن المسيحى لا يتطرق إليه الشك بأن المغامرة مع الله أفضل له من الثقة بمكافآت العالم .

٢ — الرجاء المسيحى هو السير بارشاد الروح لا بالحواس. تقول الحواس للإنسان « خذ ما تشاء . خذ ما تستطيع أن تلمسه وتذوقه وتمسكه وتتمتع به » التقط كل الورود التى يمكنك التقاطها فإن الزمن يطير من بين يديك . وأن الزهرة التى تبتسم لك اليوم ستذبل غداً . تمتع برائحتها اليوم قبل أن تذبل ». إن الحواس تقول لنا أن نقبض على الفرصة السانحة ولا ندعها تفلت من بين أيدينا . أما الروح القدس فيقول لنا أن فى إنتظارنا أشياء أعظم مما يعطيه لنا عالم الحواس . إن المسيحى يؤمن بارشاد الروح القدس لا بحكم الحواس .

٣ — الرجاء المسيحى هو الاعتقاد بالمستقبل لا بالحاضر . ومن قديم الأزمان كان أبيقور يقول إن غاية الإنسان العظمى هى اللذة ولكنه لم يقصد ما ذهب إليه كثيرون من تفسير كلامه . فقد كان يصر على أننا يجب أن تكون لنا النظرة الطويلة والآفاق البعيدة . فالشئ الملذ لنا فى اللحظة الحاضرة قد يجلب لنا الحسرة والألم فى نهاية الأمر . والشئ الذى يؤذينا اليوم قد يعطينا الفرح غداً . إن المسيحى على يقين بأنه فى النهاية لا يستطيع إنسان أن يصلب الحق أو ينفيه بعيداً . هو على يقين بأن الحق شئ عظيم وبأنه سيعقد له لواء النصر إن طال الزمان أو قصر . فى لحظة ما زعم القضاة أنهم قضوا على سقراط وظن بيلاطس أنه سحق المسيح . ولكن حكم المستقبل غير حكم اللحظة العابرة . ويقول لنا « فوزدك » فى أحد كتبه إن نيرون جلس يوماً على كرسى القضاء وحكم على بولس بالقتل ولكن دوراً يمضى ودوراً يجئ

وإذا بالناس يطلقون على أبنائهم إسم « بولس » ويطلقون على كلابهم اسم « نيرون » .

ومن السهل علينا أن نحتج قائلين « لماذا يجب على أن أرفض اللذة ، والربح ، والهروب ، والأمان الذى يقدمه لى الزمن الحاضر فى سبيل مستقبل مجهول وغير مضمون وكثير المشاكل » ؟ والجواب المسيحى هو أن المستقبل ليس مجهولا ولا غير مضمون كما يزعم البعض . إن المستقبل مضمون فى يدى الله . وفى كل أمر من الأمور يؤمن الرجاء المسيحى أن مواعيد الله صادقة وأمينة ويتصرف على أساس هذا الاعتقاد . ويكفى المسيحى أن الله أمر بشيء ما وأن الله وعد بشيء ما . إن رجاء المسيحى شيء يقينى ومؤكد لأن رجاءه هو فى الله .

ويمضى كاتب الرسالة إلى العبرانيين ليقول إن أبطال الإيمان العظماء عاشوا على هذا المبدأ ولأجل ذلك شهد لهم بأنهم قد أرضوا الله . ورفض كل واحد منهم مايسميه العالم منصباً عظيما ورفض الأمان فيما يدعوه العالم قرار الأمان والاستقرار وغامر بكل شيء مع الله وبرهن التاريخ على أنهم كانوا صائبين فى اختيارهم . إن الرجاء المسيحى ليس افتراضاً أو ادعاء بل هو اليقين الذى تسنده وتؤيده كل البراهين والأسانيد فى العالم .

ويمضى كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى أبعد من ذلك فيقول إننا بالإيمان نفهم أن الله صنع هذا العالم وأنه خلق الأشياء المنظورة من أشياء غير منظورة وعندما قال هذا القول كان يسدد ضربة قاضية إلى إعتقاد معاصر مؤداه أن الله خلق العالم من أشياء كانت موجودة فعلا وليس من العدم . وفضلا عن ذلك فإن اعتقادا سائدا اليوم يقول إن المادة التى خلق الله منها العالم مادة ناقصة ومعيبة وتبعاً لذلك فان العالم الذى خلقه الله به نقص وعيب .

لكن الكاتب يصر على أن الله لم يصنع العالم من مادة موجودة بل إنه خلق العالم من لاشيء . وهو عندما يقول ذلك لا تستهويه النظريات الكونية ولا يهمه الجانب العلمي للمادة . وكل ما يريد أن ينبر عليه هو أن هذا العالم هو عالم الله . وأن الله مسئول عنه ومتكفل به وإذا كنا نتمسك بهذه الحقيقة نخرج بشيئين .

الشيء الأول هو أنه من اللائق أن نستعمل العالم على هذا الاعتبار . لنذكر أن كل شيء فيه هو ملك لله ولنجتهد أن نستعمله كما يريد الله منا أن نستعمله .

والشيء الثانى هو إننا يجب أن نذكر أن الله — بكيفية ما — يحكم هذا العالم ويمسك بدفة الكون، حتى إن بدا لنا غير ذلك . وإذا كنا نؤمن أن هذا العالم هو عالم الله ، فإن الإيمان والرجاء سيمكناننا من القيام بأصعب شيء فى العالم . وهو أن نقبل مالانستطيع فهمه . وإذا كنا نؤمن أن هذا العالم هو عالم الله فإننا سنحس إحساساً جديداً بالمسئولية لأن كل شيء ينتمى إلى الله وأن كل الأشياء هى فى يدى الله .

إيمان التقدمة المقبولة

« بِٱلْإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ . فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ إِذْ شَهِدَ ٱللهُ لِقَرَابِينِهِ . وَبِهِ وَإِنْ مَاتَ يَتَكَلَّمُ بَعْدُ » .

(عبرانيين ١١ : ٤)

يبدأ كاتب الرسالة إلى العبرانيين سجل الشرف لأبطال الإيمان باسم هابيل.

وقد جاءت قصة قايين وهابيل فى سفر التكوين (٤ : ١ – ١٥) ونحن نرى فى القصة غموضاً . فإن قايين حرث الأرض فأنتجت محصولا وقدم إلى الله تقدمة من ثمار الأرض . وكان هابيل راعيا للقطيع وقدم لله تقدمة من غنمه . وفضل الله تقدمة هابيل على تقدمة قايين . وتحرك الغيظ الدفين فى قلب قايين فقام على أخيه هابيل وقتله وهام على وجهه منبوذا على وجه الأرض . وفى القصة الأصلية يصعب علينا فهم معناها فليس فيها مايشير إلى السبب الذى لأجله فضل الله تقدمة هابيل على تقدمة قايين . وتبدو لنا كأنها معاملة تعسفية وليس فيها شىء من العدالة . ولكن المعنى العميق للقصة هو أن التقدمة الحقيقية التى يستطيع الإنسان أن يقدمها لله يجب أن تكون أغلى ما تستطيع الحياة أن تقدمه . وأعظم وأعز شىء تستطيع الحياة أن تقدمه لله هو الحياة نفسها . وعند العبرانيين يعتبر الدم بمثابة الحياة ذاتها . الحياة هى الدم والدم هو الحياة ونستطيع أن نفهم هذا الأمر جيداً لأنه عندما يسفك الدم تنتهى الحياة . وإذا كان هذا المبدأ مقبولا فإن الذبيحة الوحيدة المقبولة عند الله فى تلك الأيام الأولى من التاريخ هى ذبيحة الدم لأن الدم هو الحياة التى هى أغلى شىء على الإطلاق . إن ذبيحة هابيل كانت ذبيحة مخلوق حى أما تقدمة قايين فلم تكن كذلك . ولهذا السبب حازت ذبيحة هابيل قبولا عند الله .

ولايستبعد أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لم يكتف بما ذكره سفر التكوين عن هذه القصة ولكن جالت بخاطره أيضاً الأساطير التى توارثها اليهود من قديم الزمن . ومن الواضح أن اليهود أنفسهم وجدوا بعض الحيرة فى تفهم القصة فاستعانوا بالأحاديث المتواترة لكى يجدوا مبررا فى رفض الله لتقدمة قايين – هذا الرفض الذى أدى إلى قتل قايين لأخيه هابيل .

وتقول إحدى القصص الشعبية لليهود إن حواء كانت تلد فى كل مرة

توأمين هما ولد وبنت . وكان التوأمان يتزاوجان عندما يكبران . وعندما ولد قاين وهابيل أراد آدم أن يغير من هذه الأوضاع قليلا وفكر فى أن يعطى توأم قاين لهابيل وتوأم هابيل لقاين وتذمر قاين لما أراد أبوه أن يفعله . ورغبة فى تهدئة الخواطر قال آدم لإبنيه « قدما ياولدى الذبائح لله ومن يقبل الله ذبيحته يتزوج البنت الصغرى . خذا تقدماتكما فى أيديكما واذهبا بهما إلى الله ولتكن كلمة الله هى الكلمة الفاصلة » وذهب هابيل إلى قطيعه وأخذ من سمان غنمه وأبكارها وقدمه ذبيحة لله . أما قاين فأخذ من أبخس المحصول وأقله قيمة ووضعه على المذبح ونزلت النار من السماء وأكلت ذبيحة هابيل . أما تقدمة قاين فتركت كما هى . وعندئذ أعطى آدم البنت الصغرى لهابيل وبلغ الغيظ بقاين كل مبلغ . وفى ذات يوم كان هابيل نائما على قمة جبل وأخذ قاين حجرا وشج به رأس أخيه ثم حمل الجثة على ظهره وهو لا يدرى ماذا يفعل بها . ورأى فى طريقه غرابين يتقاتلان إلى أن قتل أحدهما الآخر وحفر الغراب القاتل حفرة فى الأرض ودفن فيها الغراب القتيل وقال قاين « إنى لا أملك إلا أن اقتدى بهذا الغراب وأدفن أخى فى التراب » وهكذا فعل .

وعند اليهود قصة أخرى تقول إن قاين وهابيل لم يستطيعاً أن يتفقا على شىء بشأن ممتلكاتهما واقترح هابيل إقتراحاً لفض المنازعات بينهما . وبموجب هذا الاقتراح أخذ قاين الأرض وكل عقار ثابت وأما هابيل فاكتفى بالعقار المنقول . ولكن قلب قاين لم يزل مليئا بالحقد والمرارة على أخيه . وقال يوماً له « إن السهل الذى أنت واقف عليه هو ملكى فلاتضع قدمك فيه » وجرى هابيل إلى التلال ولكن قاين طارده وهو يقول له « إن التلال ملكى فلا تقف عليها » ولم يجد هابيل مفرا إلا أن يلجأ إلى الجبال

ولكن قايين تعقبه وقال له « إن الجبال أيضاً ملكي » وهكذا في غيظه وحقده ترصد لأخيه حتى قتله .

ومن هذه القصة نخرج بحقيقتين عظيمتين :

الحقيقة الأولى أن القصة تخفى بين طياتها رذيلة الحسد . وحتى اليونان استطاعوا أن يروا فظاعة الحسد . قال ديمو ستينوس « إن الحسد هو علامة الطبيعة التي كلها شر » وقال يوبيدس « إن الحسد هو أخطر جميع الأمراض التي تصيب الانسان » وهناك مثل يوناني يقول « إن الحسد ليس له مكان في فريق الترتيل عند الله » إن الحسد يقود إلى المرارة والمرارة تلد الكراهة والكراهة تؤدى إلى القتل . الحسد هو السم الذى يسمم كل ينابيع الحياة ويقتل كل صلاح في نفس الإنسان .

والحقيقة الثانية أن قايين اكتشف خطية جديدة قال فيها أحد الآباء القدامى « قبل ذلك الوقت لم يكن أحد قد مات ولذلك كان قايين أول من عرف القتل وعلمه الشيطان ذلك في حلم » وقبل ذلك الحادث لم يعرف أحد ماهو القتل . وأدخل قايين تلك الخطية البشعة إلى العالم . إن للخطية دينونة ولكن الدينونة الأعظم لمن يعلم غيره أن يخطىء . ومهما كان العقاب فإنه قليل بالنسبة لمن يعثر أحد الصغار ، الإنسان الذى يدخل خطية ما إلى حياة كانت من قبل بريئة . إن إنسانا كهذا سيبعد عن وجه الله ويكون مصيره مثل مصير قايين .

وهكذا يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين « مع أن هابيل مات بسبب إيمانه إلا أنه لايزال يتحدث إلينا » ويعلق « موفات» تعليقا لطيفا على هذه العبارة فيقول « إن الموت لن يكون الكلمة الأخيرة في حياة الإنسان البار » وعندما يترك الانسان هذا العالم فهو يترك فيه شيئاً ما . يترك شيئاً مثل

السرطان أو الأعشاب السامة التى تمتص الحياة أو قد يترك شيئاً طيبا يزهر ويثمر بلا نهاية لزهره وثمره . وكل إنسان يترك وراءه تأثيراً للخير أو للشر . يترك مثالا للصلاح أو للخطية وكل واحد منا بعد أن يموت لا يزال يتكلم . ليت الله يمنحنا نعمة حتى نترك وراءنا لا جراثيم الشر بل زهور الخير — نترك الأشياء الطيبة والجميلة التى يسمع بها من يأتون بعدنا فيجدون فيها بركة لهم .

السير مع الله

« بِٱلْإِيمَانِ نُقِلَ أَخْنُوخُ لِكَيْ لاَ يَرَى ٱلْمَوْتَ وَلَمْ يُوجَدْ لِأَنَّ ٱللهَ نَقَلَهُ . إِذْ قَبْلَ نَقْلِهِ شُهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى ٱللهَ . وَلَكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ ٱلَّذِي يَأْتِي إِلَى ٱللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَأَنَّهُ يُجَازِي ٱلَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ » .

(عبرانيين ١١ : ٥ ، ٦)

لخص العهد القديم حياة أخنوخ فى جملة واحدة وهى « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » (تكوين ٥ : ٢٤) .

وتجمعت قصص كثيرة حول حياة أخنوخ . قيل إنه كان أول رجل أتقن مهنة الحياكة وعلم الناس كيف يقطعون الجلود لتكون ملابس لهم . ويقال إنه كان أول من علم الناس كيف يصنعون الأحذية لتحمى أقدامهم . ويقال أيضاً أنه كان أول من استعمل الكتابة وعلم الناس قراءة الكتب . كما أن القصص المتواترة تروى لنا أن ملاك الموت عقد معاهدة مع أخنوخ .

وطلب أخنوخ من الملاك ثلاثة مطالب . أولا أن يموت ثم يعود إلى الحياة ثانية حتى يستطيع أن يصف للناس ماهو الموت . وثانياً أن يرى مساكن الأشرار حتى يعرف لأى مدى يعاقب الشرير . وأجيب أخنوخ إلى هذين المطلبين . وكان مطلبه الثالث أن يسمح له برؤية الفردوس ليرى ما يتمتع به الأبرار . وعندما سمح له أن يلقى نظرة على الفردوس لم يعد إلى الأرض ثانية .

والقصة كما يسجلها لنا سفر التكوين يحيط بها نوع من الغموض . وإذا أخذت بحرفيتها لاتقول لنا شيئاً عن الكيفية التى مات بها أخنوخ فهى تقول لنا ببساطة إن أخنوخ فى الوقت المعين من الله انتقل بهدوء وسلام من هذه الأرض . وهناك تفسيران مشهوران عن انتقال أخنوخ .

١ ـ جاء فى سفر الحكمة (٤ : ١٠) أن الله أخذ أخنوخ إليه عندما كان فى سن الشباب لكى يخلصه من شرور هذا العالم وقد اختطف اختطافاً لئلا تبلد الخطية ذهنه أو تفسد نفسه .

٢ ـ والرأى الثانى للفيلسوف الاسكندرى « فيلو » وهو يرى فى أخنوخ رمزا عظيماً ومثالا واضحاً للتوبة . لقد تغير أخنوخ ـ كما يرى فيلو ـ من الحياة البعيدة عن الله إلى الحياة القريبة من الله . ولكن معنى الانتقال بكل تأكيد كان أبسط كثيراً مماراه « فيلو » . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين إستند إلى قول الوحى كما جاء فى سفر التكوين وصرح بأنه لم يمت اطلاقا وبطريقة معجزية خلع ثوب الجسد وأخذه الله إلى جواره . ولأنه سار مع الله فى الوقت الذى كان فيه الناس بعيدين عن الله . فكان فى كل يوم يزداد اقترابا إلى الله إلى أن نقله الله إليه . ونحن لايسعنا أن ندرس قصة أخنوخ من غير أن نفكر فى المواقف المختلفة بازاء الموت . وأن

البيان الذى ذكره العهد القديم لهذه القصة — فى بساطته وعمقه — خليق بأن يجعلنا نفكر فيما يجب أن نشعر به عند الموت .

١ — هناك من يرون فى الموت سراً غامضاً لاتفسير له . قال أحدهم « إننا قد كرهنا الموت ولم نعرف له معنى » وقال « باكون » « إن الناس يخافون الموت كما يخاف الأطفال من السير فى الظلام » . لقد كان الموت دائماً لهؤلاء القوم « ذلك المجهول المرعب » ويتفقون مع « هاملت » فى الرعب مما يأتى بعد الموت .

٢ — والبعض الآخر رأوا فى الموت أمراً حتمياً ولا مفر منه ولاحيلةلهم فيه . كما يجعل «شكسبير» « قيصر » يقول فى رواية « يوليوس قيصر » أنه يبدو لى أمراً غريبا أن يخاف الناس الموت وهو أمر لامناص منه . فليأت الموت عندما يريد أن يأتى ويقول « شكسبير » أيضاً فى رواية أخرى بإسلوب متشائم :

« لن تخاف بعد ذلك من حرارة الصيف ولا من صقيع الشتاء . لقد أكملت مهمتك على الأرض . إن الاولاد والبنات ذوى الشعور الذهبية سيتحولون أيضاً إلى تراب .

لن تخاف بعد اليوم من غضب العظماء ولا من سياط المتجبرين . ولن يغبيك التفكير فى المأكل والملبس . إن النبتة الضعيفة ستتساوى مع شجرة البلوط . ورجال السيف ، وأصحاب المعرفة وأبطال القوة الجسدية سيصيرون جميعهم ترابا .

لن تخاف بعد اليوم من البرق الخاطف أوالرعد القاصف . ولن تخشى سخرية الناس وتصيدهم للأخطاء . لقد أكملت الفرح والحزن . إن جميع المحبين من صغار وكبار سيتحولون مثلك إلى تراب .

٣ — ورأى آخرون فى الموت الفناء المطلق . إن أعذب شعراء الرومان « كاتولوس » كان يقول لحبيبته « ليزبيا » « لنحيا ولنحب ولا يهمك لوم اللائمين فان الشمس تغيب وتشرق ثانية ولكن عندما يطير يومنا القصير سنمضى إلى ليلة لا نهاية لها » .

إن الموت عندهم هو الانقراض والضياع فى الظلمة الأبدية . هو النوم الذى لايقظة بعده .

٤ — وفريق آخر من الناس رأى فى الموت الهول الأكبر والشر المجسم . هو المغتصب لكل سعادة أرضية . رأوا فقط فى الموت أكبر هادم لآمالهم . يقول « شكسبير » بلسان « كلوديو » فى إحدى رواياته .

إنما الموت شىء مخيف
عندما نموت ولا نعلم إلى أين نذهب
هل نرقد فى البرد والصقيع
أو هل تشوينا النيران بلهيبها
أو هل تتقاذفنا الرياح بعنفها الشديد
إن أسوأ أنواع الحياة
كالشيخوخة أو الألم أو الفقر أو السجن
هو الفردوس بالنسبة لمخاوف الموت

وقال آخر « هل الحياة نعمة ؟ إن كان الأمر كذلك فإن ذلك الموت لابد أن ينزل علينا وعندما يأتى لابد أنه يأتى عاجلا .

وكتب روبرت بيرنز رثى « هايلاند مارى » فى موتها المبكر « لقد جاء صقيع الموت قبل أوانه واقتطف زهرتى فى وقت مبكر » .

هناك قوم لم يروا فى الموت إلا أنه المرعب المتجهم والهادم للسعادة .

٥ ـ وكثيرون رأوا فى الموت راحة وانطلاقا . لقد تعبوا من العالم وأحنت أعباء الحياة كاهلهم فرأوا فى الموت راحة وهروبا من الحياة . قال شكسبير فى احدى مقطوعاته « لقد أتعبتنى كل هذه الهموم وإن إلى الموت حنينى واشتياقى » . وقال آخر « إن الموت هو امتياز الطبيعة البشرية » وكان الرواقيون يقولون « إن الآلهة أنعمت على الناس بنعمة الحياة ولكن هناك نعمة أعظم من الحياة وهى نعمة الانتحار والتخلص من الحياة » .

وكان ليتس الشاعر يقول « إنه فى شبه حب مع الموت المريح الهادىء ». وكتب الشاعر « سوينبرن » معبرا عن متاعب الحياة فقال :

« تحرر من حبك الكثير للحياة
واسترح من آمالك ومخاوفك
وقدم الشكر للآلهــــة
لأن الإنسان لن يعيش إلى الأبد
ولأن الموتى لن يقوموا ثانية
ولأن أكثر الأنهار إعياء من طول السير
ستصب مياهها أخيراً فى البحر
ولن يوقظك من نومك شمس ولانجم
ولن يزعجك هدير الميــاه
ولا أى صوت أو منظر
ولا تهمك أوراق الشتاء ولا أغصان الربيــع
واسترح من ضوضاء الأيام وضجيج الأحداث
وستنام نـــوما أبــدياً
وسيكون ليلك ليلا أبدياً »

٦ — وغيرهم رأوا فى الموت انتقالا وليس هو النهاية بل مرحلة فى الطريق . ليس هو الختام بل الاستمرار فى السير . ليس هو انغلاق الباب بل هو انفتاح الباب . قال الشاعر « لونجفيللو » .

« ليس هناك مايسمونه الموت
وما يبدو للناس كذلك إنما هو انتقال
وهذه الحياة الأرضية الفانية
ما هى إلا ضاحية من ضواحى الفــــردوس
وباب هذه الضاحية هـــو الذى نسميه الموت

وقال شاعر آخر وهو « جورج ميريدث »

« لقد التقيت بالمـــوت أيضاً
ورأيت من خلاله الفجر الذى يزداد إشراقاً »

إن هؤلاء القوم كان الموت لهم بمثابة دعوة للصعود إلى أعلى ، وعبور من الظلام إلى النور .

٧ — وهناك من يرون فى الموت مغامرة كبيرة وجريئة .

غرق أحدهم فى مأساة الباخرة لوزيتانيا فى السابع من شهر مايو سنة ١٩١٥ وكانت آخر كلماته « لماذا نخاف من الموت ؟ إنه أجمل مغامرة فى الحياة » . قال أحد العلماء لأصدقائه وهو على فراش الموت « ألا تعلمون أنه فى خلال ساعة أو ساعتين سأعرف الأجوبة التى كنا نبحث عنها طوال حياتنا » ؟ إن الموت لهؤلاء القوم هو المغامرة الكبرى التى تنتهى بنا أخيراً إلى أعظم الاكتشافات .

٨ — وفوق ذلك من يرون فى الموت دخولا إلى أقرب جوار إلى الله الذى ساروا معه فى حياتهم مثلما سار أخنوخ مع الله . وإذا كنا نعيش مع المسيح نستطيع عندئذ أن نموت مع المسيح ونحن متأكدون أننا بالموت سنذهب لنكون إلى الأبد مع ربنا المبارك .

وفضلا عن ذلك فإن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يضع أمامنا فى هذا الفصل حقيقتين أساسيتين لما يعمله الإيمان فى الحياة المسيحية .

١ ــ يجب أن نؤمن أن الله موجود . ومن البديهى أنه لا يمكن أن يكون هناك دين بدون الاعتقاد بوجود الله . إن الدين ابتدأ عند الناس عندما أدركوا وجود الله وينتهى الدين من بين الناس عندما يتصورون ان الله لم يعد له وجود .

٢ ــ ويجب أن نؤمن أن الله تهمه أمور الناس كما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن الله يجازى الذين يطلبونه باجتهاد . كان الوثنيون يؤمنون بوجود الآلهة لكنهم كانوا يقولون إن الآلهة تعيش فى عزلة تامة ولا يهتمون بهذه الحيوانات الغريبة التى تدعى البشر . وقال أبيقور « إن الله لايعمل شيئاً » وهناك كثيرون يؤمنون بوجود الله لكنهم لايؤمنون بأن الله يهتم بالناس . وقد قيل إنه لايوجد عالم فلكى إلا ويؤمن بأن الله موجود لكن قيل أيضاً أن العالم الفلكى ملتزم بالإيمان بأن الله رياضى دقيق لاتهمه إلا الأصول الحسابية والنظريات الهندسية . ولكن الله لايعبأ بالناس إذا كان رياضيا فقط . وقد أطلق الناس على الله ألقابا مختلفة فقالوا عنه إنه المبدأ الأول ، أو العلة الأولى ، أو النشاط الخالق ، أو المهندس الأعظم . وبلاشك فإن هذه الأقوال صادقة فإنها أقوال أناس يؤمنون بالله ولكن ليس هو الله الذى يعتنى بالناس . سئل مرقس أوريليوس « لماذا تؤمن بالآلهة » ؟ فأجاب « صحيح أن الآلهة لايراها الناس بعيونهم وأنا أيضاً لا أرى نفسى بعينى ومع ذلك فإنى أكرمها . وهكذا أنا أؤمن بالآلهة وأكرمها لأنى اختبرت قوتها » ونحن يجب علينا أن نؤمن ليس فقط بوجود الله ولكن بعنايته بنا وإهتمامه بشئوننا . وهذا شيء سهل عند المسيحى لأن الله جاء إلى العالم فى

يسوع المسيح لكى يقول لنا كم يحبنا ويهتم بأمورنا ومن رابع المستحيلات أن يغض الطرف عنا أو يهمل شأنا من شئوننا .

الرجل الذى آمن برسالة الله

« بِٱلْإِيمَانِ نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ فَبَنَى فُلْكاً لِخَلَاصِ بَيْتِهِ فَبِهِ دَانَ ٱلْعَالَمَ وَصَارَ وَارِثاً لِلْبِرِّ ٱلَّذِي حَسَبَ ٱلْإِيمَانِ » .

(عبرانيين ١١ : ٧)

جاءت قصة نوح فى سفر التكوين (٦ — ٨) كانت الدنيا قد امتلأت فسادا لدرجة أن الله قرر أن يمحو كل شيء من على وجه الأرض وأخبر نوحا بما ينوى أن يعمله وأمره أن يبنى لنفسه فلكا يلجأ إليه هو وعائلته وزوج من كل الحيوانات والطيور . وفى خشوع وامتثال لأمر الله صدق ما أخبره به الله . وهكذا عندما هلك العالم نجا مع كل من كان معه . وكما هى العادة دائماً أن القصص المتواترة تضيف كثيراً إلى هذه القصة ولابد أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين كان ملما بكل هذه القصص ولعلها أعطت شيئاً من الوضوح لذهن الكاتب .

وتقول إحدى هذه القصص إن نوحا كان فى شك من جهة هيئة الفلك الذى أراد أن يصنعه طوعا لأمر الله وأن الله أعلن له أنه يجب أن يكون على هيئة بطن الطير . ويجب أن يبنى من خشب الجفر أو الكافور وغرس شجرة من هذا النوع وفى مدى عشرين سنة نمت نمواً هائلا مما أمكنه أن يصنع منها الفلك بكل محتوياته . وتقول قصة أخرى إن نوحا صنع جرسا من الخشب ارتفاعه خمسة أقدام وكان يدق الجرس كل يوم فى الصباح والظهر

والمساء ولما سئل لماذا يفعل هكذا أجاب « لكى أنذركم أن الله سيرسل طوفاناً يدمركم جميعاً وإن لم تتوبوا فلا محالة ستهلكون » . وتقول قصة ثالثة إن نوحا عندما كان يبنى الفلك قوبل بالسخرية والاستهزاء من الناس وقالوا عنه إن به مساً من الجنون لكنه كان يقول لهم « إنكم اليوم تهزأون بى لكن سيأتى اليوم الذى فيه أهزأ أنا بكم وستعرفون فى ذلك اليوم من الذى يعاقب الأشرار فى هذا العالم ويحتفظ لهم بعقاب أشد فى العالم الآتى » . إن نوحا يقف أمامنا كرجل الإيمان ربما أكثر مما كان عليه هابيل وأخنوخ .

١ — صدق نوح كلام الله . آمن بالرسالة التى أرسلها الله إليه . وقد تبدو الرسالة جهالة فى بادىء الأمر وقد يظهر أنها بعيدة التحقيق لكن نوح قبل كلمة الله وخاطر بكل شىء من أجلها . ومن الواضح أن نوحا عندما أراد أن يصدق كلمة الله كان عليه أن يتخلى عن كل أعماله ويطرح جانباً كل نشاطه الاعتيادى ، وبركز جهوده على ماتتطلبه هذه الرسالة . وكانت حياة نوح استعداداً متواصلا ومستمراً لما قال الله أنه سيحدث فعلا . وتأتى هذه الفرصة لكل إنسان فهو إما أن يصغى لرسالة الله أو إنه لايعيرها التفاتا.وهو قد يعيش كما لو لم تكن لكلمة الله أية أهمية فى نظره . أو قد يعيش كما لو كان لكلمة الله المقام الأول فى حياته . ويمكننا أن نعبر عن هذا الفكر بكلمات أخرى . كان نوح قد أصغى إلى تحذيرات الله ، ولأنه أصغى إليها فقد نجا من الكارثة . وتأتى إلينا إنذارات الله بطرق كثيرة . فقد تأتى بتبكيت الضمير . وقد تأتى بكلمة مباشرة من الله لنفوسنا . وقد تأتى بنصيحة أو تأنيب من شخص مشهود له بالتقوى والصلاح . وقد تأتى من كتاب الله أو فى عظة من المواعظ وكيفما تأتينا إنذارات الله فإننا نخسر خسائر جسيمة إذا أهملناها .

٢ – كان نوح الرجل الذى لم تثنيه عن عزمه سخرية الآخرين . وعندما كانت الشمس تشرق بضيائها كان تصرف نوح يبدو للناس كأنه تصرف إنسان أحمق . إذ كيف يقدم إنسان عاقل على بناء سفينة ضخمة على أرض يابسة نائية عن البحار ؟ وقد يحدث كثيرا أن من يصدق كلام الله يبدو فى أعين الناس كأنه فقد عقله . وقد يهجر كثيرا من الأشياء التى يضعها الناس فى المقام الأول لأنه اكتشف طريقة جديدة لتقييم الأشياء .ويكفى أن ننظر إلى الأيام الأولى للكنيسة . ونتصور إنسانا التقى بأحد أصدقائه وقال له « لقد قررت أن أكون مسيحياً » ولابد أن الصديق يقول له « أنت تعلم ما يحدث للمسيحيين فهم منبوذون ، وتمتلىء بهم السجون ، ويرمون للأسود الجائعة ، ويصلبون ، ويحرقون » ولكنه يجيب بكل هدوء قائلا « أنا أعلم ذلك » ويقول له الصديق يائساً « كل ما أستطيع أن أقوله لك هو إنك رجل مختل العقل » ومن أقسى تحديات المسيحية أننا أحياناً نقبل أن يحكم علينا الناس بالجنون من أجل المسيح . ولا نستطيع أبداً أن ننسى أن أصدقاء يسوع أرادوا يوماً أن يأخذوه إلى البيت لأنهم ظنوه فاقدا لقواه العقلية . إن حكمة الله كثيرا ما تكون جهالة فى نظر الناس .

٣ – إن إيمان نوح كان دينونة للآخرين . وهذا هو السبب الذى لأجله – نتعرض للأخطار عندما نكون مسيحيين . وليس معنى ذلك أن المسيحى يدعى ببره الذاتى وليس ذلك لأن المسيحى ميال إلى النقد القاسى . وليس ذلك لأن المسيحى يجول بين الناس باحثاً عن أخطائهم . وليس ذلك لأن المسيحى يقول متشامخا للآخرين « ألم أخبرك بذلك » ولكن كثيراً ما يحدث أن المسيحى من غير أن يقول شيئاً ما فإن مجرد وجوده يدين الآخرين . كان السيبادس – ذلك الشاب الأثينى الذى جمع بين الذكاء والغطرسة – كان يقول لسقراط « ياسقراط إنى أمقتك لأنى فى كل مرة

ألتقى بلك تريني من أنا » ومن أرق الرجال الذين عاشوا فى أثينا كان ارستيدس الملقب بالرجل البار لكن القوم أعطوا أصواتهم لنفيه وإبعاده عن المدينة وسئل أحد هؤلاء الناس عن سبب إعطاء صوته ضد ذلك الرجل البار فأجاب « لأنى تضايقت كثيراً من وصف الناس له بأنه الرجل البار » وهنا يكمن الخطر فى الصلاح لأنه فى نور الصلاح يدان الشر .

٤ — كان نوح بارا بفضل الإيمان . وهذا ماحدث فعلا أنه أول إنسان قال عنه الكتاب المقدس إنه بار (تكوين ٦ : ٩) وكان السر فى صلاحه أنه آمن بكلام الله . وعندما كسر الآخرون وصايا الله كان هو حافظا لها . وعندما سد الآخرون اذانهم لتحذيرات الله كان نوح يصغى لها بكل إنتباه . وعندما سخر الآخرون بالله وقف نوح أمام الله بكل خشوع ووقار . وقد قيل بحق عن نوح « انه وضع الشكوك القائمة للعالم على نحو بارز أمام إيمانه المضىء بالله » . وفى عصر نسى فيه الناس الله ولم يعطوه الاعتبار اللائق به ، كان الله عند نوح الحقيقة الكبرى فى العالم . لقد كان نوح الرجل الوحيد الذى وقف بجانب الله فى اليوم الذى هجره فيه جميع الناس » .

مغامرة وصبر الإيمان

« بِٱلْإِيمَانِ إِبْرَٰهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِى كَانَ عَتِيداً أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثاً فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِيَ . بِٱلْإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِى أَرْضِ ٱلْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ سَاكِناً فِى خِيَامٍ مَعَ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ ٱلْوَارِثِيْن

مَعَهُ لِهَذَا ٱلْمَوْعِدِ عَيْنِهِ . لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ ٱلْمَدِينَةَ ٱلَّتِى لَهَا ٱلْأَسَاسَاتُ ٱلَّتِى صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا ٱللهُ » .

(عبرانيين ١١ : ٨ — ١٠)

جاءت قصة دعوة إبرهيم فى أسلوب بسيط ومعبر فى الأصحاح الثانى عشر من سفر التكوين . وتتجمع القصص اليهودية والشرقية بكثرة حول إسم إبرهيم . وتقول تلك القصص إن تارح أبا إبرهيم كان قائدا لجيوش نمرود وعندما ولد إبرهيم ظهر فى الجو نجم لامع جداً حجب ضياء النجوم الأخرى . وأراد نمرود أن يقتل إبرهيم فى طفولته لكنه أخفى فى كهف فنجا من الموت . وتقول القصة إن رؤية الله جاءت لإبرهيم وهو فى الكهف وعندما بلغ سن الشباب خرج من الكهف وتطلع فى وجه الصحراء وكانت الشمس فى زروة مجدها فقال إبرهيم « لابد أن الشمس هى الله الخالق » فسجد للشمس وعبدها ولكن عندما حل المساء وأفلت الشمس قال « لا ؛ فإن الخالق لايغيب هكذا عن الأنظار » ثم أضاء القمر وسطعت النجوم فقال إبرهيم « لابد أن القمر هو الخالق وأن النجوم هى الجنود من حوله » فركع وسجد للقمر . ولكن عندما مضى الليل غاب القمر معه وأشرقت الشمس ثانية . قال إبرهيم إن هذه الأجسام السماوية ليست آلهة لأنها تخضع لناموس معين . إننى أعبد الله الذى وضع لها هذا الناموس . وللعرب قصة أخرى عن إبرهيم فيقولون إن إبرهيم رأى قطعانا كثيرة للماشية وسأل أمه « من سيد هذه القطعان » وقالت له « أبوك هو سيد هذه القطعان » وسألها ثانية « ومن هو سيد أبى » وأجابت « نمرود هو سيد أبيك » وسألها ثالثة « ومن هو سيد نمرود » ؟ فقالت له أمه لا تكثر من مثل هذه الأسئلة » لكن أفكار إبرهيم كانت قد وصلت إلى الله الذى هو سيد الكل وتمضى هذه الأساطير فتقول إن تارح أبا إبرهيم كان يعبد اثنى عشر

صنما – كان يخصص لكل شهر من شهور السنة صنما معينا . وكان أيضاً صانع أصنام . وفى ذات يوم ترك إبرهيم فى محل بيع الأصنام وكان الناس يأتونه ليشتروا أصناماً وكان إبرهيم يسأل كل واحد منهم عن سنه فيقولون « ستون أو سبعون سنة » ويجيب إبرهيم « ويل للانسان الذى هو فى مثل هذه السن ويتعبد لإله لا يزيد عمره عن يوم واحد » . وجاءه يوماً رجل قوى وممتلئ الجسم يريد أن يشترى صنما وسأله إبرهيم « كم عمرك » ؟ فأجاب « سبعون سنة » فقال له إبرهيم « يا غبي هل تتعبد لإله أصغر منك سناً » ؟ وجاءت إمرأة بطبق من اللحم تقدمه للآلهة فأخذ إبرهيم عصا وحطم بها كل الأصنام ما عدا صنما واحداً ووضع العصا فى يدى الصنم ، ورجع أبوه ورأى الأصنام المحطمة فغضب فقال له إبرهيم « يا أبى ! إن امرأة جاءت بطبق من اللحم لآلهتك وكل صنم أراد أن يستأثر بالطبق دون غيره ولكن هذا الصنم الأكبر قام على جميع الأصنام وهشم رؤوسها واحتفظ بالطبق لنفسه » فأجاب تارح « هذا مستحيل فإن الأصنام لا تأكل لأنها مصنوعة من خشب وحجر » وعندئذ قال إبرهيم لأبيه « لتسمع أذنك ما نطق به فمك » وتعطينا هذه القصص صورة واضحة عن إبرهيم وهو يبحث عن الله الحى الحقيقى غير مقتنع بأصنام قومه ولذلك فعندما جاءت الدعوة لإبرهيم كان مستعداً للخروج إلى المجهول طوعاً لأمر الله .

١ – كان إيمان إبرهيم الإيمان المستعد للمغامرة . كان معنى دعوة الله أن عليه أن يترك الأهل والعشيرة والعمل ويغير مجرى حياته تغييراً جذرياً ومع ذلك فقد أطاع الدعوة بلا تردد . كان عليه أن يخرج إلى المجهول وبالرغم من ذلك فقد خرج . وأن أفضل الناس تجد فيهم شيئاً من التخوف أو التهيب . وكثيراً ما نتساءل : ما الذى يحدث لنا يا ترى إذا أخذنا الله عند قوله وأطعنا وصاياه وصدقنا مواعيده ؟. يحدثنا الأسقف « نيوبيجن » عن

المفاوضات التى أدت إلى تأسيس الكنيسة المتحدة فى جنوب الهند . وقد كان له نصيب فى المفاوضات والمناقشات . وكثيرا ما كانت تتوقف المحادثات بسبب بعض الحذرين المتخوفين . وأخيراً قال لهم رئيس اللجنة « إن المسيحى هو الإنسان الذى لا حق له أن يسأل إلى أين يذهب » . والحقيقة أن إيمان الكثيرين منا فيه شئ من التباطؤ البليد وكثيرون منا يحيون حياة حذرة ويعتمدون على مبدأ الأمان قبل كل شئ آخر . ولكى تحيا الحياة المسيحية يلزمك أن يتوفر فيك شئ ما من المغامرة . وإذا كان الإيمان خالياً من المغامرة فلا يستحق أن يدعى إيماناً . وإذا كان الإيمان يشترط أن يرى كل خطوة فى الطريق فلا يكون إيماناً . ومن الضرورى للمسيحى أن يتخذ الطريق الصحيح ، الطريق الذى يدعوه إليه صوت الله من غير أن يعرف مقدماً نتائج السير فى هذا الطريق . ومثل إبرهيم يجب أن يخرج وهو لا يعلم إلى أين هو ذاهب .

٢ — كان إيمان إبرهيم الإيمان الصبور . عندما وصل إبرهيم إلى أرض الموعد لم يسمح له إطلاقاً أن يمتلكها . كان عليه أن يجول فى أرجائها غريباً وساكناً فى خيام ولم يتحقق وعد الله بأكمله لإبرهيم مدى حياته ومع ذلك فلم يتخل إطلاقاً عن إيمانه . وفى أفضل الناس تجد خاصية التسرع والتعجل . يريدون أن تتحقق الأحلام فى طرفة عين . إن الانتظار أقسى من المغامرة . إن أقسى الأوقات هو ما بين إنتظار الأمر وتحقيقه . وفى لحظة اتخاذ القرار تجد النشوة والحماس . وفى لحظة إنجاز العمل تجد مجد الرضى والارتياح وأما الوقت الذى يمضى بين الأمرين فهو الذى يحتاج إلى المقدرة على الانتظار والعمل والمراقبة . وفى هذا الوقت بالذات عندما لا نرى خطوة واحدة نحو الإنجاز نتعرض لليأس وضعف الروح المعنوية ونغوص فى الشعور الفاتر الميت الأحلام . إن رجل الإيمان هو الرجل الذى رجاؤه ملتهب الاشتعال وحماسه متقد النشاط حتى فى الأيام الكئيبة التى لا شئ فيها سوى الانتظار .

٣ — كان إيمان ابرهيم الإيمان الذى يتطلع إلى ما وراء هذا العالم . وتقول لنا تلك القصص الشعبية أن إبرهيم فى اللحظة التى دعى فيها أعطى أن يرى فى رؤيا ملامح من أورشليم الجديدة . وفى سفر باروخ — وهو من الأسفار غير القانونية — يقول الله « لقد أريتها لعبدى فى رؤى الليل (باروخ ٤ : ٤) وكذلك جاء فى سفر عزرا الرابع — وهو أيضاً من الأسفار غير القانونية « وحدث عندما كان الناس يعملون الشرور قدام عينيك أنك اخترت واحداً من بينهم إسمه إبرهيم وأحببته وله فقط أعلنت نهاية الأيام سراً فى رؤى الليل (٤ : ١٣) . ولم يستطع واحد فى هذا العالم أن ينجز عملا عظيما بدون رؤيا . وهكذا أعطيت الرؤيا لإبرهيم . ولم يكن إقتناء الأرض مطمع أنظاره أو شبع أشواقه . كان يرى أن الشبع الحقيقى هو عندما يصل إلى موطن النفس . وحتى عندما كان يتجول بجسده فى أرض فلسطين كانت نفسه فى علاقتها السعيدة مع الله . وأن الله لا يقدر أن يعطينا هذه الرؤيا ما لم نعطيه أولا الفرصة لكى يمنحنا إياها . وعندما ننتظر الله — حتى فى مواقع مجدبة من الأرض — يرسل الله لنا الرؤيا . وبهذه الرؤيا تهون علينا المتاعب والمشتقات التى نجتازها فى الطريق .

تصديق ما لا يصدق

« بِٱلْإِيمَانِ سَارَةُ نَفْسُهَا أَيْضًا أَخَذَتْ قُدْرَةً عَلَى إِنْشَاءِ نَسْلٍ وَبَعْدَ وَقْتِ ٱلسِّنِّ وَلَدَتْ إِذْ حَسِبَتِ ٱلَّذِى وَعَدَ صَادِقًا لِذَلِكَ وُلِدَ أَيْضاً مِنْ وَاحِدٍ وَذَلِكَ مِنْ مُمَاتٍ مِثْلُ نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ فِى ٱلْكَثْرَةِ وَكَالرَّمْلِ ٱلَّذِى عَلَى شَاطِىءِ ٱلْبَحْرِ ٱلَّذِى لَا يُعَدُّ » .

(عبرانيين ١١ : ١١ ، ١٢)

قصة وعد الله بابن لإبرهيم وسارة جاءت فى سفر التكوين (١٧ : ١٥ — ٢٢ و ١٨ : ٩ — ١٥ و ٢١ : ١ — ٨) والأمر العجيب فى القصة أن إبرهيم وسارة أنجبا طفلا وهما فى سن الشيخوخة . فإبرهيم كان عمره مائة سنة وسارة كان عمرها تسعين سنة . ومع ذلك فكما يقول الوحى جاء الوعد لهما وهما متقدمان فى الأيام وأن الوعد تحقق لهما تماماً كما قال الله .

وعندما نقرأ القصة فى سفر التكوين نجد أن رد الفعل عند إبرهيم وسارة بإزاء وعد الله سار فى ثلاث مراحل .

١ — المرحلة الأولى بدأت بعدم التصديق المطلق . عندما سمع إبرهيم الوعد سقط على وجهه وضحك (تكوين ١٧ : ١٧) وعندما سمعته سارة ضحكت فى باطنها (تكوين ١٨ : ١٢) وعندما سمع لأول مرة مواعيد الله العظمى والثمينة فإن رد الفعل فى نفوسنا هو أننا نقول إن هذه المواعيد هى أعظم من أن تصدق .

« كيف تفتكر فينا كل هذه الأفكار الصالحة
وأنت الإله العظيم والقدوس
إن هذا لغــــز وظلام لعقلى
لكنه إشراق وضياء لقلبى » .

وليس هناك سر فى كل الخليقة يضارع سر محبة الله . أن يحب الله الناس ، ويتألم لأجل الناس ، ويموت لفداء الناس هو الشئ المذهل العجيب إلى حد يفوق التصديق . وهذا هو السبب الذى لأجله تدعى الرسالة المسيحية إنجيلا أى الأخبار السارة . ويبلغ السرور الذى تحمله هذه الأخبار إلى درجة يكاد يكون مستحيلا أن يصدقها الناس .

٢ — المرحلة الثانية هى مرحلة بزوغ فجر التصديق . وبعد مرحلة

عدم التصديق طلع الفجر وتحقق إبرهيم وسارة أن الذى كان يتكلم معهما هو الله القادر على كل شىء . وإذا كان الله هو المتكلم فلا بد أن يكون صادقاً فى كلامه لأن الله منزه عن الكذب . اعتاد اليهود أن يضعوا قانوناً مبدئياً للمعلم وهو أنه لا ينبغى أبداً أن يعد تلاميذه بشىء ما وهو غير راض أو غير قادر أن يتممه لأنه إذا فعل ذلك عودهم على الكلمة الكاذبة والوعد المنقوض. ولكن عندما نذكر أن الذى وعد هو الله فلا بد أن يتحقق هذا الوعد مهما كان غريباً أو غير قابل للتصديق .

٣ ــ المرحلة الثالثة هى مرحلة القدرة على الإيمان بالمستحيل. كان يبدو لإبرهيم وسارة شيئاً مستحيلا أن يكون لهما ابن كما قالت سارة « من قال لإبرهيم إن سارة ترضع بنين حتى ولدت إبناً فى شيخوخته » (تكوين ٢١ : ٧) ولكن بنعمة الله وبقوته قد صار المستحيل ممكناً . وهنا نجد شيئاً يرفع قلب كل إنسان . كان كافور يقول إن الشئ الجوهرى الأول عند رجل السياسة هو« الإحساس بالممكن » وعندما نصغى إلى الناس وهم يخططون ويتناقشون ويفكرون بصوت عال نحس أن فى العالم أشياء كثيرة مرغوباً فيها ولكنهم يخفقون فى تحقيقها لأنهم يعتقدون باستحالتها . وهكذا نجد كثيراً من الرؤى والأحلام والخطط التى تطرق رؤوسنا بالحكم عليها إن هذه الأشياء مستحيلة . ويقضى الناس الجزء الأكبر من حياتهم وهم يضعون العوائق والحواجز أمام قوة الله . إن الإيمان هو القدرة على أن نضع أيدينا على تلك القوة التى تكمل فى ضعفنا ، وعلى تلك النعمة الكافية لكل شئ بحيث يصير المستحيل أمامنا كبشر ممكناً بقوة الله . ومع الله يصير كل شئ ممكناً . ولأجل هذا فإن كلمة « مستحيل » يجب أن تحذف من قاموس المسيحى والكنيسة المسيحية .

غرباء ونزلاء

« فِى ٱلْإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلَاءِ أَجْمَعُونَ وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيَّوْهَا وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلَاءُ عَلَى الْأَرْضِ . فَإِنَّ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَناً . فَلَوْ ذَكَرُوا ذَلِكَ الَّذِى خَرَجُوا مِنْهُ لَكَانَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلرُّجُوعِ . وَلَكِنِ ٱلْآنَ يَبْتَغُونَ وَطَناً أَفْضَلَ أَىْ سَمَاوِيًّا . لِذَلِكَ لَا يَسْتَحِى بِهِمُ ٱللهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهَهُمْ لِأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً » .

(عبرانيين ١١ : ١٣ – ١٦)

لم يتحقق لأى واحد من الآباء الامتلاك الكامل للمواعيد التى قطعها الله لإبرهيم . وظلوا كل أيام حياتهم متنقلين من مكان إلى مكان ولم تكن لهم أبداً حياة مستقرة فى أرض مستقرة . ونحن نأخذ حقائق عظيمة ودائمة من حياة هؤلاء الغرباء والنزلاء .

١ – عاشوا كل أيامهم غرباء على الأرض .

ويستعمل كاتب الرسالة إلى العبرانيين ثلاث كلمات فى وصف حالتهم :

(أ) فى ١١ : ٣ يقول عنهم إنهم غرباء. وفى العالم القديم كانت حياة الغريب قاسية وكان ينظر إليه بالكراهة والاحتقار وسوء الظن . وفى مدينة إسبارطة كان الغريب والبربرى شيئاً واحداً . كانت كلمة « الغريب » موازية تماماً لكلمة « البربرى ». كتب أحدهم

شاكياً معاملة الناس له باحتقار « لأنه غريب » وكتب آخر يقول « مهما كان بيتك حقيراً فالأفضل لك أن تعيش فى بيتك من أن تكون فى بلاد غريبة » وعندما كانت الأندية تقيم موائد الغداء كان الجالسون على الموائد ينقسمون إلى أعضاء ودخلاء أى غرباء . كما أن كلمة الغريب كانت تطلق على اللاجئ أيضاً وكان هؤلاء الآباء كل أيام حياتهم غرباء على أرض لم تكن قط ملكاً لهم .

(ب) فى ١١ : ٩ يستعمل الرسول كلمة « متغرب » عن إبرهيم . وفى كل البلاد كان المتغرب يعتبر أجنبياً مقيما . وهى نفس الكلمة التى أطلقت على اليهود لما كانوا أسرى فى بابل ومصر وكان المتغربون أحسن قليلا من العبيد فى المستوى الاجتماعى وكان على المتغرب أن يدفع ضريبة المتغربين . وكان بمثابة سائح مرخص له أن يقيم فى مكان ما . وكان دائماً يعتبر دخيلا إلا فى دفع الضرائب فكان فى هذا الحال يعامل معاملة المواطن .

وبكلمات أخرى نقول إن هؤلاء الآباء لم يكن لهم مجتمع بشرى إلا بين قبائلهم وعشائرهم التى كانوا ينتمون إليها .

(ح) فى ١١ : ١٣ يقول عنهم الكاتب إنهم نزلاء . وفى كل مجتمع كان النزيل شخصاً يسكن فى مكان ما موقتاً . أما وطنه الدائم فهو فى مكان آخر . وأحياناً كانت تحدد إقامته بمنتهى الشدة . وكان النزيل يؤمر أن يقيم فى مكان ما مدة لا تزيد عن عشرين يوماً . إن النزيل هو الإنسان الذى يسكن فى مثوى موقت وليس له بيت دائم فى المكان الذى ترميه إليه ظروف الحياة . وكان الآباء

غرباء ونزلاء طيلة حياتهم بلا مكان مستقر لم يستطيعون أن يسموه بيتاً . ويجب أن نعرف جيداً أن السكن فى بلاد غريبة كان يلازمه الإذلال فى الأيام القديمة أكثر مما يلازمه أحياناً فى أيامنا الحاضرة . كتب أحدهم يقول « إنه شئ جميل أن يحيا المرء ويموت فى موطنه ومسقط رأسه . إن الأرض الغريبة تجلب الاحتقار للفقراء والخزى والعار للأغنياء . لأن المواطنين يرتابون فى وجوههم ويظنون أنهم عملوا شراً فطردوا من بلادهم . وفى سفر يشوع بن سيراخ جاءت هذه الكلمات الحزينة :

« حياة الفقير تحت سقف من جذوع الأشجار
أفضل من مسكن فخم فى بيوت الغرباء
بقليل أو بكثير كن قانعاً
حتى لا تتحمل تعبيرات غربتك
إن الحياة البغيضة هى فى التنقل من بيت إلى بيت
ومتى كنت غريباً فلا يجب أن تفتح فمك
أنت غريب وعليك أن تشرب الاحتقار
وفوق ذلك عليك أن تتحمل أشياء أخرى مريرة
فيقال لك : تعال أيها الغريب ورتب مائدتى وأعد لى طعامى
أو اذهب أيها الغريب من وجه الكرامة
لأن أخى قد نزل ضيفاً على
وأنا محتاج إلى بيتى ....
إن هذه الأشياء محزنة وأليمة لذوى الفهم
والتوبيخ وتعيير المرابى من نصيب الغرباء »

وفى كل زمن كان الغريب يحيا حياة بائسة فى أرض غريبة ولكن فى

الأيام القديمة كان يضاف إلى الشقاء الطبيعى مرارة الإذلال . وهكذا قضى الآباء كل أيام حياتهم غرباء فى أرض غريبة وصارت صورة الغريب والنزيل والمتغرب صورة طبق الأصل للحياة المسيحية . قال ترتليان عن المسيحى إنه يعرف أنه متغرب على الأرض ولكن مكانه العظيم فى السماء . وقال إكليمندس الاسكندرى « ليس لنا هنا وطن على الأرض » وقال أغسطينوس « نحن غرباء منفيون عن وطننا الأرضى » ولم يكن الأمر كذلك لأن المسيحيين كانوا يستغرقون بجهالة بالتأمل فى العالم الآخر ، ولا لأنهم إنفصلوا عن العمل والحياة فى هذا العالم ، ولكن لأنهم كانوا دائماً يذكرون أنهم سائحون فى طريقهم إلى السماء . وهناك قول غير مكتوب من الأقوال المنسوبة للمسيح «العالم هو قنطرة والرجل الحكيم يعبر عليها لكنه لا يبنى عليها بيته » إن المسيحى يعتبر نفسه سائحاً نحو الأبدية .

٢ — بالرغم من كل شئ لم يفقد هؤلاء الأبطال رؤياهم ورجاءهم وبالرغم من أن ذلك الرجاء ظل أمداً طويلا قبل أن يتحقق لكن نوره كان يتألق فى عيونهم . ومع أن الطريق كان طويلا إلا أنهم لم يتوقفوا عن السير فيه . قال « روبرت لويس ستيفنسون » : «إنه أفضل لك أن تسافر يحدوك الرجاء من أن تصل إلى غايتك » إن هؤلاء الآباء لم يفقدوا الأمل ولم ينحرفوا إلى طريق آخر ولم يفشلوا عن السير إلى النهاية . عاشوا على الرجاء وماتوا على الانتظار .

٣ — بالرغم من كل شئ لم يرغبوا أبداً فى العودة إلى موطنهم الأصلى . إن أحفادهم بنى إسرائيل عندما أعياهم السير فى البرية طلبوا العودة إلى قدور اللحم فى مصر . ولكن لم يكن ذلك من صفات الآباء لقد بدأوا السير ولم يطف بعقولهم فكر العودة . وفى عالم الطيران توجد نقطة تسمى نقطة اللاعودة. وعندما تصل الطائرة إلى تلك النقطة فلا يمكنها العودة بأية حال . إن ما لديها

من البترول قد وصل إلى مستوى معين بحيث لا يكون أمامها إلا مواصلة السفر . ومن مآسى الحياة أن عدداً من الناس يعودون إلى الوراء سريعاً جداً . إن مجهوداً واحداً يبذل ، أو فترة أطول فى الانتظار أو أملا أكثر قليلا قد يحقق لهم أحلامهم . وبمجرد ما يشرع المسيحى فى عمل ائتمنه الله عليه فيجب أن يشعر فى قرارة نفسه أنه قد تجاوز نقطة اللاعودة .

٤ — استطاع هؤلاء القوم أن يواصلوا السير لأن أفكار السماء كانت تلازمهم دائماً . إن الرجل المولع بالأسفار تغريه أفكار عن البلاد التى لم يرها أبداً فى حياته . والفنان العظيم تطارده دائماً أفكار عن الأعمال التى لم ينجزها بعد ويحدثنا « ستيفنسون » عن رجل عجوز قضى كل أيامه مشرفاً على حظائر الماشية . وسئل ذات يوم « ألم تتعب من هذا العمل » ؟ فأجاب « إن الذى له شئ فى العالم الآخر لا يتعب ولا يمل » . لقد كان لهؤلاء الرجال ميراث فى السماء — وهكذا يجب أن نكون نحن .

٥ — لأن هؤلاء القوم كانوا على ما كانوا عليه — لم يستح الله أن يدعى إلههم . وفوق كل الأشياء ، إن الله هو إله المغامر الجسور فى ميادين الحياة الروحية . إن الله يحب الإنسان المستعد للمغامرة تمجيداً لإسمه القدوس . أما الرجل المتحفظ ، المتخوف ، المتهيب ، المحب للراحة فهو على النقيض تماماً من الرجل الذى يحبه الله . الرجل الذى يخرج غير هياب إلى المجهول . والذى يظل سائراً فى طريقه غير عابئ بالأهوال هو الرجل الذى يصل أخيراً إلى الله .

التضحية العظمى

« بِالْإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَهِيمُ إِسْحَقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ . قَدَّمَ

ٱلَّذِى قَبِلَ ٱلْمَوَاعِيدَ وَحِيدَهُ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُ إِنَّهُ بِإِسْحَقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ . إِذْ حَسِبَ أَنَّ ٱللهَ قَادِرٌ عَلَى ٱلْإِقَامَةِ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ أَيْضاً ٱلَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضاً فِى مِثَال » .

(عبرانيين ١١ : ١٧ — ١٩)

جاءت قصة إسحق فى سفر التكوين (٢٢ : ١ — ١٨) وهناك نقرأ عن أروع قصة ترينا كيف واجه إبرهيم أعظم امتحان فى حياته . لقد طلب منه الله أن يقدم إبنه إسحق محرقة على أحد الجبال . وإلى حد ما أسئ إلى السمعة الطيبة لهذه القصة العظيمة فى أيامنا الحاضرة . فهى لا تظهر فى مناهج التربية الدينية إذ أن البعض يعتقدون أنها تعطى فكرة غير مقبولة عن الله . ولكن النقطة الجوهرية فى القصة هى لكى يتعلم إبرهيم درساً فى أن الله لم يطلب أبداً ذبائح بشرية . لقد كانت أيام حسب فيها الناس أنه واجب مقدس عليهم أن يقدموا أبكار بنيهم لله قبل أن يعرفوا أن الله لم يطلب منهم ذبيحة كهذه . وبلا شك هذا هو الحق الصريح . ولكن إذا أردنا أن نرى هذه القصة فى أعظم جوانبها وفى أسمى معانيها يجب أن نراها كما يراها كاتب الرسالة إلى العبرانيين .

١ — تعلمنا هذه القصة وجوب الاستعداد للتضحية بأعز ما لدينا تعبيراً عن ولائنا لله . وقد ضحى كثيرون بنجاحهم الملحوظ ومناصبهم العالية وقبلوا ما اعتقدوا أنه إرادة الله لحياتهم . كان « سترثرن » راعياً للكنيسة الإنجيلية المصلحة فى « جرينوك » وكان لتلك الكنيسة الصغيرة ماض عظيم ولكن لا مستقبل لها ولو قبل ذلك الراعى أن يترك كنيسة آبائه لكان أى منبر فى بلاده يرحب به . كانت أمامه أعظم الفرص لمستقبل باهر لكنه ضحى بها جميعاً وقبل ما اعتبره ولاء لإرادة الله . وأحياناً يضطر الإنسان

أن يضحى بعلاقاته الشخصية . وأحياناً يشعر بالدعوة الإلهية للقيام بعمل صعب فى حقل من الحقول النائية الكثيرة المتاعب . وأحياناً يحدث أن الفتاة التى اختارها لتكون زوجة له ترفض الذهاب معه ولا تقبل أن تشاركه مشقات وظروف الحياة الجديدة التى يدعوه الله إليها . وعلى ذلك للرجل أن يختار بين إرادة الله وبين العلاقة البشرية التى يعتز بها كثيراً . عندما كان يوحنا بنيان فى السجن كان يفكر كثيراً فى مصير عائلته إذا نفذ فيه حكم الإعدام وخصوصاً فى مصير إبنته الصغيرة العمياء التى كانت عزيزة جداً عنده . وكان يقول « رأيت وأنا فى هذه الحالة كأنى أهدم بيتى على زوجتى وأولادى ولكنى بالرغم من ذلك يجب أن أثبت على مبدئى فهذه هى إرادة الله لى .

« لقد عرفت أعز وأغلى صنم عندى
ومهما تكن معزة ذلك الصنم على قلبى
ساعدنى يا إلهى لكى أنتزعه من عرشك
لكى تكون العبادة لك وحدك »

كان إبرهيم ذلك الرجل الذى قبل أن يضحى بأعز شئ لديه فى الحياة لله . وكثيراً ما كان يظهر ذلك الولاء لله فى الكنيسة الأولى . ففى أحد البيوت كان الزوج مسيحياً ولكن الزوجة لم تقبل أن تعتنق الدين الجديد أو أحياناً يصير الأبناء مسيحيين ولكن الوالدين لم يقبلا ذلك . وجاء السيف وقسم ذلك البيت ولو لم يوجد أولئك الذين حسبوا المسيح أغلى عندهم من كل شئ آخر لما كانت المسيحية إلى اليوم . يجب أن يأتى الله فى المقام الأول فى حياتنا أو لا يأتى أبداً . تقول قصة إن طفلين أعطيا هدية فى إحدى المناسبات وكانت الهدية عبارة عن فلك نوح . وأصغيا إلى قصص العهد القديم وعزما على تقديم ذبيحة . وفحصا الحيوانات فى لعبتهما لكى يختارا منها حيواناً يصلح

لتقديمه ذبيحة لله وأخيراً قرر أن تكون الذبيحة نعجة مكسورة الساق . الشيء الوحيد الذى أرادا تقديمه كان لعبة مكسورة يمكن الاستغناء عنها . وهذه هى الطريقة التى يتبعها كثيرون فى تقديم قرابينهم لله . ولكن لا يليق أن نقدم لله إلا أعز وأفضل ما لدينا .

٢ — كان إبرهيم مثالا للإنسان الذى يقبل ما لا يستطيع فهمه . جاء إلى إبرهيم هذا المطلب الذى لا يمكن فهمه إطلاقاً فهو مطلب غير معقول كما يبدو لنا . كان الوعد لإسحق أن نسله سينمو ويتزايد حتى يصير أمة قوية تتبارك بها جميع أمم الأرض . وعلى حياة أسحق كان يتوقف ذلك الوعد العظيم . ثم يأتى الله ويطلب أن يقدم إبرهيم إبنه إسحق محرقة كما يقول يوحنا فم الذهب فى هذا الموضوع « إن أمور الله تتحارب مع أمور الله ، والإيمان يتصارع مع الإيمان والوصية تتقاتل مع الوعد » ويأتى شيء من هذا القبيل إلى حياة كل واحد منا فى وقت من الأوقات . ويبدو لنا أن ما يطلبه الله منا أو ما يسمح الله به لنا كأنه يفوق الإدراك ويتحدى الفهم . وفى أحوال كهذه يواجه الإنسان أقسى معركة فى حياته — معركة قبول ما لا يستطيع فهمه وفى مثل هذه الظروف ليس أمامنا إلا شيء واحد وهو الخضوع والقبول والطاعة وأن نفعل ذلك بلا امتعاض أو تمرد قائلين « ياالله أنت محبة وإنى أبنى إيمانى على هذا اليقين » .

٣ — كان إبرهيم مثالا للإنسان الذى فى دخوله الامتحان وجد طريقاً للنجاة . وإذا كنا نأخذ الله عند كلمته ونخاطر بكل شيء لأجله حتى عندما لا يكون أمامنا إلا حائط قائم فإن طريق النجاة سينفتح لنا .

الإيمان الذى يهزم الموت

« بِٱلْإِيمَانِ إِسْحَقُ بَارَكَ يَعْقُوبَ وَعِيسُو مِنْ جِهَةِ

أُمُورٍ عَتِيدَةٍ . بِٱلْإِيمَانِ يَعْقُوبُ عِنْدَ مَوْتِهِ بَارَكَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنِ ٱبْنَيْ يُوسُفَ وَسَجَدَ عَلَى رَأْسِ عَصَاهُ . بِٱلْإِيمَانِ يُوسُفُ عِنْدَ مَوْتِهِ ذَكَرَ خُرُوجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَوْصَى مِنْ جِهَةِ عِظَامِهِ » .

(عبرانيين ١١ : ٢٠ – ٢٢)

هناك شئ واحد يربط هذه الأمثلة الثلاثة للإيمان معاً . فى كل حالة من هذه الحالات الثلاث كان الإيمان إيمان رجل يقترب منه الموت الآن . إن البركة التى أعطاها إسحق جاء ذكرها فى سفر التكوين (٢٧ : ٢٨ و ٢٩ و٣٩ و٤٠) أعطيت بعد أن قال إسحق « إننى قد شخت ولست أعرف يوم وفاتى » (تكوين ٢٧ : ٢) وكانت البركة « فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر : يستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيداً لإخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين » (تكوين ٢٧ : ٢٨ و ٢٩) وجاءت بركة يعقوب فى سفر التكوين (٤٨ : ٩ – ٢٢) بعد أن قالت القصة « لما قربت أيام إسرائيل أن يموت » (تكوين ٤٧ : ٢٩) وكانت البركة « الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين وليدع عليهما إسمى واسم أبوى إبرهيم وإسحق . وليكثرا كثيراً فى الأرض » (تكوين ٤٨ : ١٥ و ١٦) أما القصة المأخوذة من حياة يوسف فقد جاءت فى سفر التكوين (٥٠ : ٢٢ – ٢٦) لما اقترب يوسف من الموت استحلف بنى إسرائيل أن لا يتركوا عظامه فى أرض مصر بل يأخذوها معهم عند خروجهم ليمتلكوا أرض الموعد . وقد حفظوا الوعد عند خروجهم من مصر (خروج ١٣ : ١٩ ويشوع ٢٤ : ٣٢)

إن الغرض الرئيسى الذى يريد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يبرزه أن كل هؤلاء الرجال الثلاثة ماتوا قبل أن ينالوا الموعد الذى قطعه الله الخاص بدخول بنى إسرائيل أرض كنعان وازدهارهم كأمة . فقد كان إسحق لم يزل على حياة البداوة والترحل . وكان يعقوب منفياً فى أرض مصر . وارتقى يوسف إلى أعلى مراكز العظمة لكنها كانت عظمة رجل غريب فى أرض غريبة ومع ذلك فلم يتطرق إليهم جميعاً الشك فى أن الوعد سيتحقق يوماً ما وقد ماتوا ولكن ليس فى يأس بل فى رجاء . وقد هزم إيمانهم الموت . ولا بد أن يأتيهم الموت ولكن وعد الله لا يمكن أن يموت ونحن الآن أمام عظمة ثابتة ودائمة . كان الفكر الذى يشغل عقول هؤلاء الثلاثة هو ذات الفكر . ولو أتيح لنا أن نرى ما بداخل عقولهم وأن نسمع صوت أفكارهم لكنا نسمعهم يقولون لنا شيئاً من هذا القبيل : « إن وعد الله حقيقى . ولا يقدر الله أن ينكث وعداً أو ينقض عهداً . وأنا قد لا أعيش حتى أرى وفاء وعده وقد يأتينى الموت قبل أن يتم الوعد ويتحقق الحلم . لكننى حلقة فى إتمام ذلك الوعد . وسواء تحقق ذلك الوعد أم لم يتحقق فإن الأمر يتوقف علىّ . وهنا نجد الوظيفة العظيمة للحياة . فإن أحلامنا قد لا تتحقق ، ورجاءنا قد لا يتم . لكننا يجب أن نعيش بطريقة تمكننا من الإسراع بتحقيق الرجاء . يجب أن نعيش بطريقة تجعل من السهل أن تصير الأحلام حقائق . وقد لا يعطى لكل إنسان أن يحظى بملء مواعيد الله ولكن قد أعطى له أن يعيش فى روح الولاء والخدمة بحيث يقترب اليوم الذى فيه يتمتع الآخرون بتحقيق مواعيد الله . ولنا قد أعطيت هذه المهمة الخطيرة فى خدمة الله بكل أمانة حتى تصير مواعيده حقيقة واضحة كالشمس .

الإيمان وأسراره

«بِالْإِيمَانِ مُوسَى بَعْدَ مَا وُلِدَ أَخْفَاهُ أَبَوَاهُ ثَلاثَةَ أَشْهُرٍ

لأَنَّهُمَا رَأَيَا ٱلصَّبِيَّ جَمِيلاً وَلَمْ يَخْشَيَا أَمْرَ ٱلْمَلِكَ . بِالْإِيمَانِ مُوسَى لَمَّا كَبِرَ أَبَى أَنْ يُدْعَى ٱبْنَ ٱبْنَةِ فِرْعَوْنَ مُفَضِّلاً بِٱلْأَحْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ ٱللهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقْتِيٌّ بِٱلْخَطِيَّةِ حَاسِباً عَارَ ٱلْمَسِيحِ غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرٍ لأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُجَازَاةِ . بِٱلْإِيمَانِ تَرَكَ مِصْرَ غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ غَضَبِ ٱلْمَلِكِ لأَنَّهُ تَشَدَّدَ كَأَنَّهُ يَرَى مَنْ لاَ يُرَى . بِٱلْإِيمَانِ صَنَعَ ٱلْفِصْحَ وَرَشَّ ٱلدَّمَ لِئَلاَّ يَمَسَّهُمُ ٱلَّذِي أَهْلَكَ ٱلْأَبْكَارَ . بِٱلْإِيمَانِ ٱجْتَازُوا فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْأَحْمَرِ كَمَا فِي الْيَابِسَةِ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي لَمَّا شَرَعَ فِيهِ الْمِصْرِيُّونَ غَرِقُوا » .

(عبرانيين ١١ : ٢٣ – ٢٩)

من وجهة نظر العبرانيين كان موسى أعظم شخصية فى تاريخهم . فقد كان القائد الذى أنقذهم من العبودية وتلقى من الله الشريعة التى تنظم حياتهم . وفى رأى كاتب الرسالة إلى العبرانيين كان موسى متفوقاً ومبرزاً كرجل الإيمان . وفى هذه القصة – كما يشير « موفات » – نجد خمسة أعمال ممتازة للإيمان . وكغيره من الشخصيات العظيمة التى جاءت أسماؤها فى سجل الشرف للتابعين الأمناء لله ، قد تجمعت أساطير كثيرة حول إسم موسى وبلا شك كانت هذه الأساطير فى ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين .

١ – هناك إيمان أبوى موسى . وقصة ما عملاه وردت فى سفر الخروج

(٢ : ١ — ١٠) وقبل ذلك يحدثنا سفر الخروج (١ : ١٥ — ٢٢) عن غضب ملك مصر على بنى إسرائيل وكيف حاول أن يقضى على أبنائهم يقتلهم عند ولادتهم . وتقول الأسطورة أن عمرام ويوكابد أبوى موسى (العدد ٦ : ٢٠) أزعجهما هذا القرار الذى أصدره فرعون وكنتيجة للمنشور الملكى طلق عمرام زوجته ليس لأنه لم يكن يحبها لكنه أراد أن يوفر على نفسه الأحزان برؤية أولاده يقتلون إذا بقيت زوجته معه وأنجبت له أولاداً . وظلت على هذه الحالة ثلاث سنوات وعندئذ تنبأت مريم إبنتهما وقالت « إن أبوى سيلدان إبناً آخر وسيكون على يديه تحرير بنى إسرائيل من أيدى المصريين» ثم جاءت إلى أبيها وقالت له « وما هذا الذى فعلته يا أبى لقد أخرجت زوجتك من بيتك لأنك لم تثق فى قدرة الرب الإله على حماية إبنك الذى يولد لك » وفعلا قام عمرام وهو خجول من عدم اتكاله على الله وأرجع زوجته إلى بيته وفى الوقت المعين ولد موسى وكان جميلا جداً فقرر أبواه أن يخبئاه فى بيتهما وظل فى المخبأ ثلاثة أشهر . ولكن المصريين دبروا خطة قاسية وماكرة وصمم الملك أن يؤتى بجميع الأطفال المخبئين ويقتلوا أمامه . والشئ الطبيعى أن الطفل عندما يسمع طفلا يصيح يقتدى به ويصيح مثله . ولذلك أرسل المصريون نساء مصريات يحملن أطفالهن إلى بيوت بنى إسرائيل . ثم تنخس الأم المصرية إبنها فيصرخ من الألم وبهذه الكيفية يصرخ أيضاً الأطفال المختبئون ويكتشفهم المصريون ويقتلونهم . وأمام هذه الحالة قرر عمرام ويوكابد أن يصنعا له سفطاً من البردى ووضعا فيه الطفل وألقيا به على شاطئ النيل . وولادة موسى ذاتها كانت عملا من أعمال الإيمان، وحفظه من خطر القتل كان عملا آخر من أعمال الإيمان وبدأ موسى حياته بوصفه ابن الإيمان. وبدون إيمان أبويه لم يكن له أن يولد ولم يكن له أن يحفظ من الأخطار .

٢ — العمل الثانى من أعمال الإيمان ظهر فى ولاء موسى لقومه . ونجد

هذه القصة فى سفر الخروج (٢ : ١١ – ١٤) وتلقى الأساطير أيضاً ضوءاً على الصورة . لما أودعته أمه لمياه النيل وجدته إبنة فرعون وكان إسمها بيثيا ولكن إسم الشهرة كان ثيرموثيس وعندما رأت الطفل سلب لبها بجماله وتقول الأسطورة أن الأميرة عندما أخرجت السفط من الماء ضغط رئيس الملائكة جبرائيل على أذنى الطفل فبكى لكى يستدر عطف الأميرة عليه ورق قلبها عليه وهى ترى الوجه الصغير متغضناً من الحزن والعينين الصغيرتين مليئتين بالدموع . وكانت ثيرموثيس حزينة لأنها كانت عاقراً ولذلك أخذت الطفل موسى واعتنت به وربته وهذبته وتبنته وكبر وازداد جمالا لدرجة أن الناس كانوا يتوقفون عن العمل أو يمرون على القصر لكى يمتعوا أنظارهم بجماله . وكان حكيما جداً وتفوق على أقرانه فى العلم والمعرفة وأخذته ثيرموثيس وهو لم يزل طفلا إلى فرعون وأخبرته كيف وجدته على مياه النيل ووضعته بين ذراعى فرعون وذهل فرعون لجمال الطفل وطوقه بذراعيه ووعد – بناء على التماس ثرموثيس أن يكون وارث العرش . وعلى سبيل الدعابة أخذ تاجه ووضعه على رأس الطفل ولكن الطفل إنتزع التاج من على رأسه ورماه على الأرض وداسه بقدميه وتشاءم حكماء فرعون لما فعله الطفل وقالوا إن ذلك الطفل سوف يطأ بقدمه مجد فرعون وأراد هؤلاء الحكماء أن يقتلوا الطفل فى الحال . ولكن اقترح أحدهم أن يختبروا موسى لمعرفة إن كان ما عمله موسى عن سذاجة أم عن مكر ودهاء . وجاءوا بطبقين ووضعوا فى أحدهما جواهر ثمينة ووضعوا فى الطبق الآخر فحماً مشتعلا . وإذا مد الطفل يده إلى الأحجار الكريمة فهذا يدل على أنه سيكون خطراً على البلاد ولكن إذا مد يده إلى الفحم فهذا معناه أنه ليس ماكرا ولايشكل خطراً على الأمة وكان الطفل موسى على وشك أن يلمس الأحجار الكريمة ولكن جبرائيل أمسك بيده ووضعها على الفحم المشتعل واحترق إصبعه ووضع

الإصبع المحترق على فمه ولهذا السبب كما يقولون صار موسى ثقيل اللسان بطيء الكلام (خروج ٤ : ١٠) وظل لسانه يتلجلج كل حياته وبهذه الكيفية نجا موسى من خطر القتل وتربى وترعرع فى كل الهناء والترف وصار وارثا للمملكة وأصبح قائداً من أعظم قادة مصر . وعلى وجه الخصوص انتصر على الكوشيين عندما هددوا بغزو مصر وفى النهاية تزوج بأميرة أثيوبية ولكن على مدى السنين لم ينس أبداًقومه وأبناء جنسه وجاء يوم اتخذ فيه قرارا حاسماً وهو أن يقف بجانب اخوته المذلين ويتحمل الذل معهم ويودع إلى الأبد الغنى والراحة والمتعة وكرسى الملك الذى كان فى انتظاره . كان موسى الرجل الذى ضحى بكل أمجاد الأرض من أجل شعب الله . وهكذا فعل يسوع إذ تخلى عن مجده لأجل فداء الناس وصار محتقرا ومرفوضا . لقد ترك مجد السماء وأتى إلى السخرية والجلد والعار من الناس . إن موسى شارك فى يومه وفى جيله آلام المسيح . كان موسى ذلك الرجل الذى اختار الولاء الذى قاده إلى الذل والألم وضرب بأمجاد الأرض عرض الحائط . اختار بالأولى أن يكون مذلولا وهو بجانب الحق على أن يتمتع بالترف وهو بجانب الخطية . لقد عرف أن مكافأة الأرض محتقرة ودنيئة إذا ما قورنت بالمكافأة النهائية من يدى الله .

٣ ــ جاء اليوم الذى هرب فيه موسى من مصر إلى مديان بسبب تدخله لصالح قومه (خروج ٢ : ١٤ ــ ٢٢) والاشارة هنا إلى العدد السابع والعشرين من هذا الأصحاح . . وقد وجد بعض الناس صعوبة هنا لأن قصة الخروج تقول إن موسى هرب إلى مديان خوفاً على حياته من غضب الملك (خروج ٢ : ١٤) بينما كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول انه خرج من مصر غير خائف من غضب الملك . وليس هناك تناقض حقيقى بين القصتين . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين رأى شيئاً أعمق فى القصة فلم

يكن انسحاب موسى إلى مديان عملا من أعمال الخوف بل كان عين الشجاعة . إن تصرفه أرانا شجاعة الرجل الذى تعلم أن ينتظر . وكان الرواقيون حكماء فى قولهم انه لايجب على الرجل أن يلقى بنفسه إلى الهلاك باثارة غضب الطاغية من غير مبرر أو ضرورة تدعو إلى ذلك . وكتب سنيكا يقول « إن الرجل الحكيم لايجب أن يهيج غضب الأقوياء بل عليه أن يبتعد عنه ما أمكنه الابتعاد تماما مثلما يفعل البحارة وهم فى عرض البحار فهم لايتعمدون مواجهة أخطار العواصف بل يتحاشونها قدر المستطاع » . وفى تلك اللحظة كان فى إمكان موسى أن يمضى فى كفاحه ونضاله لتحرير قومه لكن قومه لم يكونوا مستعدين وخشى أن ينقلبوا عليه ولو كان قد مضى فى كفاحه بتهور لكان قد ألقى بحياته فى فوهة الهلاك ولكانت النجاة من مصر أمرا مستحيلا . لقد كان موسى كبيرا وشجاعا بقدر كاف حتى أنه عرف متى ينتظر . كان له الصبر والشجاعة فانتظر وظل منتظرا حتى قال له الله « قم ! فقد دقت الساعة » ويقتبس « موفات » قولا من « بيلك » مؤداه « ان شجاعة ترك العمل الذى وضع الإنسان كل قلبه فيه ، وقبول التوقف عن العمل بفرح على أساس أن هذه هى ارادة الله هو من الأعمال السامية والنادرة ولايقدر عليه إلا من صفت رؤياه الروحية » وعندما تنادينا غرائز الكفاح فينا لكى نمضى فى كفاحنا فإن الرجل الشجاع الكبير القلب هو الذى ينتظر . إنه شىء بشرى أن نخشى ضياع الفرصة السانحة لكنه شىء عظيم أن ننتظر حتى يأتى الوقت المعين من الله ولو بدا لنا أننا ضيعنا فرصة مؤاتية كانت بين أيدينا .

٤ — جاء اليوم الذى كان على موسى ان يعد فيه كل الترتيبات الخاصة بإقامة الفصح الأول . وترتيب الفصح جاء فى سفر الخروج (١٢ : ١٢ — ٤٨) كان يصنع الخبز غير المختمر ويذبح خروف الفصح

ويرش دم الخروف على العتبة العليا والقائمتين حتى عندما يمر ملاك الموت يرى الدم فيعبر عن البيت ولا يهلك الأبكار فيه . ولكن الشيء المذهل حقاً كما تقول القصة في سفر الخروج إن موسى لم يكتف باعداد الترتيبات الخاصة بعيد الفصح في ليلة خروج بني إسرائيل من أرض مصر ، لكنه أمر أن هذه الترتيبات يجب أن تمارس سنوياً على مدى الأجيال وهذا معناه بكلمات أخرى أن موسى لم يشك أبدا في نجاح مشروع الخروج من مصر . ولم يشك موسى أبداً في وصول بني إسرائيل إلى أرض الموعد . وبالرغم من اشتداد غضب فرعون والسعي وراء بني إسرائيل بخيله ورجله فإن موسى لم يشك أبداً في النجاة وفي المستقبل الباهر لشعب الله . هنا جماعة من العبيد الإسرائيليين التعساء يشرعون في رحلة عبر صحراء مجهولة نحو أرض الموعد المجهولة ـ وهنا كانت كل قوة مصر تتعقبهم ومع ذلك فان الشك لم يتطرق إلى قلب موسى فى أن الله سيخرج شعبه إلى الأمان بيده الشديدة وذراعه الممدودة . كان موسى ذلك الرجل العظيم في إيمانه بالله وأن الله إذا أمر الشعب أمرا فإنه سيعطيهم القوة على تنفيذه ، وأن الله إذا أمر شعبه بعمل كبير وخطير فإنه سيمكنهم من الوصول بهذا العمل إلى الخاتمة المنتصرة . لقد عرف موسى جيد المعرفة أن الله لايدعو عبيده إلى عمل عظيم ثم يتركهم عند نقطة البداية في العمل . إن الله يرافقهم في كل خطوة إلى نهاية الطريق .

٥ ــ وأخيراً جاء العمل العظيم في عبورهم البحر الأحمر . وقد سجل لنا الوحي هذه القصة في الأصحاح الرابع عشر من سفر الخروج وهناك تروى لنا القصة كيف تمكن بنوإسرائيل من عبور البحر الأحمر كما لو كانوا يمشون على أرض يابسة وكيف صار البحر مقبرة للمصريين عندما أرادوا العبور . وكان في تلك اللحظة أن إيمان موسى انتقل إلى الشعب

ودفعهم إلى الأمام فى الوقت الذى كانوا معرضين فيه للتراجع إلى الوراء . وهنا نرى إيمان قائد وإيمان شعب كانوا على إستعداد أن يحاولوا المستحيل طوعا لأمر الله . كان موسى والشعب على يقين أن أعظم عقبة فى العالم لن تكون عقبة إذا كان الله معنا ليمدنا بالعون على تخطى أقوى العقبات . فى كتاب عنوانه « كما فى آدم » جاءت هذه العبارة « إن عمل الحياة أو طريق الحياة يقوم على العبور فوق السياجات التى تعترض الطريق وليس فى النوم والتأوه فى أقرب مكان » . كان معنى الإيمان عند موسى هو التغلب على أقوى الصعوبات التى يبدو أنه لايمكن التغلب عليها وذلك باليقين فى أن الله سيعين الإنسان الذى يرفض الرجوع إلى الوراء ويصر على التقدم إلى الأمام .

وفى الختام نرى أن هذا الفصل لايحدثنا فقط عن قصة إيمان موسى لكنه يرينا أيضاً سر ذلك الإيمان . إن العدد السابع والعشرين يقول لنا إن موسى كان قادرا على مواجهة كل شيء لأنه كان يرى من لا يرى . إن أعظم وأبرز صفة فى حياة موسى كانت علاقته الوثيقة بالله . ونقرأ فى سفر الخروج (٣٣ : ٩ — ١١) أن موسى عندما كان يدخل خيمة الاجتماع « أن الرب يكلم موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه » وفى سفر العدد (١٢ : ٧ و ٨) نقرأ عن شهادة الله عن موسى عندما تمرد عليه البعض وثاروا فى وجهه « فما إلى فم وعيانا أتكلم معه » لنضع الأمر بكل بساطة وبطريقة بشرية فنقول إن سر إيمان موسى هو أن موسى كان يعرف الله شخصياً . وكان يذهب إلى كل عمل بعد أن يخرج من محضر الله . يقال إن نابليون أعتاد قبل قيامه بمعركة كبيرة أن يدخل إلى خيمته وحده ثم يرسل فى طلب قادة جيشه واحداً بعد واحد . وعندما كان القائد يدخل إليه ، لا ينطق نابليون بكلمة واحدة معه لكنه كان يحدق فى عينيه ويهز

يده بحرارة ثم يخرج وبهذه الطريقة كانوا يخرجون مستعدين للقتال وللموت في سبيل القائد الذى أحبوه . وهكذا كان موسى مع الله . كان لموسى هذا الإيمان لأنه عرف الله بالكيفية التى عرفه بها وعندما نخرج للقيام بأى عمل بعد أن نكون قد تقابلنا مع الله فلن تهزمنا أية مهمة من المهام الجسام . إن فشلنا وخوفنا يعزيان أحيانا كثيرة إلى أننا نحاول أن نعمل الأعمال بمفردنا . إن سر الحياة المنتصرة هو فى مقابلة الله قبل أن نقابل الناس .

الإيمان الذى يتحدى الحقائق

« بِٱلْإِيمَانِ سَقَطَتْ أَسْوَارُ أَرِيحَا بَعْدَ مَا طِيفَ حَوْلَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ . بِٱلْإِيمَانِ رَاحَابُ ٱلزَّانِيَةُ لَمْ تَهْلِكْ مَعَ ٱلْعُصَاةِ إِذْ قَبِلَتِ ٱلْجَاسُوسَيْنِ بِسَلَامٍ » .

(عبرانيين ١١ : ٣٠ ، ٣١)

كان كاتب الرسالة إلى العبرانيين عاكفاً على وضع أمثلة الإيمان للشخصيات العظيمة التى عاشت قبل دخول بنى إسرائيل أرض الموعد . أما الآن فإنه يضع أمامنا صورتين فى فترة الكفاح وهى الفترة التى كسب فيها بنو إسرائيل مكانا لأنفسهم داخل حدود فلسطين .

١ ــ القصة الأولى هى قصة سقوط أريحا . وقد جاءت هذه القصة القديمة والغريبة فى سفر يشوع (٦ : ١ ــ ٢٠) وكانت أريحا مدينة قوية ومحصنة ، أسوارها منيعة وأبوابها لها عوارض وأرتاج . وكان الاستيلاء عليها ضربا من المحال . وكان أمر الله أن يطوف الشعب حول المدينة مرة واحدة كل يوم ولمدة ستة أيام بقيادة سبعة كهنة أمام تابوت العهد وهم

يحملون الأبواق. وفى كل هذه الأيام الستة كانت المسيرة حول المدينة تتم فى صمت . أما فى اليوم السابع فكان على الكهنة أن ينفخوا فى الأبواق بعد أن طيف حول المدينة سبع مرات وكان الشعب يصيحون بكل قوتهم وعندئذ سقط سور المدينة فى الحال . وكما تقول لنا القصة القديمة فإن هذا ماعمل وهذا ماحدث فعلا . وقد تركت تلك القصة أثراً لايمحى فى ذاكرة شعب إسرائيل . وبعد هذا الحادث بقرون عديدة كان يهوذا المكابى ورجاله يواجهون مدينة كاسبس وكانت المدينة حصينة وقوية لدرجة أن المدافعين عنها كانوا يضحكون وهم آمنون « ولأجل ذلك صلى يهوذا ورفاقه إلى الرب العظيم سيد العالم الذى أسقط مدينة أريحا بدون أية معدات حربية فى زمن يشوع وأعطاهم هجوما عنيفاً على الأسوار وأخذوا المدينة بإرادة الله » (سفر المكابيين الثانى ١٢ : ١٣ — ١٦) ولم ينس الشعب أبداً ماصنعه الله لهم من العظائم حتى إذا دعاهم الواجب المقدس للقيام بأمر عظيم كانوا يشجعون أنفسهم بذكر ماصنعه الله .

وهذه هى النقطة الجوهرية التى يريد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يبرزها للعيان . إن أخذ مدينة أريحا كان نتيجة عمل الإيمان . لقد استولى عليها أناس كانوا يفكرون لا فيما يستطيعون أن يفعلوه بقوتهم ولكن فيما يستطيع الله أن يفعله بقوته واقتداره . كانوا على استعداد أن يؤمنوا أن الله قادر أن يمكنهم على فعل المستحيل وأن الله قادر أن يجعل من ضعفهم الواضح قدرة مذهلة فوق المعقول . بعد تحطيم السفينة الأسبانية « أرمادا » أقيم نصب تذكارى فى مدينة بليموث ونقشت عليه هذه العبارة « أرسل الرب ريحه فشتتهم » أو بكلمات أخرى تقول إن الشعب الانجليزى لما رأى العواصف والأعاصير قد حطمت السفينة الأسبانية « أرمادا » لم يملكوا إلا القول « إن الله هو الذى صنع هذا وليس أحد سواه » وعندما تواجهنا

إحدى المهام الكبرى فيجب أن يتجه تفكيرنا لا إلى مانستطيع نحن أن نعمله بل إلى مايستطيع الله أن يعمله بنا ولأجلنا . وعندما نقيم مواردنا فلنعلم أن الله هو الحليف الوحيد الذى لايجب أن نخرجه من حسابنا والشيء المستحيل عندنا هو الممكن عند الله .

٢ ـ والقصة الثانية التى يأخذها كاتب الرسالة إلى العبرانيين هى قصة راحاب . وقد جاء ذكرها فى سفر يشوع (٢ : ١ – ٢١) كما إننا نجد خاتمتها فى نفس السفر (٦ : ٢٥) وعندما أرسل يشوع جواسيس لكى يتجسسوا موقع مدينة أريحا نزلوا للمبيت فى بيت راحاب الزانية . وقد حمتهم المرأة ومكنتهم من الهروب . وعندما سقطت أريحا نجت راحاب مع عائلتها من المذبحة العظيمة تقديراً لما فعلته مع الجواسيس . وإنه شيء غير عادى أن يصير إسم راحاب مطبوعاً على ذاكرة بنى إسرائيل . ويتخذها الرسول يعقوب (٢ : ٢٥) مثلا عظيما للأعمال الصالحة التى تدل على الإيمان وكان الربيون يفتخرون بالتسلسل من راحاب لوكان ذلك فى مقدورهم . وفضلا عن ذلك فإن مايذهل حقاً أن اسمها قد جاء فى سلسلة أنساب يسوع نفسه (متى ١ : ٢٥) ويشيد بها اكليمندس الرومانى كمثل رائع للشخص الذى نال الخلاص « بواسطة الإيمان وكرم الضيافة».

وعندما يضعها كاتب الرسالة إلى العبرانيين كمثل من أمثلة الإيمان فما الذى يريد أن يجعله واضحاً من قصتها . إن مايريد أن يقوله هو أن راحاب فى وجه كل الحقائق آمنت بإله إسرائيل . لقد قالت للجواسيس الذين رحبت بهم وخبأتهم « علمت أن الرب قد أعطاكم الأرض . . . . لأن الرب إلهكم هو الله فى السماء من فوق وعلى الأرض من تحت» (يشوع ٢ : ٩–١١). وفى اللحظة التى كانت تتكلم فيها لم تكن أمام بنى إسرائيل فرصة واحدة من

مليون فرصة للإنتصار على أريحا . هؤلاء البدو الرحل فى شعاب الصحراء لم يكونوا رجال حرب ولم يكن لديهم شيء من عتاد الحرب. لقد كان يبدو أمراً بعيد الاحتمال أن يخترق هؤلاء القوم أسوار أريحا ويستولوا على المدينة . وبالرغم من ذلك فان راحاب آمنت وخاطرت بكل مستقبلها على أساس هذا الإيمان — آمنت أن الله يقدر أن يجعل المستحيل ممكناً . لقد آمنت بالله بالرغم من كل الحقائق . وعندما كان الإحساس العام ينطق بأن الموقف ميئوس منه كان لديها الإحساس الخاص الذى يرى ماوراء ذلك الموقف . لقد كانت لديها الشجاعة المغامرة فألقت بقرعتها مع الله عندما كان الظاهر للعيان أنها تسند وتؤيد الجانب الخاسر . إن الإيمان الحقيقى والشجاعة الحقيقية هما الإيمان والشجاعة اللذان يقفان بجانب الله عندما يبدو بحسب الظاهر أن هذا الجانب مقضى عليه بالهزيمة . صدق « فابر » فى قوله .

« مطوب ثلاث مرات
من يقدر أن يقول بالغريزة المعطاة له
إن الله موجود فى الميدان
عندما يكون من أبعد الامور أن يراه إنسان
لأن الحق هو الحق مادام الله هو الله
وأن الحق لابد أن يكسب المعركة
وأن الشك فى ذلك هو الخيـــانة
وأن التردد هـــو الخطية »

إن المسيحى يؤمن بالله متحدياً الحقائق ويؤمن بأنه ليس من إنسان يقف بجانب الله ويكون فى النهاية فى الجانب الخاسر ، لأنه حتى إن كان يرى خسائر الأرض فإن هناك انتصاراً عظيماً وغنائمه فى السماء .

أبطال الإيمان

« وَمَاذَا أَقُولُ أَيْضاً لأَنَّهُ يُعْوِزُنِي الْوَقْتُ إِنْ أَخْبَرْتُ عَنْ جِدْعَوْنَ وَبَارَاقَ وَشَمْشُونَ وَيِفْتَاحَ وَدَاوُدَ وَصَمُوئِيلَ وَالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ بِالإِيمَانِ قَهَرُوا مَمَالِكَ صَنَعُوا بِرًّا نَالُوا مَوَاعِيدَ سَدُّوا أَفْوَاهَ أُسُودٍ أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ تَقَوَّوْا مِنْ ضَعْفٍ صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ » .

(عبرانيين ١١ : ٣٢ – ٣٤)

يطوف كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى هذا الفصل عبر تاريخ قومه ويلتقط إسما بعد اسم من أولئك الأبطال . وهو لا يتناولها بترتيبها التاريخى ولكنه – كما سنرى فيما بعد – يذكر الخواص البارزه فى كل واحد منهم وهى التى تربطهم جميعاً برباط فكرى واحد .

وقد جاءت قصة جدعون فى سفر القضاة (٦ و ٧) ولم يكن معه إلا ثلثمائة رجل فقط وبهذا العدد القليل كسب انتصارا على العمونيين الذين أرعبوا إسرائيل – وهو انتصار ظل مدويا لأجيال طويلة . وأما قصةباراق فقد ذكرت فى سفر القضاة (٤ و ٥) وتحت إلهام دبورة النبية جمع عشرة آلاف شاب وواجه الصدام المخيف للفلسطينين بمركباتهم الحديدية التسعمائة وكسب انتصاراً لا يكاد يصدق كما لو أن مجموعة من المشاة غير المسلحين اصطدمت بفرقة من الدبابات وألحقت بهم هزيمة منكرة . وقد جاءت قصة شمشون فى سفر القضاة (١٣ – ١٦) وكان شمشون يحارب وحده دائماً

وبتفرده بقوته الرائعة اصطدم بالجبابرة العتاة وخرج من الصدام منتصراً وكان بمفرده سوطاً ورعباً للفلسطينيين . وقصة يفتاح ورد ذكرها فى سفر القضاة أيضاً (١١ ، ١٢) وكان يفتاح ابناً غير شرعى ولذلك نبذه إخوته وطردوه من بينهم وعاش عيشة الطريد الخارج على القانون ولكن عندما خاف بنو إسرائيل من العمونيين لجأوا إلى ذلك الشريد المنبوذ واستنجدوا به وأعطاهم الله نصراً عظيما على يديه ولو أن نذره لله كلفه حياة ابنته .وبعد ذلك تأتى سيرة داود ، ذلك الملك الذى كان يوماً ما راعياً صغيراً . وهو الذى لدهشته ودهشة كل واحد آخر فضله الله على كل إخوته ومسح ملكا (صموئيل الأول ١٦ : ١ — ١٣) ثم يذكر صموئيل الذى ولدته أمه بعد أن عاشت طويلا فى انتظاره (صموئيل الأول ١) وكان رجل الله الأمين والقوى الوحيد بين شعب متمرد ومتذمر ومن السهل تخويفه . ثم جاء ذكر الأنبياء الذين كانوا واحدا بعد واحد يحملون بمفردهم الشهادة الأمينه لله .

وكل هذه القائمة كانت بياناً لأسماء رجال واجهوا بلا خوف أمورا لاتصدق لأجل مجد الله . هؤلاء الرجال لم يؤمنوا قط أن الله يقف دائماً بجانب الكتيبة القوية . كانوا مستعدين لمواجهة أشد المخاطر رعباً لأجل الله ، وقبلوا بفرح وشجاعة وثقة القيام بالمهام التى كلفهم الله بالقيام بها ، وهى مهام جسام كانت — من وجهة النظر البشرية — فى حكم المستحيل أن يقوموا بها . كانوا رجالا يقفون وحدهم فى بسالة لا تعرف الخوف لمواجهة الحشود المعادية التى لاتهزم بحسب الظاهر وكل ذلك كان تعبيراً لولائهم لمجد الله . إن سجل الشرف هو سجل الرجال الذين اختاروا أن يقفوا مع الأقلية الأمينة لله ورفضوا أن يكونوا مع الأكثرية فى جانب العالم .

وفى الجزء الثانى من هذا الفصل يأتى لنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين

بالأعمال المجيدة التى قام بها هؤلاء الأبطال ويذكرها فى عبارات مركزة كأنها طلقات المدافع وقد ينسى معظمنا جانباً كبيرا من هذه العبارات ولكن الحكمة فى كتابتها بهذه الصورة لكى تذكرنا العبارة الاولى بالعبارة التى تليها . والذين يعرفون اللغة اليونانية جيداً يذكرون أن كل عبارة من هذه العبارات لها رنين ينتظم كدقات الجرس . وإن الكلمة المستعملة عن قهر الممالك هى ذات الكلمة التى استعملها يوسيفوس المؤرخ اليهودى عن داود الملك . والعبارة المستعملة لصنع البر هى ذات الوصف الذى أطلق على داود (صموئيل الثانى ٨ : ١٥) والتعبير الذى استعمل عن سد أفواه الأسود هو نفس التعبير الذى نطق به دانيال (دانيال ٦ : ١٨ و٢٣) والتعبير المستعمل عن إطفاء قوة النار يذكرنا على الفور بقصة شدرخ وميشخ وعبد نغو فى سفر دانيال (٣ : ١٩ — ٢٨) والكلام عن النجاة من حد السيف يوجه أفكار الناس إلى الكيفية التى نجا بها إيليا من الاغتيال المدبر ضده (الملوك الأول ١٩ : ١) واليشع (الملوك الثانى ٦ : ٣١) وهكذا كل عبارة تذكرنا بعمل رائع قام به كل واحد من هؤلاء الأبطال . أما نداء الحرب عن قوم صاروا أشداء فى الحرب هزموا جيوش غرباء فهى تذكر الناس بالأمجاد التى لاتنسى فى عهد المكابيين والتى سنتحدث عنها فى الفصل التالى . ولكن التعبير عن التقوية من ضعف يستحضر إلى أذهاننا صوراً كثيرة . فقد يلون الصورة العقلية لحزقيا الملك إذ نال الشفاء بعد أن وجه وجهه إلى الحائط وبكى (الملوك الثانى ٢٠ : ١ — ٧) لكن الأكثر احتمالا أن هذا التعبير قصد به كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يذكر قارئيه بالحادث الدموى الذى ذكر فى سفر يهوديت (من أسفار الأبوكريفا) وخلاصة الحادث أن بنى إسرائيل وقعوا تحت تهديد مخيف من جيوش الملك نبوخذ نصر بقيادة القائد « هولوفرنس » وقررت المدينة اليهودية

« بيثوليا » أن تسلم فى مدى خمسة أيام لأن الطعام والماء أوشك أن ينفذ . وكان فى المدينة أرملة تدعى يهوديت وكانت غنية وجميلة ولكنها عاشت فى عزلة حزناً على وفاة زوجها منسى ولبست أفخر ثيابها والتمست من قومها أن يأذنوا لها بالخروج من المدينة . وذهبت مباشرة إلى معسكر الأشوريين وطلبت السماح لها بالدخول إلى غرفة القائد وقالت له إنها مقتنعة بهزيمة قومها عقاباً لهم على خطاياهم وعرضت عليه طريقاً للتسلل إلى أورشليم ، بعد أن وثق منها قامت عليه وهو نائم ومثقل من الخمر وقتلته بخنجره وقطعت رأسه وأتت به إلى قومها وتحولت الهزيمة إلى انتصار رائع وهكذا صار ضعف امرأة قوة لإنقاذ بلادها .

إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يريد هنا أن يلهم قراءه بشجاعة جديدة وبإحساس جديد بالمسئولية بتذكيرهم بماضيهم المجيد . وهو لايفعل ذلك بإسلوب يعوزه الذوق والكياسة لكنه يلهب حماسهم بذوق الفنان الأصيل . فهو لايطالبهم بما يجب عليهم أن يذكروه لكنه يشير إشارات رقيقه تضطرهم أن يذكروا ما فعله أولئك الأبطال . لما كان « أوليفر كرمويل » يرتب برنامجا لتعليم ابنه « ريتشارد » قال « أريده أن يتعلم قليلا من التاريخ » وعندما تصدمنا عوامل الفشل فلنرجع بالذاكرة إلى الوراء فنتشجع وتعود إلينا روحنا المعنوية . إن ذراع الله لم تقصر وقوته لم تضعف . وما فعله الله مرة يستطيع أن يفعله مرة ثانية ومرات عديدة لأن إله التاريخ هو ذات الإله الذى نعبده اليوم .

تحدّى الألم

« أَخَذَتْ نِسَاءٌ أَمْوَاتَهُنَّ بِقِيَامَةٍ . وَآخَرُونَ عُذِّبُوا

وَلَمْ يَقْبَلُوا ٱلنَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا فِي هُزُءٍ وَجَلَدٍ ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضاً وَحَبْسٍ . رُجِمُوا نُشِرُوا جُرِّبُوا مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ . وَهُمْ لَمْ يَكُنِ ٱلْعَالَمُ مُسْتَحِقاً لَهُمْ . تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ ٱلْأَرْضِ . فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مَشْهُوداً لَهُمْ بِٱلْإِيمَانِ لَمْ يَنَالُوا ٱلْمَوْعِدَ إِذْ سَبَقَ ٱللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئاً أَفْضَلَ لِكَيْ لاَ يَكْمَلُوا بِدُونِنَا » :

(عبرانيين ١١ ٣٥ - ٤٠)

فى هذا الفصل نرى كاتب الرسالة إلى العبرانيين يمزج معاً حقباً مختلفة من التاريخ . فهو أحياناً يأخذ قصصه من التاريخ الكتابى ، لكنه بالأكثر يأخذها من حقبة حكم المكابيين وهى التى تقع بين العهدين القديم والجديد .

ولنبدأ أولا بالقصص التى نجد لها توضيحاً أو تلميحاً من خلفية العهد القديم . ونحن نقرأ فى حياة إيليا (ملوك الأول ١٧ : ١٧) وفى حياة أليشع (الملوك الثانى ٤ : ٨) كيف استطاعت النساء – بقوة وإيمان هذين النبيين أن تستعدن حياة أبنائهن بعد أن ماتوا . كما أن البعض رجموا بالحجارة إلى أن ماتوا ويخبرنا سفر أخبار الأيام الثانى (٢٤ : ٢٠ – ٢٢) كيف رجم زكريا النبى بالحجارة بواسطة قومه لأنه أراد أن يرجعهم إلى

الرب . وتقول لنا القصص الشعبية أن إرميا النبي مات فى مصر رجماً بالحجارة من قومه . وتخبرنا القصص اليهودية أن إشعياء النبي نشر بالسيف . كان حزقيا الملك الصالح قد مات وخلفه منسى على العرش وسجد للأصنام وحاول أن يجبر إشعياء على الاشتراك معه فى عبادة الأصنام وأن يمتدحها أمام الشعب ولكن إشعياء رفض محاولات الملك رفضاً قاطعاً وحكم عليه بنشر جسمه بمنشار خشبي . وحاول أعداؤه أن يستميلوه لكى يتخلى عن إيمانه لكنه تحداهم بثبات وتنبأ بهلاكهم « وبينما كان المنشار يقطع فى جسمه لم ينطق أشعياء بالشكوى ولم يذرف دموعاً ولم يكف عن مناجاة الله إلى أن قطع المنشار جسمه إلى نصفين » إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يعود بعقله وذاكرته إلى قصص هؤلاء الأبطال الذين تمكنوا من القيام بأعمال عظيمة لمجد الله والذين أعطوا القوة لتحمل العذاب إلى أن لفظوا النفس الأخير لأجل إسمه .

بل ما هو أكثر من ذلك فإن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يستعيد تاريخ الأيام المريعة أثناء حكم المكابيين . وهو كفاح ونضال يجب على كل مسيحى أن يعرف شيئاً عنه لأنه لو كان اليهود فى تلك الأيام القاسية والمريرة قد سلموا فى إيمانهم وتركوا الرب إلههم لتغير التاريخ . ولكن بسبب تمسكهم بإيمانهم ولأنهم تحدوا معذبيهم ، قد تمت مقاصد الله فى إسرائيل بمجيء المسيح .

وإليكم قصة من قصص البطولة فى زمن المكابيين .

حوالى عام ١٧٠ ق . م . كان يجلس على عرش سوريا ملك يدعى أنطوخيوس أبيفانس وكان حاكماً صالحاً وحازماً فى حكمه ولكنه كان مولعا بكل شيء إغريقى وبلغ حد الشذوذ فى ولعه بالإغريق ورأى فى نفسه

مرسلا لنشر العادات الإغريقية فى الحياة والعبادة وبذل جهده فى إدخال هذه العادات إلى فلسطين وكان له بعض النجاح فى محاولاته فقد أقبل البعض على الثقافة الإغريقية والدراما الإغريقية والرياضة الاغريقية . وكان الرياضيون الإغريق يتدربون على الألعاب وهم عراة الأجسام . ومال بعض الكهنة اليهود إلى الطرق الإغريقية إلى حد إبطال الختان فى أجسادهم لكى يكونوا بكلياتهم وجزئياتهم منتمين للثقافة الإغريقية وقد نجح انطوخيوس فى تمزيق وحدة الأمة اليهودية ولكن العدد الأكبر من اليهود كانوا ثابتين فى إيمانهم ولم يزعزع الإغراء عقيدتهم . ولغاية ذلك الوقت لم يكن انطوخيوس قد استعمل الشدة والعنف معهم ولكن حوالى عام ١٦٨ ق . م جاء ذلك اليوم الذى بلغ فيه الأمر إلى درجة الغليان . كان أنطوخيوس مهتماً بغزو مصر وحشد جيشاً وتوجه به إلى الحدود المصرية ولكن الرومان رغبة منهم فى إذلاله أمروه بالعودة إلى بلاده ولكن بطريقة فيها الكثير من الإذلال . إن الرومان لم يرسلوا جيشاً لصده عن الغزو لكنهم أرسلوا إليه عضوا فى مجلس الشيوخ يدعى بوبليوس ، ولم يكن معه إلا حاشية صغيرة غير مسلحة والتقى الاثنان على حدود مصر وتحادثا معا لأنهما كانا صديقين من قبل . ثم أخبر بوبليوس أنطوخيوس بكل رقة أن روما لاترغب فى مواصلة الحملة على مصر بل تريده أن يعود إلى بلاده وقال له انطوخيوس إنهسيفكر فى الأمر . وأخذ بوبليوس العصا التى كان يحملها ورسم بها دائرة على الرمل حول انطوخيوس وقال له بكل هدوء « فكر فى الأمر الآن قبل أن تخرج من هذه الدائرة » . وفكر انطوخيوس وتحقق أن تحدى روما أمر مستحيل وأخيراً قال سأعود إلى بلادى . وكان هذا الإجراء فى منتهى الإذلال بالنسبة للملك .

ورجع انطوخيوس إلى بلاده ويكاد الغيظ أن يفقده عقله وفى طريقه

محول إلى أورشليم وهاجم المدينة واستولى عليها من غير مجهود كبير . ويقال إن ثمانين ألفا من اليهود قتلوا وأن عشرة آلاف بيعوا عبيدا ولكن كان ماهو أردأ من ذلك . فقد نهبت محتويات الهيكل وأخذت المذابح الذهبية ، ومائدة خبز الوجوه ، والبخور ، والمنارة الذهبية والأوانى الذهبية وحتى الستائر وحجاب الهيكل كلها قد تم الاستيلاء عليها ونهبت الخزينة أيضاً . ولايزال ماهو أشد سوءا من ذلك ، إذ قدم على مذبح المحرقة ذبائح من لحم الخنازير للإله « زيوس » وحول غرف الهيكل إلى مواخير للفساد ولم يكن عمل من أعمال الامتهان والتدنيس إلا وارتكبه . ولكن ما هو أردأ من ذلك كان على وشك الحدوث . فقد منع بتاتاً ممارسة الختان وحرم تحريما كلياً اقتناء أسفار الكتاب المقدس والشريعة وحاول أن يلزم اليهود أن يأكلوا لحوما نجسة ويقدموا الذبائح للآلهة الإغريقية . وأرسل ضباط الشرطة إلى كل مكان فى طول البلاد وعرضها ليتأكدوا من تنفيذ هذه الأوامر « وإذا وجدوا من يتحدون أوامرهم كانوا يسومونهم أشد أنواع العذاب . فيضربونهم بالسياط ، ويمزقون أجسادهم ، ويصلبونهم وهم أحياء . وكانوا يشنقون النساء وأولادهن إذا خالفن أوامر الملك وصممن على ختان الأولاد وكانوا يشنقون الأولاد وهم حول رقاب أمهاتهم كأنهم معلقون على صلبانهم . وإذا وجدوا كتاباً من الكتب المقدسة كانوا يلاشونه ويقتلون صاحبه شر قتل » (آثار اليهود للمؤرخ اليهودى يوسيفوس) ولم يحدث أبدا فى كل التاريخ أن ظهرت القسوة المتناهية فى ملاشاة دين من الأديان مثلما فعل أنطوخيوس أبيفانس مع اليهود .

ومن السهل أن ترى كيف يمكن أن يقرأ هذا الفصل بالمقابلة بالأحداث المريعة فى تلك الأيام . وفى سفر المكابيين الرابع نجد قصتين مشهورتين كانتا بلاشك فى ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين عندما كتب عن الأشياء

التى كان على رجل الإيمان أن يتحملها . والقصة الأولى هى قصة أليعازر الكاهن الشيخ (المكابيين الرابع ٥ — ٧) وقف أمام أنطوخيوس وأمر أن يأكل من لحم الخنزير وإلا فإن أشد أنواع العقاب ستقع عليه إذا رفض الامتثال للأوامر . ولم يبال بالتهديد وأجاب الحاكم قائلا « نحن يا أنطوخيوس مقتنعون تمام الاقتناع أننا خاضعون لناموس إلهى وليست هناك قوة ماتعلو على قوة الناموس » ولم يذعن لأمر الملك بل قال أيضاً « ولو قلعتم عينى ولو أحرقتم أحشائى فى النار » ونزعوا عنه ثيابه وجلدوه بالسياط بينما كان الناطق بلسان الملك يقول له « أطع أوامر الملك » ومزقت السياط جسده وسال الدم منه بغزارة ، وفتحت الجروح خاصرتيه . وأصابه الضعف الشديد حتى انهارت قواه وركله أحد الجنود بقسوة وحشية فى معدته لكى يقف على قدميه . وفى النهاية بلغ به الإعياء كل مبلغ لدرجة أن الحراس أنفسهم تحركت احشاؤهم نحوه عطفاً عليه وعرضوا عليه أن يأتوا له بلحم آخر غير لحم الخنزير ويدعى بأنه يأكل لحم الخنزير . ورفض هذا الاقتراح قائلا لاينبغى لنا نحن الكهنة أن نعثر الصغار والشبان فنشجعهم على تناول أطعمة نجسة . وفى النهاية حملوه إلى النار ورموه فيها وابتدعوا أقسى الوسائل فى تعذيبه وسكبوا السوائل الكريهة فى أنفه « وهكذا مات وهو يصرح قائلا : إننى أموت بأشد أنواع التعذيب احتراماً للناموس » وهذه على الأقل كانت إحدى القصص التى أشار إليها كاتب الرسالة إلى العبرانيين وهو يتكلم عن آلام الذين ماتوا بسبب إيمانهم .

والقصة الثانية هى قصة الإخوة السبعة (سفر المكابيين الرابع ٨ — ١٤) وهؤلاء أيضاً أعطى لهم ذات الاختيار ووجهت إليهم ذات التهديدات . وواجهوهم فعلا بدولاب التعذيب وكل ما استطاعوا أن يخترعوه من آلات التعذيب كالمنجل والمنجنيق والمرجل والمقلاة المحماة . ورفض الأخ الأول

أن يأكل طعاما نجسا . وجلدوه بالسياط وربطوه إلى دولاب التعذيب . وانتزعت مفاصله من مواضعها وجاءوا بكومة من الحطب وأشعلوا فيها النار وشدوه إلى دولاب التعذيب وتلطخ الدولاب بالدم وانطفأت النار من تساقط الدم عليها وتطايرت قطع اللحم حول محاور الدولاب ولكنه ثبت أمام تعذيبهم ومات أمينا لإلهه . وجاءوا بالأخ الثانى وربطوه إلى المنجنيق ولبسوا قفازات حديدية مزودة بالمسامير وهجموا عليه كالوحوش الضارية وسلخوا جلده بقفازاتهم الحديدية ومزقوا جلد رأسه وقد مات هو أيضاً أميناً لربه . وجاءوا بالأخ الثالث أمام الضباط . ولما نفد صبرهم من شجاعته خلعوا يديه وقدميه من مواضعها بواسطة آلة التعذيب ومزقوا أطرافه وقطعوا أصابعه وذراعيه وساقيه وإبطيه . وفى النهاية مزقوه إرباً إربا بواسطة المنجنيق وسلخوا جلده وهو لا يزال على قيد الحياة . وأخيراً مات أميناً مثل أخويه . وقطعوا لسان الأخ الرابع قبل أن يقربوه إلى آلات التعذيب . أما الأخ الخامس فقد ربطوه إلى الدولاب وجعلوا جسمه منحنياً حتى يلتصق بحافة الدولاب ثم ثبتوه بقيود من حديد إلى المنجنيق وتمزق جسده إلى قطع صغيرة . ووضعوا الأخ السادس على الدولاب بينما كانت النار تشويه من أسفل وجاءوا بقطع الحديد المحمى وكووا بها ظهره . واخترقت هذه القطع المحددة الحامية إلى جنبيه وحرقت أحشاءه وأخيراً مات فى الإيمان . وجاءوا بالأخ السابع وشووه حياً فى مقلاة محماة ضخمة . هذه هى البطولات التى كان يفكر فيها كاتب الرسالة إلى العبرانيين . وهذه هى الأمور التى نحسن صنعاً إذ نذكرها . وبفضل إيمان هؤلاء الرجال بقى الإيمان اليهودى ولم يفن من الوجود . مثلما قصد له أعداؤه . ولو كان الإيمان اليهودى قد تلاشى ما الذى كان سيحدث لمقاصد الله . وكيف كان ممكناً ليسوع أن يولد إلى هذا العالم لو كان الإيمان اليهودى قد اندثر . وهذه أبسط حقائق التاريخ

أننا مدينون بمسيحيتنا إلى هؤلاء الشهداء فى تلك الأيام الدامية عندما صمم انطوخيوس أن يمحو الديانة اليهودية من على وجه الأرض .

ولكن جاء اليوم الذى اشتعل فيه الموقف فقد جاء مبعوثو انطوخيوس إلى بلدة تدعى « مودين » وأقاموا مذبحا لكى يستميلوا الناس إلى تقديم ذبائح للآلهة اليونانية وتودّدوا إلى رجل يدعى « متياس » ليقود قومه فى تقديم الذبائح للآلهة الوثنية . وكان الرجل ممتازا وله نفوذ على الناس لكنه رفض مطلبهم غاضباً . وتقدم رجل آخر يريد أن ينال الحظوة عند رجال الملك وينقذ حياته من غضبهم واقترب من المذبح يريد أن يقدم ذبيحة عليه . وعندئذ استشاط متياس غيظاً واستل سيفه وهجم على ذلك اليهودى المرتد وذبحه ثم ذبح أيضاً مندوب الملك وانفجر بركان الثورة فى كل مكان . ولم يجد متياس وأولاده مناصا إلا الفرار إلى التلال وتبعه كثيرون ممن كانوا على رأيه . وهذه التعبيرات التى توصف بها حياتهم كانت فى ذهن كاتب الرسالة إلى العبرانيين وتردد صداها من وقت لآخر . « وهكذا هرب متياس وأولاده إلى الجبال وتركوا وراءهم كل ما كانوا يمتلكون فى المدينة » (سفر المكابيين الأول ٢ : ٢٨) وأما يهوذا المكابى فقد هرب مع أصدقائه إلى الجبال وعاشوا فى البرارى والقفار كما تعيش الوحوش (سفر المكابيين الثانى ٦ : ١١) « وقد هاموا على وجوههم فى الجبال والكهوف كالوحوش » (سفر المكابيين الثانى ١٠ : ٦) و فى النهاية ، تحت حكم يهوذا المكابى وإخوته ، استرد اليهود حريتهم وتطهر الهيكل وازدهر إيمانهم مرة ثانية .

وفى هذا الفصل يسير كاتب الرسالة إلى العبرانيين على نفس الإسلوب الذى اتبعه سابقاً . فهو لايذكر هذه الأشياء بالتفصيل لكنه يرى من الأفضل كثيراً أن يحرك عواطف سامعيه وقرائه بهذه التعبيرات المركزة ويتركهم

ليذكروا التفصيلات بأنفسهم ، وليعودوا بذاكرتهم إلى الوراء ويعرفوا التكاليف المريعة للإيمان الذى حفظ لهم ديانتهم من الضياع .

وأخيراً يقول الكاتب شيئاً عظيما . إن جميع هؤلاء قد ماتوا قبل الإتمام النهائى لوعد الله ، قبل مجىء المسيح إلى العالم ، كما لو كان الله قد رتب الأمور بحيث لا يعلن البهاء الكامل لمجده قبل أن نجتمع نحن وهم ونتمتع به معا فنفرح فرحا مجيداً لاينطق به . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يريد أن يقول فى ختام هذا الأصحاح العظيم « انظروا ! إن مجد الله قد جاء ولكن انظروا كم تكلف هذا المجد حتى وصل إلينا . هذا هو الإيمان الذى أعطاكم إيمانكم . فماذا أنتم فاعلون إلا أن تكونوا مخلصين وأوفياء لميراث عظيم كهذا الميراث » .

ٱلْأَصْحَاحُ ٱلثَّانِى عَشَرَ

السباق والهدف

« لِذَلِكَ نَحْنُ أَيْضاً إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ ٱلشُّهُودِ مِقْدَارُ هَذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ وَالْخَطِيَّةَ ٱلْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ وَلْنُحَاضِرْ بِٱلصَّبْرِ فِى ٱلْجِهَادِ ٱلْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ ٱلْإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ ٱلَّذِى مِنْ أَجْلِ ٱلسُّرُورِ ٱلْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ ٱحْتَمَلَ ٱلصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِٱلْخِزْىِ فَجَلَسَ فِى يَمِينِ عَرْشِ ٱللهِ » .

(عبرانيين ١٢ : ١ ، ٢)

هذا فصل من الفصول العظيمة والمؤثرة فى العهد الجديد وقد أعطانا كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى هذه الكلمات مجملا وافيا للحياة المسيحية .

١ ــ فى الحياة المسيحية لابد لنا من هدف نضعه نصب عيوننا . إن الحياة المسيحية سباق موضوع لنا . وليس المسيحى إنسانا يتجول مستمهلا فى الطرقات غير عابىء بشىء . لكنه عابر سبيل نحو هدف معين . وليس هوسائحاً يعود كل ليلة إلى المكان الذى خرج منه لكنه راحل يسير بلاتوقف فى طريقه . وليس له هدف إلا يسوع المسيح نفسه والتمتع بحضور المسيح والتشبه بالمسيح . إن الحياة المسيحية دائمة السير والتوقف نحو السماء وكم

هو جدير بنا أن يسأل كل منا نفسه فى ختام يومه « هل أنا متقدم فى طريقى إلى السماء » .

٢ – وفى الحياة المسيحية عندنا العوامل التى تؤثر فينا تأثيراً فعالا . عندنا سحابة الشهود غير المنظورة والمحيطة بنا . وهم شهود بمعنى مزدوج . فهم أولئك الذين شهدوا باعترافهم بالمسيح . وهم أيضاً شهود لنا يتطلعون إلينا ونحن نجرى فى مضمار الحياة . والمسيحى شبيه براكض فى ميدان مزدحم بالمشاهدين . وفى أثناء ركضه ينظر إليه المشاهدون . وهؤلاء المشاهدون قد سبق لهم أن فازوا بالإكليل . كتب أحد أعلام الأدب كتاباً عظيماً يرسم فيه للأدباء طريق العظمة فى الإتقان والإبداع فيقول لكل أديب « يحسن بنا أن نسأل أنفسنا : كيف كان هوميروس يكتب هذا المقال ؟ أو كيف كان أفلاطون أو ديموستينوس يصل به إلى أرفع مستوى ؟ لأنه عندما تمر أمامنا وجوه هؤلاء العظماء فإنها بالتأكيد ستنير لنا الطريق وتسمو بنا إلى درجات الكمال . إن الممثل يبذل جهداً مضاعفاً إذا علم أن فناناً مرموقا فى المسرح يشاهده . والرياضى يستميت فى اللعب إذا عرف أن فريقاً من كبار الرياضيين يتطلعون إليه » وإنه من أعظم الأمور المشجعة لنا أننا نحيا حياتنا محاطين بأبطال الإيمان الذين عاشوا واحتملوا وماتوا فى عصرهم وفى جيلهم . كيف يجرؤ الإنسان أن يتجنب الكفاح فى سبيل المجد أمام جمهور المشاهدين الذين يتطلعون إليه من الأعالى ؟ .

٣ – وفى الحياة المسيحية تعترضنا عقبات . وإذا كنا محاطين بكل عظمة الماضى ، فإننا محاطون أيضاً بعقبات ومعطلات من خطايانا . ولا يستطيع أحد أن يصل إلى العظمة إذا كانت الأثقال تشده إلى الأرض . ولا يستطيع أحد أن يتسلق قمة « إيفرست » وهو يحمل حملا ثقيلا على

كتفه . وإذا أردنا أن نسافر إلى مسافات بعيدة فلا يجب أن نحمل معنا أثقالا تعيقنا فى الطريق . ومن الواجبات الجوهرية فى حياتنا أن نتعلم كيف نطرح بعض الأشياء جانباً من وقت لآخر. فقد تكون هذه الأثقال عادات تعودناها ، أو مسرات ألفناها ، أو أموراً انغمسنا فيها ، أو صداقات تجرنا إلى الوراء وتنزل بنا إلى الحضيض . هذه يجب أن نستغنى عنها كما ينزع الرياضى رداءه الخارجى وهو يمضى إلى ساحة اللعب . وكل شيء يشدنا إلى الوراء يجب أن نتركه غير آسفين . وأحياناً كثيرة نحتاج إلى المسيح لكى يقوينا على ترك هذه الأشياء .

٤ ــ وفى الحياة المسيحية عندنا وسائط النعمة . وهذه الوسائط هى الصبر المتواصل . والكلمة فى أصلها لاتعنى أننا نجلس ونقبل الأوضاع صابرين . ولاتعنى الصبر الحزين الذى يجلس برأس منحن ويدين مطبقتين وعقل مستكين ونترك الأشياء تمر من حولنا كما تشاء . إنما الصبر معناه أن نسيطر على الأشياء . وهذا الصبر الذى نملكه ليس صبراً خيالياً وليس هو شيئاً يمدنا بالأجنحة التى نحلق بها فوق الصعوبات . لكن الصبر هو ذلك التصميم الذى لايتوقف ولايتأخر بل يمضى فى سيره رافضاً كل ما يعيقه إلى أن ينتهى بسلام من رحلة الحياة . فالعقبات لاتخيف الصبر والمعطلات لاتثنيه والمفشلات لاتنزع منه رجاءه . فلا توقفه المفشلات من الداخل ولا المعاكسات من الخارج . هذا هو الصبر الثابت الراسخ الذى يمضى فى طريقه إلى النهاية .

٥ ــ وفى الحياة المسيحية عندنا مثل أعلى نقتدى به . هذا المثل الأعلى هو يسوع نفسه الذى من أجل الهدف الموضوع أمامه احتمل كل شيء . ولكى يحقق هذا الهدف ترك السماء وأمجادها ورفض بإصرار ما يدعوه

العالم طريقاً للانتصار . واتخذ طريق الصليب مستهينا بالخزى . وكان يسوع حساسا إلى أبعد الحدود ولا يضارعه أحد فى حساسية قلبه . وكان فى الصليب كل معانى الإذلال ، فقد كان نهاية المجرمين الذين اعتبرهم المجتمع حثالة البشرية ومع كل ذلك قبل الصليب راضياً . وعند القديس « فيليب النيرى » نصيحة فحواها أن نحتقر العالم ، ونحتقر أنفسنا ، ونحتقر حقيقة احتقارنا .

وإذا كان يسوع استطاع أن يحتمل كل ذلك ، فنحن — بنعمته — يجب أن نكون كذلك .

٦ — وفى الحياة المسيحية عندنا حضور يرافقنا فى كل الطريق . هذا الحضور هو حضور يسوع نفسه . فهو هدف رحلتنا وهو فى نفس الوقت رفيقنا فى الطريق . هو الشخص الذى نمضى للقياه وهو فى نفس الوقت الذى نسافر معه فى رحلة الحياة . إن الشيء العجيب فى الحياة المسيحية أننا نمضى فى طريقنا ونحن محاطون بالقديسين لكننا نعرض عن كل شيء من حولنا إلا مجد الهدف الموضوع أمامنا ونحن على الدوام فى رفقة ذاك الذى سار فى الطريق وحقق الهدف قبلنا وهو الذى ينتظرنا ليرحب بنا عندما نصل إلى نهاية الحياة .

مقياس للمقارنة

« فَتَفَكَّرُوا فِى ٱلَّذِى ٱحْتَمَلَ مِنَ ٱلْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُوا وَتَخُورُوا فِى نُفُوسِكُمْ » .

« لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى ٱلدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ ٱلْخَطِيَّةِ »

(عبرانيين ١٢ : ٣ ، ٤)

يستعمل كاتب الرسالة إلى العبرانيين كلمتين لوصف الإنسان عندما يكل أو يخور فى الطريق وهما الكلمتان اللتان كان أرسطو الفيلسوف يستعملهما فى وصف الرياضى الذى ينطرح على الأرض بسبب الإعياء أو الإغماء بعد أن قطع شوطاً كبيراً فى السباق . وهكذا يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين « لا تيأسوا سريعاً ، ولا تلتمسوا الراحة والاسترخاء ، ولاتعيوا قبل نهاية الشوط . ولا تنهاروا قبل أن تجوزوا نقطة الفوز فى السباق . ثبتوا أقدامكم إلى أن تصلوا إلى النهاية .

ولكى يحثهم على ذلك يضع أمامهم حافزين قويين .

١ — إن الكفاح فى المسيحية بالنسبة لهم لم يصل إلى حد الموت وعندما يتكلم عن المقاومة حتى الدم فهو يستعير نفس التعبير الذى كان القادة المكابيون يستعملونه عندما كانوا يحثون جيوشهم للحرب حتى الموت . وعندما يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن قومه لم يقاوموا حتى الدم ، لايقصد أن يلومهم بل يريد أن يستنهضهم للجهاد . وعندما يفكرون فيما عمله أبطال الماضى ليجعلوا إيمانهم ممكنا ، فبالتأكيد لايقدرون أن يركنوا إلى التكاسل والاسترخاء والتراجع عن الكفاح .

٢ — وهو يدعوهم لمقارنة مايتحملونه من ألم بما استطاع يسوع أن يتحمله . إن يسوع تنازل عن المجد الذى كان من حقه أن يتمتع به وجاء إلى كل ضيقات الحياة البشرية ، وواجه عداء الناس ومقاومتهم وفى النهاية مات معلقاً على صليب . وهكذا يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين « كيف تقدرون أن تقارنوا ما تتحملوه بما تحمله يسوع ؟ وهو قد فعل كل ذلك لأجلكم فماذا أنتم عازمون أن تفعلوا لأجله » .

وهذان العددان يركزان بشدة على تكلفة الإيمان المسيحى . فقد كلف

الإيمان كل القديسين والشهداء حياتهم وكلف المسيح ابن الله حياته وإن الشيء الذي يكلفنا كثيراً لايجب أن نطرحه عنا بسهولة واستخفاف . وإن تراثا ثميناً من هذا القبيل لايجب أن نتهاون في المحافظة عليه . إن تراثا كهذا لانقدر أن نسلمه للأجيال من بعدنا وهو ملوث ومتدهور بكل استخفاف . إن هذين العددين يناديان كل مسيحي « أظهر نفسك مستحقاً للتضحيات الجسام التي بذلها الله والناس من أجلك » .

تأديب الله

« وَقَدْ نَسِيتُمُ ٱلْوَعْظَ ٱلَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ يَا ٱبْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ ٱلرَّبِّ وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ . لأَنَّ ٱلَّذِي يُحِبُّهُ ٱلرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ وَيَجْلِدُ كُلَّ ٱبْنٍ يَقْبَلُهُ . إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ ٱلتَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ ٱللهُ كَٱلْبَنِينَ . فَأَيُّ ٱبْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ . وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ قَدْ صَارَ ٱلْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ . ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ وَكُنَّا نَهَابُهُمْ . أَفَلاَ نَخْضَعُ بِٱلأَوْلَى جِدًّا لِأَبِي ٱلأَرْوَاحِ فَنَحْيَا . . لأَنَّ أُولَئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ ٱسْتِحْسَانِهِمْ . وَأَمَّا هَذَا فَلأَجْلِ ٱلْمَنْفَعَةِ لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي ٱلْحَاضِرِ لاَ يُرَى

أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيراً فَيُعْطِي ٱلَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ برٍّ لِلسَّلاَمِ » .

(عبرانيين ١٢ : ٥ — ١١)

يقدم كاتب الرسالة إلى العبرانيين سبباً آخر — يجعلهم يتقبلون الضيقات والمتاعب التى تحل بهم بفرح وابتهاج . وقد سبق أن حث المؤمنين على الاحتمال لأن القديسين العظماء فى الماضى قد احتملوا الضيق بصبر وشجاعة . وقد حثهم أيضاً على الاحتمال لأن أية صعوبة يقابلونها مهما اشتدت لاتقاس بما احتمله المسيح لأجلهم . والآن يقول لنا بوجوب إحتمال الضيقات والآلام لأنها مرسلة إلينا كتأديب من الله ولاتخلو حياة لها قيمة من الألم . فالأب يؤدب ابنه دائماً . ولن تكون علامة محبة من الأب إذا أطلق العنان لابنه ليفعل ما يحلو له . ولو فعل الأب ذلك لحكم على نفسه بأنه لا يحب ابنه وانه لا يعتبر ابنه أفضل من الابن الغير الشرعى الذى لايشعر نحوه بأية محبة ولا بأية مسئولية . ونحن نخضع لتأديب الأب الأرضى ويجب أن نقبل تأديبه فترة وجيزة من الزمن ، حتى نصل إلى سن البلوغ . ولكن تأديب الأب البشرى فى أفضل حالاته فيه عنصر من التحكم والاستبداد . إن الأب الجسدى هو الأب الذى نحن مدينون له بأجسادنا فكم بالحرى يجب أن نخضع لتأديب الله الذى نحن مدينون له بأرواحنا الخالدة ، الذى كله حكمة ، والذى فى حكمته لايريد لنا شيئاً إلا خيرنا الأسمى الذى يعرفه هو وحده ولا أحد سواه . وقد أثار « زينوفون » سؤالا حيوياً عمن يقدم أعظم لخدمة للعالم : هل هو الإنسان الذى يضحك الآخرين أم الذى يبكيهم ؟ وأجاب أحد معاصريه قائلا « إن الذى يضحك أصدقاءه يقوم لهم بخدمة أقل بكثير من الذى يبكيهم . إن الآباء يدربون أبناءهم على ضبط النفس عندما يبكونهم .

والمعلمون يعطون تلامذتهم أفضل الدروس إذ يبكونهم » وما من شك فى أن هذه الكلمات التى ذكرها كاتب الرسالة إلى العبرانيين قد جاءت بتأثير مزدوج فى الذين سمعوها . فهى من جهة بينت لهم وجوب الخضوع للآباء ومن جهة أخرى أظهرت وجوب الخضوع لتأديب الله . وكان كل العالم يعرف فى ذلك الوقت السلطان المطلق المخول للأب. فكان القانون الرومانى يعطى الأب كل حق على أسرته . وإذا تزوج الإبن فرض الأب سلطانه عليه وعلى أحفاده أيضاً . وعند ولادة الطفل كان من حق الأب أن يبقيه أو يقتله . وفى سلطانه أن يقيد ابنه أو يجلده أو يبيعه فى سوق العبيد . وكان له الحق أن يحكم عليه بالإعدام . وقد يتبوأ الإبن أعلى المراكز السياسية أو القضائية ويذيع صيته بين جميع الناس ولكن هذا لايضعف أبداً من سلطة الأب إذ يبقى الإبن تحت سلطة أبيه الكاملة المباشرة طالما كان الأب حياً . وعندما أراد كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يعبر عن الكيفية التى يؤدب بها الأب ابنه كان قارئوه يعرفون جيداً ما كان يرمى إليه .

وهكذا يصر كاتب الرسالة إلى العبرانيين على أن ننظر إلى صعوبات الحياة باعتبار أنها تأديب من الله . كما أننا يجب أن ننظر إليها لا كأداة لضررنا أو أذيتنا ولكن لخيرنا الروحى الأسمى . ولكى يدعم الرسول أقواله يقتبس آيتين من سفر الأمثال (٣ : ١١ و ١٢) .

وهناك طرق كثيرة يمكن للانسان أن ينظر بها إلى التأديب الذى يرسله الله له .

١ ـ يمكنه أن يقبل التأديب بروح الاستسلام . وهذا ما كان يفعله الرواقيون . كانوا يعتقدون أنه لايحدث شيء فى هذا العالم بدون إرادة الله ولأجل ذلك ليس أمامهم إلا أن يقبلوه صاغرين . وأما القيام بعمل آخر

ضد ارادة الله فهو بمثابة أن يضرب الإنسان رأسه فى جدران الكون ومن العبث أن يرفض الإنسان قبول مالامفر منه . وهذا قبول وخضوع لا لمحبة الأب ولكن لسلطة الأب ، وهو ليس قبول الرضى ولكنه قبول الإنسان المغلوب على أمره .

٢ ــ وقد يقبل الإنسان التأديب بوجه متجهم وهو يصر على بذل المستحيل للخروج منه بأسرع ما يمكنه . قال أحد مشاهير الرومان « لا أسمح لشيء أن يعترض طريق حياتى » وإذا قبل إنسان التأديب بهذه الروح فهو يقبله كارها ويعتبره بلاء حل به . وعليه أن يكافح بروح التحدى إلى أن يتخلص منه ، وبروح خالية قطعاً من الشكر والاعتراف بفضل الله عليه .

٣ ــ وقد يقبل الإنسان التأديب بالتحسر على نفسه مما يؤدى به إلى الانهيار العصبى والمعنوى . وهناك عدد من الناس الذين إذا أصابتهم تجربة ماشعروا بأنهم وحدهم دون غيرهم فى كل العالم الذين قست عليهم العناية الإلهية . والنتيجة إنهم يضيعون فى الحسرة والرثاء لأنفسهم . وإذا فقدوا بالموت عزيزا لديهم لازمهم الحزن مدى الحياة .

٤ ــ وقد يقبل الإنسان التأديب كعقاب يتلقاه بامتعاض . ومن الغريب أنه فى ذلك الوقت الذى كتبت فيه هذه الرسالة كان الرومان إذا حلت بهم كوارث قومية أو شخصية قالوا إن هذه إنتقام من الآلهة الغاضبة عليهم . قال تاسيتوس إن النوازل التى تصيب البلاد ليست إلا دليلا على أن الآلهة لا يهمها راحة وأمن الناس بل يعنيها الانتقام منهم . ولا يزال بعض الناس يعتبرون الله إلهاً منتقماً . وإذا حلت بهم أو بأصدقائهم ضائقة طرأ على قلوبهم هذا السؤال « ماذا عملت حتى أستحق كل هذا البلاء » ؟ وهم يسألون هذا السؤال بنغمة تدل على اعتقادهم بأن هذا عقاب ظالم من الله . ولا يخطر

على بالهم قط أن يسألوا « ماذا يريد الله أن يعمل بى بواسطة هذا الاختبار الجديد فى حياتى » ؟

٥ — ونأتى إلى الموقف الأخير . إن الأتقياء بحق يرون فى أمور الحياة القاسية تأديب إله محب . قال جيروم قولا متناقضاً ولكنه حقيقى « إن أعظم أنواع الغضب الإلهى عندما لا يغضب علينا ونحن نخطئ إلى الله وإلى الناس » ويقصد أن يقول إن أقسى عقاب على الإطلاق عندما يتركنا وحدنا كقوم لا ينفع فيهم التعليم ولا يجدى فيهم العلاج وبسبب عمى قلوبهم وبصائرهم لا تفيدهم الاستنارة . إن المسيحى الحقيقى يعلم أن كل ما يأتى إليه فهو يأتى من إله هو الآب وإن يد الأب لا تتسبب فى أية دفعة لابنه بلا لزوم لها . وهو يعرف أن كل شئ يأتى عليه يحمل له رسالة خاصة لغرض معين وهو أن يصير إنساناً أحكم وأفضل من ذى قبل . كما كتب الشاعر «روبرت براونتج » فى قصيدة « الربى بن عزرا » يقول فيها :

رحب بكل ما يصدك ويعيقك
ويحول لك نعومة الأرض إلى خشونة
واقبل كل لذعة تدفعك للسير إلى الأمام
وليس للجلوس أو الوقوف على الأقدام
وجاهد واسترخص الجهاد إلى آخر مدى .
تعلم ولا تحسب حساباً لوخزات الأشواك
وتشجع ولا تتذمر من الألم المبرح
وليكن ثلاثة أرباع فرحنا ألماً
ومن هنا قد رأيت التناقض السعيد
فما يشدد العزائم هو الذى يهزأ بنا ساخراً

وما يبدو فشلا هو عين النجاح
وما كنت تواقاً فى الحصول عليه
ولم يتحقق هو لى نعم العزاء
ولو تم لى ما أردت
لكنت قد صرت إنساناً وحشياً
لكنى لم أرد أن أنقص فى الموازين » .

وسنكف عن التحسر على نفوسنا ، وسنبطل الامتعاض وستتوقف عن التبرم بالحياة والتذمر الثائر المتمرد إذا تذكرنا أنه ليس هناك تأديب من الله إلا ومصدره المحبة وهدفه خيرنا ومنفعتنا .

واجبات ، وأهداف ، وأخطار

« لِذَلِكَ قَوِّمُوا ٱلأَيَادِيَ ٱلْمُسْتَرْخِيَةَ وَٱلرُّكَبَ ٱلْمُخَلَّعَةَ وَٱصْنَعُوا لِأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً لِكَيْ لاَ يَعْتَسِفَ ٱلأَعْرَجُ بَلْ بِٱلْحَرِيِّ يُشْفَى . إِتْبَعُوا ٱلسَّلاَمَ مَعَ ٱلْجَمِيعِ وَٱلْقَدَاسَةَ ٱلَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ ٱلرَّبَّ مُلاَحِظِينَ لِئَلاَّ يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ ٱللهِ . لِئَلاَّ يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ ٱنْزِعَاجاً فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ . لِئَلاَّ يَكُونَ أَحَدٌ زَانِياً أَوْ مُسْتَبِيحاً كَعِيسُو ٱلَّذِي لِأَجْلِ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ . فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَيْضاً بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرِثَ

ٱلْبَرَكَةَ رُفِضَ إِذْ لَمْ يَجِدْ لِلتَّوْبَةِ مَكَاناً مَعَ أَنَّهُ طَلَبَهَا بِدُمُوعٍ » .

(عبرانيين ١٢ : ١٢ – ١٧)

بهذا الفصل يلمس كاتب الرسالة مشاكل الحياة اليومية لكل مسيحى . وهو يعرف أنه أحياناً يعطى لإنسان أن يحلق فى أعلى الأجواء بأجنحة النسور . كما يعطى لإنسان آخر المقدرة على الركض بلا إعياء لتحقيق غرض عظيم من أغراض الحياة . لكنه يعرف أيضاً أنه من أصعب الأمور أن يمشى الإنسان مشياً وئيداً كل يوم بلا تعب ولا إرهاق . وفى هذا الفصل يجول الكاتب بفكره فى واجبات الحياة اليومية والكفاح المستمر لكل مسيحى .

أولا — يبدأ بتذكيرهم بالواجبات وفى كل جماعة مسيحية وفى كل مجتمع مسيحى ، يوجد أشخاص ضعفاء سريعو الانحراف مستعدون للسير وراء من يقودهم بعيداً عن طريق الكفاح المسيحى . ومن الواجب على أولئك الأقوياء أن يشددوا عزائم الذين خارت قواهم وكادوا ينسحبون من المعركة . ومن واجب هؤلاء الأقوياء أن يعطوا النشاط للأيدى المسترخية ويمدوا الركب المخلعة بقوة جديدة . إن التعبير المستعمل هنا للأيدى المسترخية هو ذات التعبير الذى وصف به بنو إسرائيل يوم سئموا من مواصلة السير فى البرية وتاقوا إلى حياة الراحة والجلوس حول قدور اللحم وأوعية السمك فى مصر . وفى مزامير سليمان (وهو من أسفار الابوكريفا) يصف عمل الخدام الأمناء فيقول « إنهم رطبوا الشفاه اليابسة وقووا الإرادة الضعيفة وشددوا الأقدام الهزيلة » .

ومن أعظم أمجاد الحياة أن يكون الإنسان مشجعاً لمن وصلوا إلى حالة اليأس ومقويا لمن خارت قواهم وفترت عزائمهم . ولكى نقدم العون لهؤلاء

الضعفاء يجب أن نصنع لهم مسالك مستقيمة . وعلى المسيحى فى هذه الحالة واجب مزدوج ، عليه واجب نحو الله وواجب نحو إخوته . قال أحدهم فى وصف واجبات الرجل الصالح : « اجعل قلبك صالحاً فى نظر الله . واجعل طرقك مستقيمة فى نظر الناس . وبذلك تجد نعمة فى عينى الله وفى عيون الناس » ومن نحو الله يجب أن يكون للانسان قلب نقى . ومن جهة الناس يجب أن يقدم للناس حياة مستقيمة . وهذا هو الواجب المسيحى أن ترشد إنساناً إلى الطريق الصحيح الذى يسلك فيه وبواسطة قدوتك الصالحة تحفظه سائراً فى الطريق الصائب . ومن واجبك أيضاً كمسيحى أن تزيل من حياتك أى شئ يعثر إنساناً ما وأن تجعل الطريق سهلا لأصحاب الأقدام الضعيفة والركب المخلعة . على كل مسيحى أن يقدم قلبه لله وخدمته ومثاله لإخوته .

ثانياً — ينتقل الكاتب بعد ذلك إلى الأهداف التى يجب أن تكون أمام كل مسيحى .

(أ) يجب أن يهدف إلى السلام . وليس السلام فى اللغة العبرية والفكر العبرى شيئاً سلبياً بل هو إيجابى بمعنى الكلمة . ولم يكن السلام مجرد الحرية من المتاعب بل كان له معنيان : المعنى الأول للسلام هو كل شئ يحقق للانسان خيره الأسمى . معناه الوصول إلى أسمى جوانب الخير التى يستطيع الإنسان أن يستمتع بها . معناه أن يصل الإنسان إلى أعلى قمم الإنسانية . ولقد فهم العبرانيون بأن الخير الأسمى للإنسان هو فى طاعة وصايا الله فإنها تزيدك طول أيام وسنى حياة وسلامة (أمثال ٣ : ١ ، ٢) والمسيحى يجب أن يهدف إلى تلك الطاعة الكاملة لله حتى تجد الحياة السعادة العظمى والخير الأسمى والسلام الأكمل .

والمعنى الثانى للسلام هو العلاقات الطيبة بين الإنسان وأخيه الإنسان . معناه أن تزول البغضاء وأن يطلب الإنسان كل الخير لأخيه . معناه أن يرتبط الناس معاً برباط المحبة والمسامحة والخدمة . كأنى بالكاتب يريد أن يقول « اجتهدوا أن تعيشوا معاً » كما ينبغى للمسيحيين أن يعيشوا فى الوحدة الحقيقية التى تأتى من الحياة فى المسيح . السلام المطلوب هو السلام الذى يأتى من الطاعة لإرادة الله — السلام الذى يرتفع بحياة الإنسان إلى أعلى مستوى ، والذى يمكنه من أن يحيا وينتج علاقات طيبة مع إخوته من بنى البشر .

ويبقى أمامنا بعد ذلك شئ آخر يجدر بنا ملاحظته وهو إن هذا النوع من السلام يجب أن يكون هدفاً لنا نسعى لتحقيقه . هذا النوع من السلام يتطلب سعياً وجهداً فهو ليس شيئاً يحدث لنا مصادفة . إنه نتاج مجهود وتدريب عقلى وروحى . كتب الشاعر ردبارد كبلنج عن بلاده إنجلترا يقول :

« بلادنا إنجلترا جنة فيحاء
ولكن جنات كهذه لا تضيع بالفناء
فنقول « ما أجملها ! » ثم نجلس فى ظلالها
بينما أناس أفضل منا يخرجون كل يوم
وفى أول ساعات عملهم يستأصلون الأعشاب
من الطرق المفروشة بالحصباء
ويقتلعونها بالسكاكين المكسورة لمائده الطعام » .

إن هبات الله تعطى لنا لكنها لا ترمى على قارعة الطريق بل يجب أن نحصل عليها بالجد والكفاح . إن هبات الله تعطى للناس بالشروط التى يضعها الله . وأعظم شرط للحصول على هذه الهبات هو الطاعة لوصاياه .

(ب) ويجب أن يهدف أيضاً إلى القداسة. والمعنى الأصلى للقداسة هو الاختلاف والانفصال . ومع أن المسيحى يعيش فى العالم . ولكنه يجب أن يكون دائماً بمعنى من المعانى مختلفاً عن العالم . وسلوكه لا يجب أن يكون مثل سلوك العالم . ومثله الأعلى مختلف ، وجزاؤه مختلف ، وهدفه مختلف . وليس هدفه أن يكون على وفاق مع الناس بل على وفاق مع الله . « القداسة — كما وصفها وستكوت بحق — هى الاستعداد لحضور الله » . إن الحياة المسيحية تحكمها وتوجهها الذكرى الدائمة أن أعظم هدف لها هو الدخول إلى محضر الله .

ثالثاً — يمضى كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى حديثه فيوجه الأنظار إلى الأخطار التى تهدد الحياة المسيحية .

(أ) وهناك الخطر فى أن تفقد نعمة الله . والمعنى الحرفى لهذه العبارة هو : لئلا نفشل فى السير باتفاق مع نعمة الله . ويضع أحد المفسرين اليونانيين القدماء تفسيراً لهذا التعبير فى صورة رحلة مؤلفة من عدد من المسافرين . ومن وقت لآخر يكون عليهم أن يقفوا ويسألوا : هل سقط أحد فى الطريق ؟ هل توقف أحد بجانب الطريق ؟ هل ترك أحد من المسافرين فى مؤخرة الرحلة بينما تقدم الآخرون فى سيرهم ؟ وجاء فى سفر ميخا آية صريحة بهذا المعنى « فى ذلك اليوم يقول الرب أجمع الظالعة » (ميخا ٤ : ٦) والظالعة هى التى تعرج فى سيرها وتشرد هنا وهناك فلا تسير على نظام أو إتفاق مع جماعة السائرين . ومن السهل على الإنسان أن يظلع فى سيره ويتباطأ فى مشيته أو ينحرف عن الطريق السوى وبهذا يخيب من نعمة الله . ولا يجب أن يضيع فرصة واحدة من الفرص التى تقدمها لنا هذه الحياة . إن نعمة الله تقدم لنا الفرصة لنصنع بأنفسنا ولنصنع بالحياة ما قصد الله

أن تكون نفوسنا وحياتنا . إن الإنسان فى تباطؤ سيره ، وعدم تفكيره ، واستهتاره ، وتأجيله يمكنه أن يفقد الفرص التى تهيئها له نعمة الله . وبإزاء ذلك يجب أن نكون حريصين كل الحرص لئلا نخيب من نعمة الله .

(ب) يجب أن نحترس أيضاً من « أصل المرارة » وهذا التعبير مأخوذ من سفر التثنية (٢٩ : ١٨) « لئلا يكون فيكم أصل يثمر علقماً وأفسنتينا » وهناك يصف الإنسان الذى يذهب وراء آلهة غريبة ويشجع الآخرين على الاقتداء به وهو بذلك يترك تأثيراً ضاراً وساماً على حياة الجماعة . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يحذرنا من أمثال هؤلاء الذين يتركون وراءهم تأثيراً مفسداً . ويوجد دائماً من يظنون أن المقاييس المسيحية لا يجب أن تكون بهذه الشدة وبهذه الدقة . وهم لا يرون مانعاً من مجاراة العالم لكى يصلوا إلى النجاح ويستمتعوا بمختلف المتع التى يسعى إليها الناس . هم أولئك الذين يكتفون بمقاييس العالم فى الحياة والسلوك . وهؤلاء الناس كانوا موجودين فى الكنيسة الأولى . وكانت الكنيسة فى ذلك الوقت مثل جزيرة صغيرة من المسيحيين يحيط بها بحر خضم من الوثنية . وهؤلاء الذين كانوا أعضاء فى الكنيسة لم يكن قد مضى عليهم أكثر من عام واحد من يوم خروجهم من الوثنية ، وكان من السهل عليهم أن يرتدوا إلى المقاييس القديمة وكان هذا تحذيراً شديداً ضد أى تأثير يسمح للمسيحى أن يكون تفكيره فى الله أقل مما ينبغى أن يكون ، وأن يكون تفكيره فى العالم أكثر مما يجب أن يكون . وهو تحذير ضد مؤثرات العالم

المعدية التى قد يكون لها أحياناً خطة مرسومة وتدبير سابق وأحياناً تكون لا شعورية . وهذه المؤثرات منتشرة فى كل مجتمع مسيحى مع الأسف الشديد .

(ح) يجب أن يحترس المسيحى من الإستباحة والسقوط فى الحياة غير المقدسة . وهذا التعبير يطلق فى أصله على الأرض المباحة لأى غرض بعكس الأرض المقدسة أى المخصصة لبناء الهيكل عليها . وهو يطلق على المسيحيين أمثال أنطوخيوس أبيفانوس الذى قطع عهداً أن يمحو كل دين حقيقى . وهو يطلق أيضاً على اليهود الذين تركوا الله وارتدوا إلى الوراء . وقد فسر « وستكوت » هذه الكلمة بقوله إنها وصف للانسان الذى لا يعرف شيئاً أعلى من الأرض ، والذى ليس عنده شئ مقدس ، والذى ليس فى قلبه احترام لله غير المنظور . إن الحياة غير المقدسة هى حياة بلا شعور نحو الله ولا شوق إليه ، وهى فى أفكارها ، وأهدافها ، ومسراتها ، ومقاييسها مرتبطة كل الارتباط بالأرض . ويجب أن نحترس كل الاحتراس لئلا نجرف إلى إطار من العقل والقلب ليس له أفق أبعد من هذا العالم لأن هذ الطريق يؤدى حتما بصاحبه إلى فقدان الطهارة وضياع الكرامة .

وتلخيصاً لكل هذا الكلام يضع كاتب الرسالة إلى العبرانيين عيسو كمثال للحياة المسيحية . وهو فى الحقيقة يضع قصتين معاً من حياة ذلك الرجل . جاءت القصة الأولى فى سفر التكوين ٢٥ : ٢٨ — ٣٤ ووردت القصة الثانية فى سفر التكوين ٢٧ : ١— ٣٩ . فى القصة الأولى نرى عيسو عائداً من الحقل وقد أخذ منه الجوع كل مأخذ فباع بكوريته مقابل أكلة

عدس . وفى القصة الثانية نرى يعقوب يسرق من عيسو بركته ويأتى إلى أبيه إسحق متنكراً فى مظهر عيسو وكان إسحق قد تقدمت به الأيام وضاع منه البصر وبهذه الطريقة الماكرة كسب يعقوب البركة والبكورية اللتين كانتا من حق عيسو إذ هو أكبر الإبنين . وكان عندما طلب عيسو البركة من أبيه أن يعقوب حصل على البركة باحتياله على أبيه . ولما رأى عيسو أنه فقد البركة والبكورية رفع صوته وبكى بمرارة (تكوين ٢٧ : ٣٨) ولكن هناك ما هو أكثر مما يطفو على سطح القصة ، فى الأساطير العبرية وفى شرح علماء اليهود ينظر إلى عيسو باعتباره الرجل الجسدانى من رأسه إلى قدمه ، الرجل الذى يضع حاجات الجسد أولا ، الرجل الذى يضع اللذات العاجلة وشهوات الساعة الحاضرة فى المقام الأول ، الرجل الذى باع بكوريته ليملأ بطنه . وتقول الأسطورة العبرية أنه قبل أن يولداوكاناالايزالان توأمين فى أحشاء أمهما ، أن يعقوب قال لعيسو « يا أخى إن أمامنا عالمين ، العالم الحاضر والعالم الآتى . فى هذا العالم يأكل الناس ويشربون ويتاجرون ويتزوجون وينجبون بنين وبنات ولكن كل هذا ليس له مكان فى العالم لآتى . فإذا أردت يمكنك أن تأخذ هذا العالم الحاضر أما أنا فسآخذ العالم الآتى » ورضى عيسو عن طيب خاطر أن يأخذ هذا العالم لأنه لم يؤمن أن هناك عالماً آخر أفضل من هذا العالم وفى ذات اليوم الذى حصل فيه يعقوب بالاحتيال على بركة إسحق أبيه ، تقول الأسطورة إن عيسو كان قد ارتكب خمس خطايا وهى أنه عبد آلهة غريبة ، وسفك دماً بريئاً ، وطارد فتاة مخطوبة ، وأنكر وجود العالم الآتى ، واحتقر بكوريته . إن المفسرين اليهود لم يروا فى عيسو إلا أنه رجل الجسد ، الرجل الشهوانى ، الرجل الذى لم يجد لذة فوق ملذات هذا العالم وكل رجل على شاكلة عيسو يبيع بكوريته بأبخس الأثمان . وأى رجل يرمى ميراثه عندما يطرح الأبدية وراء ظهره .

ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن عيسو لم يجد للتوبة مكاناً . والمعنى الأصلى للتوبة هو تغيير الفكر . ومن الأفضل لنا أن نقول إن عيسو وجد أنه من المستحيل عليه فى ذلك الوقت أن يغير فكره . وليس هذا معناه أنه حرم إلى الأبد من غفران الله . ولكن المعنى أبسط من ذلك بكثير . إنها الحقيقة القاسية أن هناك بعض الاختبارات لا يقدر الإنسان أن يغيرها بأية حال من الأحوال . وهناك نتائج معينة لا يستطيع حتى الله نفسه أن يزيلها . ولأضربن لكم مثلا بسيطاً جداً . إذا ضيع الشاب طهارته أو إذا استهانت الشابة بعذراويتها فلا شئ فى الوجود يستطيع أن يستردها مرة ثانية . لقد تم الاختبار وسيظل هذا الاختبار باقياً . إن الله يقدر ويريد أن يغفر ولكن الله لا يرجع عقارب الساعة إلى الوراء ويمحو الاختبار ويلغى النتائج التى ترتبت على هذا الاختبار . ويحسن بنا أن نذكر دائماً أن للحياة حدوداً تقف عندها ولا يمكنها أن تتعداها . وإذا كنا — مثل عيسو — نتخذ طريق هذا العالم ، وإذا كنا نجعل من الشهوات الجسدية غايتنا القصوى ، وإذا كنا نفضل ملذات الزمن على أفراح الأبدية ، فإن الله يقدر ويريد أن يغفر ولكن شيئاً ما قد حدث ولا يمكن تغييره إطلاقاً . وهناك بعض الأمور التى لا يقدر الإنسان أن يغير فيها فكره . لأن رغبته فى التغيير قد فات آوانها وجاءت متأخرة جداً ، وينبغى له أن يبقى ملازماً للاختيار الذى إختاره لحياته .

رعب القديم ومجد الجديد

« لِأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍ بِٱلنَّارِ وَإِلَى ضَبَابٍ وَظَلَامٍ وَزَوْبَعَةٍ وَهُتَافِ بُوقٍ وَصَوْتِ كَلِمَاتٍ ٱسْتَعْفَى ٱلَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تُزَادَ لَهُمْ كَلِمَةٌ . لِأَنَّهُمْ لَمْ

يَحْتَمِلُوا مَا أُمِرَ بِهِ وَإِنْ مَسَّتِ ٱلْجَبَلَ بَهِيمَةٌ تُرْجَمُ أَوْ تُرْمَى بِسَهْمٍ . وَكَانَ ٱلْمَنْظَرُ هكَذَا مُخِيفاً حَتَّى قَالَ مُوسَى أَنَا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ . بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيُوْنَ وَإِلَى مَدِينَةِ ٱللهِ ٱلْحَيِّ أُورُشَلِيمَ ٱلسَّمَاوِيَّةِ وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَإِلَى ٱللهِ دَيَّانِ ٱلْجَمِيعِ وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ وَإِلَى وَسِيطِ ٱلْعَهْدِ ٱلْجَدِيدِ يَسُوعَ وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ»

(عبرانيين ١٢ : ١٨ – ٢٤)

يعقد كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى هذا الفصل مقارنة بين القديم والجديد ، وهى مقارنة بين إعطاء الناموس على جبل سيناء وبين العهد الجديد الذى وسيطه يسوع . وهذه الأعداد من ١٨ – ٢١ عبارة عن ترجيع الأصداء لقصة إعطاء الناموس على جبل سيناء . ويصف سفر التثنية ذلك المشهد فيقول « فتقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل ، والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتاً » (تثنية ٨ : ١١) وفى سفر الخروج (١٩ : ١٢ ، ١٣) يحذر الشعب من الاقتراب إلى ذلك الجبل المخيف فيقول « وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية قائلا احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه . كل من يمس الجبل يقتل قتلا . لا تمسه يد بل يرجم رجماً أو يرمى بسهم. بهيمة كان أم إنساناً لا يعيش . أما عند صوت البوق يصعدون إلى الجبل » . وفى سفر التثنية (٥ : ٢٣ – ٢٧)

يخبرنا أن الشعب خافوا جداً من أن يسمعوا بأنفسهم صوت الله فأنابوا عنهم موسى يسمع رسالة الله ويبلغها لهم « إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت » .

ويحدثنا أيضاً سفر التثنية (٩ : ١٩) عن خوف وارتعاب موسى . وكل الفصل إلى نهاية العدد الحادى والعشرين يعطينا صورة معبرة عن قصة إعطاء الناموس على جبل سيناء . وكل الأمور المرعبة والمخيفة قد تجمعت معاً لتؤكد أهوال ذلك المنظر .

وتبرز أمامنا ثلاثة أشياء عن قصة إعطاء الناموس على جبل سيناء :

١ – يظهر لنا بوضوح جلال الله المطلق . وتؤكد لنا كل القصة قوة الله المحطمة والمهلكة ولا يوجد فيها محبة الله على الإطلاق .

٢ – ويظهر لنا أنه لا يمكن إطلاقاً الوصول إلى الله أو الاجتماع به ، ومن يحاول أن يقترب إلى الله فموته محتم .

٣ – ويظهر لنا كذلك رهبة الله المطلقة . وهنا لا نجد شيئاً إلا الخوف من مجرد النظر أو الإصغاء إلى الله .

ولكن فى العدد الثانى والعشرين تختلف الصورة عن سابقتها . الصورة الأولى ترينا كل ما يتوقعه الإنسان وهو تحت أوامر ونواهى العهد القديم والناموس القديم . وفيها لا نجد إلا جلال الله وانفصاله المطلق عن الإنسان ، والخوف المرعب الذى يجتاح الإنسان . ولكن قد جاء العهد الجديد ببركاته لكل مسيحى . وجاءت الصلة الجديدة بالله .

وفى هذا الفصل يضع كاتب الرسالة إلى العبرانيين بياناً بالأمجاد الجديدة التى تنتظر المسيحى . وهى مفتوحة ومباحة له ومن حقه أن يستمتع بها .

١ – إن أورشليم الجديدة ، أورشليم السماوية ستكون فى إنتظاره . إن خليقة جديدة فى إنتظاره . وهذا العالم قد مضى بكل مخاوفه وبكل تقلباته ، وبكل أسراره ، وبكل إنفصالاته . إن الحياة تتجدد وتنتعش للمسيحى .

٢ – والملائكة بمحفلهم البهيج سيكونون فى إنتظاره . والكلمة التى يستعملها كاتب الرسالة فى وصف بهجة المحفل الملائكى هى الكلمة التى كانت تستعمل فى المحافل القومية البهيجة إكراماً للآلهة . وهى تصف يوماً مقدساً يحتفل به ويفرح به كل الناس . وإن فرح السماء للمسيحى هو الفرح الذى يجعل صاحبه فى قمة الفرح وفى نشوة الابتهاج .

٣ – والمختارون سيكونون فى إنتظار المسيحى . ويصفهم كاتب الرسالة إلى العبرانيين بأنهم الأبكار . ومن امتيازات الإبن البكر أن الميراث والكرامة هما من حقه . ويقول الكاتب إن هؤلاء هم الذين كتبت أسماؤهم فى أسفار الله . وفى الأيام القديمة كان الملوك يحتفظون بسجل أسماء المواطنين الأمناء . وكان الإنسان المدون إسمه فى السجل الملكى يعترف به الملك اعترافاً علنياً . وهكذا كل الناس الذين أكرمهم الله وحسبهم المواطنين الأمناء فى السماء سيكونون فى إنتظار المسيحى .

٤ – والله ديان الجميع سيكون فى إنتظار المسيحى . وفى وسط البهجة تبقى أيضاً المهابة . ولا يفوت كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يذكر أنه فى النهاية سيقف المسيحى أمام الله الذى يفحصه فحصاً دقيقاً وشاملا . وسيكون المجد هناك ولكن رهبة الله ومخافته ستكونان هناك أيضاً . إن العهد الجديد يقف دائماً ضد أخطار النزعة القائلة بتأثر الله العاطفى . إن الله محب أبدى لكنه أيضاً ديان عادل .

٥ ـ وأرواح الأبرار المكملين ستكون فى إنتظار المسيحى . وفى الماضى كانت هذه الأرواح تحيط به وهى فى السحاب غير المنظور والآن سيكون المسيحى واحداً منهم وسيمضى ليلتحق بهذه الأسماء المكتوبة فى سجل الشرف عند الله . أولئك الذين كانوا مرضيين عند الله وشهد الله بإيمانهم .

٦ ـ وأخيراً يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين أنه سيكون فى إنتظار المسيحى ربنا يسوع الذى أسس هذا العهد الجديد ـ يسوع الذى جعل هذه العلاقة الجديدة مع الله ممكنة ـ يسوع الذى انتزع الخوف من جبل سيناء ، وأعطى الناس مجد العلاقة الجديدة مع الله ـ يسوع الذى صار الكاهن الكامل والذبيحة الكاملة ـ يسوع الذى جعل الاقتراب إلى الله ممكناً وميسوراً بعد أن كان هذا الاقتراب ضرباً من المحال ـ وبمعنى آخر إن يسوع كان لزاماً عليه أن يموت ليجعل كل ذلك ممكناً. ولذلك يختم كاتب الرسالة إلى العبرانيين بمقارنة غريبة بين دم هابيل ودم يسوع وعندما قتل هابيل وسال دمه على الأرض صعد صراخه إلى الله طالباً الانتقام (تكوين ٤ : ١٠) ولكن عندما صلب يسوع لم يطلب دمه الانتقام بل طلب الصفح والغفران لصالبيه وفتح باب المصالحة على مصراعيه . إن حياته وموته وذبيحته جعلت فى الإمكان أن يكون الإنسان صديقاً لله .

الالتزام الأعظم

« أُنْظُرُوا أَنْ لاَ تَسْتَعْفُوا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّمِ . لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ لَمْ يَنْجُوا إِذِ ٱسْتَعْفُوا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّمِ عَلَى ٱلْأَرْضِ فَبِٱلْأَوْلَى جِدًّا لاَ نَنْجُو نَحْنُ ٱلْمُرْتَدِّينَ عَنِ ٱلَّذِي مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلَّذِي صَوْتُهُ زَعْزَعَ ٱلْأَرْضَ حِينَئِذٍ وَأَمَّا ٱلآنَ فَقَدْ

وَعَدَ قَائِلاً إِنِّى مَرَّةً أَيْضاً أُزَلْزِلُ لاَ ٱلْأَرْضَ فَقَطْ بَلِ السَّمَاءَ أَيْضاً . فَقَوْلُهُ مَرَّةً أَيْضاً يَدُلُّ عَلَى تَغْيِيرِ ٱلْأَشْيَاءِ ٱلْمُتَزَعْزِعَةِ كَمَصْنُوعَةٍ لِكَيْ تَبْقَى ٱلَّتِى لاَ تَتَزَعْزَعُ لِذَلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتاً لاَ يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ ٱللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى لِأَنَّ إِلَهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ ».

(عبرانيين ١٢ : ٢٥ - ٢٩)

يبدأ كاتب الرسالة إلى العبرانيين هذا الفصل بمقارنة وهى تحمل معها تحذيراً فى نفس الوقت . جاء موسى إلى الأرض بأقوال الله . وما كان موسى إلا ناقلا لهذه الأقوال . كان فقط الفم الذى تكلم به الله ومع ذلك فإن الإنسان الذى كسر الوصايا التى نقلها موسى لم يسلم من العقاب العاجل . ومن الجانب الآخر نجد يسوع . والكلمة المستعملة عنه تفيد الكلام المباشر الخارج من فم الله رأساً ولم يكن مجرد ناقل لصوت الله بل كان هو صوت الله . ولم يتكلم برسالة أرضية أو بنبرات أرضية . إن السماء ذاتها تكلمت فيه . وإذا كان الأمر كذلك فكم يكون العقاب المريع والدينونة العادلة لمن يرفض أن يطيع صوته . وإذا كان الإنسان قد استحق العقاب لإهماله رسالة الناموس الناقصة فكم بالحرى يستحق عقاباً أشد من يرفض رسالة الإنجيل الكاملة . ولأن الإنجيل هو إعلان الله الكامل ، ولأنه فيه قد تكلم الله كما لم يتكلم قط من قبل ولن يحتاج أن يتكلم ثانية ، فان المسئولية الموضوعة على السامع مزدوجة ورهيبة . إن الذين سمعوا الناموس القديم فقط لم تكن لهم الفرصة لسماع الحق الكامل . وأما الذين سمعوا إنجيل العهد الجديد فقد سمعوا الإعلان الكامل للحق الإلهى ولا بد أن دينونة الإنسان ستكون أشد رعباً وأكثر هولا إذا أهمل إعلان الله الكامل .

ثم يمضى كاتب الرسالة إلى العبرانيين فيبدى فكراً جديداً . عندما أعطى الناموس اهتزت الأرض « وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً » (خروج ١٩ : ١٨) « أيتها الأرض تزلزلى قدام الرب من قدام إله يعقوب » (مزمور ٦٨ : ٨) « صوت رعدك فى الزوبعة . البروق أضاءت المسكونة . ارتعدت ورجفت الأرض » (مزمور ٧٧ : ١٨) وهذا ما حدث بالفعل عند نزول الناموس القديم . والآن نجد كاتب الرسالة إلى العبرانيين إشارة جديدة إلى اهتزاز الأرض فى سفر حجى (٢ : ٦) حيث يقول « لأنه هكذا قال رب الجنود . هى مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة » ويتخذ الكاتب من هذه الآية إعلاناً لليوم الذى فيه تزول هذه الأرض ويبدأ العصر الجديد . وفى ذلك اليوم ستزول كل الأشياء المتزعزعة ولا يكون لها وجود وستبقى فقط الأشياء التى لا تتزعزع . وبين هذه الأشياء الثابتة والدائمة ستكون علاقتنا بالله . ستمضى كل الأشياء وسيقتلع هذا العالم الذى نعرفه من جذوره ، وستنتهى الحياة كما اختبرناها ، ولكن شيئاً واحداً لا يتغير ولا ينتهى ولا يتزعزع — هو علاقة المسيحى بالله . ولو تحطم كل شئ آخر إلى فناء أبدى ، فإن هذه العلاقة المجيدة ستبقى إلى الأبد ثابتة وأكيدة .

وإذا كان الأمر كذلك فإن التزاماً عظيماً يقع علينا . أننا يجب أن نعبد الله بخشوع ويجب أن نخدمه بتقوى . لأنه لن يسمح لأى شئ بأن يضعف أو يزعج تلك العلاقة التى ستكون خلاصاً لنا عندما ينتهى كل العالم . ولذلك نجد كاتب الرسالة إلى العبرانيين يختم هذا الفصل بواحد من إنذاراته الشديدة التى اعتاد من حين إلى آخر أن يصوبها إلى سامعيه وقارئيه كطلقات المدفع وهو يقتبس هذه العبارة الأخيرة من سفر التثنية (٤ : ٢٤) وهناك يقول موسى

للشعب إنه ينبغى ألا ينقضوا اتفاقهم مع الله ولا ينبغى أن ينحرفوا إلى عبادة الأصنام أو السجود للتماثيل المنحوتة لأن الله إله غيور وينبغى أن يعبدوه هو وحده ولا آخر سواه وإلا فإنهم سيجدونه ناراً آكلة كأن كاتب الرسالة إلى العبرانيين أراد أن يقول لهم « إن الاختيار أمامكم . كونوا ثابتين مع الله وابقوا مخلصين له . حتى إذا انقلبت الأعمدة واهتز الكون ولم يبق له وجود فلا تتزعزعوا ولتكن علاقتكم مع الله ثابتة وأمينة فإن الله سيبقى أميناً معكم إلى أن يطوى الزمن . أما إذا حدتم عن الله فإن الله الذى كان يمكن أن يكون خلاصاً لكم سيكون ناراً آكلة ومهلكة لكم . إنه فكر خطير ومروع لكنه ينطوى على الحق الأزلى الذى لا تغيير ولا تبديل فيه . هذا الحق هو أن الإنسان إذا كان أميناً لله، صادقاً فى عهوده ، فإنه سيربح كل شئ . أما إذا لم يكن أمنياً لله فانه سيخسر كل شئ . وفى الزمان الحاضر كما فى الأبدية لا شئ ذو قيمة إلا الولاء الكامل والدائم لله .

الاصحاح الثالث عشر

علامات الحياة المسيحية

« لِتَثْبِيتِ ٱلْمَحَبَّةُ ٱلْأَخَوِيَّةُ . لاَ تَنْسُوا إِضَافَةَ ٱلْغُرَبَاءِ لِأَنَّ بِهَا أَضَافَ أُنَاسٌ مَلاَئِكَةً وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ . أُذْكُرُوا ٱلْمُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ مَعَهُمْ وَٱلْمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي ٱلْجَسَدِ . لِيَكُنِ ٱلزَّوَاجُ مُكَرَّماً عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ وَٱلْمُضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ . وَأَمَّا ٱلْعَاهِرُونَ وَٱلزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ ٱللهُ . لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ ٱلْمَالِ . كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ لِأَنَّهُ قَالَ لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ حَتَّى إِنَّنَا نَقُولُ وَاثِقِينَ ٱلرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلاَ أَخَافُ . مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ » .

(عبرانيين ١٣ : ١ — ٦)

إذ يقترب الكاتب من نهاية رسالته يتجه إلى الأمور العملية . وهنا يذكر خمس سجايا جوهرية للحياة المسيحية .

١ — السجية الأولى هي المحبة الأخوية . وظروف الكنيسة الأولى كثيراً ما كانت تهدد المحبة الأخوية . ويرجع السبب إلى أن حقيقة اعتناقهم

لديانتهم بجدية شكلت لهم خطراً بصورة من الصور . فكنيسة مهددة من الخارج ، وجادة فى ديانتها الجديدة من الداخل كان يواجهها دائماً خطران كبيران . والخطر الأول خطر الوقوف فى وجه الضلالات ورغبتهم القوية فى حفظ الإيمان طاهراً نقياً .

والخطر الثانى المعاملة القاسية والخالية من العطف نحو الذين ضعفوا أو فشلوا فى إيمانهم . ولزوم بقاء المؤمنين فى ولاء تام وسط عالم وثنى ومعاد لهم جعلهم يزدادون شدة وصرامة فى معاملة الانسان الذى — بسبب أزمة ما — لم تكن عنده الشجاعة للوقوف بجانب إيمانه . إنه شىء عظيم أن نحفظ إيماننا نقياً ولكن عندما تؤدى بنا هذه الرغبة لأن نكون ناقدين مرتا بين صيادين للأخطاء ود يانين للآخرين ، قساة فى أحكامنا بلا حنو ولا عطف على الضالين فإن المحبة الأخوية تكون فى خطر الضياع ونكون فى موقف أسوأ من الموقف الذى أردنا أن نتجنبه . وبكيفية أو بأخرى نحتاج أن نمزج الأمرين معا فنكون فى تمام الجدية من جهة سلامة العقيدة ، وتكون لنا فى نفس الوقت الشفقة نحو الإنسان الذى انحرف عن الإيمان القويم .

٢ — السجية الثانية هى كرم الضيافة . وكان العالم القديم يحب ويقدر كرم الضيافة . وعند اليهود قول مأثور « توجد ستة أشياءيأكل الإنسان من ثمرها فى هذا العالم وبها يرتفع قرنه فى العالم الآتى » وعلى رأس هذه القائمة كرم الضيافة للغريب وزيارة المريض . وأعطى اليونانيون « زيوس » لقباً من أحب الألقاب إليه وهو «زيوس إله الغرباء » . إن عابر السبيل والغريب كانا تحت رعاية وحماية كبير الآلهة « زيوس » وكان كرم الضيافة — كما يقول موفات — مادة من مواد الدين القديم . كانت الفنادق قذرة وغالية وذات سمعة رديئة . وكان اليونانيون ينفرون دائماً من تقديم الضيافة بالمال . وإدارة الفنادق كانت فى نظرهم عملاً يتنافى مع الطبيعة . وفى قصة

« ضفادع ارستوفانيس » يسأل ديونسيوس هرقليس إذا كان يعرف فندقا به كمية من الذباب أقل من غيره . ويحدثنا أفلاطون فى كتاب « القوانين » أن صاحب الفندق كان يأخذ المسافرين كرهائن عنده مقابل فدية تدفع له . وإنه شيء له دلالته — كما يقول يوسيفوس — أن راحاب الزانية كانت صاحبة فندق . وعندما كتب ثيوفراستس بيانا بأخلاق الرجل المنحل المستهتر قال إنه يصلح لأن يكون صاحب فندق أو يدير وكراً للفساد , فقد وضع الوظيفتين فى مستوى واحد . وكان فى العالم القديم نظام عجيب أطلقوا عليه اسم « صداقات الضيف » . وعلى مدى السنين كانت العائلات تدير الأماكن المريحة لاستقبال الأصدقاء عندما كانت الحاجة تدعو إلى ذلك . حتى وإن كانت العائلات قد فقدت الاتصال ببعضها البعض . وكانت هذه الضيافة الكريمة أكثر لزوما فى دائرة المسيحيين إذ لم يكن للعبيد بيوت يأوون إليها . كما كان الأنبياء والوعاظ الجائلون دائماً فى الطرقات . وفى أعمال الحياة العادية كان على المسيحيين أن يقطعوا رحلات طويلة . وكانت أسعار الفنادق وسمعتها السيئة تجعل دخولها أمرا مستحيلا للمسيحيين . ولابد أن يكون فى تلك الأيام عدد كبير من المسيحيين المنعزلين فى بقاع نائية يحاربون فى فى معركة الإيمان وحدهم . وكانت المسيحية — ولاتزال — ديانة الباب المفتوح . ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن أولئك الذين يضيفون الغرباء كانوا يضيفون ملائكة وهم لايدرون . وهو يفكر فى اليوم الذى جاء فيه الملائكة إلى إبراهيم وسارة ، ويبشروهما بمولد ابن لهما (تكوين ١٨ : ١) كما إنه يذكر اليوم الذى جاء فيه الملاك إلى منوح ليخبره بأن سيكون له ابن (قضاة ١٣ : ٣) .

٣ — والسجية الثالثة هى العطف على المتضايقين . وهنا نرى الكنيسة المسيحية فى أجمل جوانب حياتها . وكثيرا ماكان يحدث للمسيحى أن

يزج فى السجن أوما هو أشر من السجون . وكان هذا يحدث إما بسبب إيمانه أو وفاء لدين لأن غالبية المسيحيين كانوا فقراء وكثيرا ما وقعوا فى أيدى القراصنة أو قطاع الطرق . وفى هذه الحالات كانت الكنيسة المسيحية تنهض للعمل . ويقول « ترتليان » فى دفاعه عن المسيحية « إذا كان أحدهم عاملا فى المناجم ، أو منفياً إلى الجزر البعيدة ، أو محبوساً فى السجون لالشىء إلا لولائه لقضية كنيسة الله ، كان على المسيحيين فى مثل هذه الحالات أن يقوموا بواجبهم خير قيام ، ويعتنوا بهم عناية بالغة » .

وقال « أرستيدس » الخطيب الوثنى عن المسيحيين : « إذا بلغهم أن واحداً منهم رمى فى سجن ، أو حلت به ضائقة لأجل اسم المسيح ، كانوا يقدمون له المساعدة اللازمة . وإذا كان افتداؤه ميسورا كانوا يدفعون الفدية لإطلاق سراحه . وقيل عن أوريجانوس وهو صغير أنه لم يكتف بالوقوف بجانب الشهداء والقديسين فى سجنهم إلى ساعة محاكمتهم النهائية ولكن عندما كانوا يساقون إلى الموت ، كان يرافقهم بشجاعة إلى مكان الخطر . وأحيانا كان يحكم على المسيحيين بالعمل فى المناجم ، التى كان الذهاب إليها شبيها بالذهاب إلى سيبريا أو إلى جزيرة الشيطان . وكانت التعليمات الرسولية تقول : « إذا حكم على مسيحى بالذهاب إلى المناجم بسبب إيمانه بالمسيح فلا تهملوا العناية به بل أرسلوا إليه مما تكسبون من تعبكم وعرق وجوهكم تدبيراً الاحتياجه ومكافأة له كجندى صالح ليسوع المسيح » . كان المسيحيون يبحثون عن إخوتهم المسيحيين ولو كانوا فى البرارى والقفار . وكانت بالفعل كنيسة مسيحية صغيرة فى مناجم « فائينو » . وكان المسيحيون أحيانا يفتدون من أيدى اللصوص وقطاع الطرق . وقد وضع الرسل قانوناً مؤداه : « كل الأموال التى تحصلون عليها من عملكم الأمين خصصوا منها جزءاً مناسباً لفداء القديسين الذين أخذوا عبيداً أوأسرى

أو مسجونين » وعندما اختطف لصوص « نوميديا » عدداً من المسيحيين ، جمعت كنيسة قرطا جنة مبلغاً من المال يساوى ألف جنيه إسترليني لفداء إخوتهم . كما أن هناك حالات واقعية باع فيها المسيحيون أنفسهم كعبيد ليجدوا المال اللازم لفداء أصدقائهم . بل إن المسيحيين كانوا مستعدين للذهاب إلى السجون لمساندة إخوتهم المسجونين . واشتهر المسيحيون بمساعدة المسجونين إلى حد أن الامبراطور « لبسينيوس » فى مطلع القرن الرابع أصدر قراراً يقول فيه « إنه غير مسموح لأى إنسان أن يظهر عطفاً على المتألمين فى السجن بإمدادهم بالطعام أو إظهار الرحمة للذين يموتون جوعا فى السجون » . وأضيف على القرار مادة أخرى تنص على أن الذين يكتشف أمرهم بالقيام بمثل هذه الأعمال يحكم عليهم بنفس الحكم الذى يصدر ضد هؤلاء المسجونين . وهذه الأمثلة مأخوذة من كتاب « امتداد المسيحية » للمؤرخ المشهور « هارنك » . فى الأيام الأولى للمسيحية لم يكن هناك مسيحى متضايق لسبب إيمانه مهملا أو منسيا من إخوته المسيحيين .

٤ ــ السجية الرابعة هى الطهارة . شدد كاتب الرسالة إلى العبرانيين على وجوب احترام الرابطة الزوجية . وقد وقف ضد اتجاهين كلاهما على طرفى نقيض .

(أ) كان من بين المسيحيين قوم من الزهاد المتنسكين الذين كانوا يحتقرون الزواج بل أن بعضهم خصوا أنفسهم فعلا لكى يحصلوا على الطهارة بحسب زعمهم . وأوريجانوس مثلا اتخذ هذا الاتجاه . وقد لاحظ « جالينوس » الطبيب الوثنى أن عدداً من الرجال والنساء المسيحيين يمتنعون عن الزواج كل أيام حياتهم . ويقف كاتب الرسالة ضد هؤلاء الراهدين فيقول إن الزواج يجب أن يكرم لا أن يحتقر .

(ب) ومن الجانب الآخر كان أولئك الميالون إلى الانحدار ببطء نحو الانحلال . ويستعمل كاتب الرسالة إلى العبرانيين كلمتين يصف بهما اتجاههم . الكلمة الأولى تشير إلى الزنى . والكلمة الثانية تشير إلى كل أنواع النجاسة والشذوذ الجنسى . وقد جاء المسيحيون إلى العالم بمثل عليا جديدة للطهارة . وحتى الوثنيون أنفسهم اعترفوا بذلك . وقد شهد جالينوس الطبيب الوثنى الذى اقتبسنا منه آنفا عن عفة المسيحيين فقال إنهم يحسبون الأفراد الذين يضبطون أنفسهم فى مصاف الفلاسفة الممتازين . وعندما فحص « بلينى » حاكم بيثينية أحوال المسيحيين وقدم تقريرا عنهم إلى الامبراطور « تراجان » ومع أنه كان يقصد أن يلصق بهم تهمة ، لكنه لم يقدر وقال فى تقريره عنهم انهم يجتمعون فى يوم الرب لكى يعاهدوا الله على تجنب السرقة والزنى وأن لاينقضوا كلمتهم ، وأن لاينكروا وديعة أؤتمنوا عليها بل أن يردوها على الفور عندما يطلب منهم ذلك » . قدم المستحتون فى الأيام الأولى للكنيسة نموذجا ممتازاً من الطهارة لدرجة أن الناقدين والأعداء لم يجدوا مطعنا فى حياتهم الأدبية والروحية .

٥ ـ والسجية الخامسة هى القناعة . ينبغى أن يكون المسيحى حراً من محبة المال ويجب أن يكون قانعاً بما عنده . ولماذا لايكون كذلك وهو يملك حضور الله المستمر بجواره ؟ ويقتبس كاتب الرسالة إلى العبرانيين عبارتين عظيمتين من العهد القديم (يشوع ١ : ٥ ، مزمور ١١٨ : ٦) لكى يبين أن رجل الله لايحتاج إلى شىء لأن عنده بصفة مستمرة حضور الله ومعونته . ولاشىء يمكن للإنسان أن يعطيه إياه أو يحصل عليه باجتهاده وطموحه يتفوق على ما يعطيه الله اياه .

القادة والقائد الأعلى

« أُذْكُرُوا مَرْشِدِيكُمُ ٱلَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ ٱللهِ .
ٱنْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ .
« يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَٱلْيَوْمَ وَإِلَى ٱلْأَبَدِ » .
(عبرانيين ١٣ : ٧ ، ٨)

يتضمن هذا الفصل وصفاً للقائد الحقيقي للناس .

١ ـ القائد الحقيقي للكنيسة هو الذى يكرز بالمسيح وبذلك يقدم الناس للمسيح . فلا يجذب الأنظار إلى شخصه بل إلى شخص يسوع المسيح . يروى لنا « ليزلى ويذرهيد » فى أحد كتبه قصة طالب فى مدرسة عامة قرر أن يدخل الخدمة . وسئل عن اليوم الذى اتخذ فيه هذا القرار فأجاب إن هذا كان على أثر سماعه موعظة فى كنيسة المدرسة . وسئل ثانية عن اسم الواعظ الذى قدم هذه العظة فقال إنه لايذكر اسم الواعظ وكل مايعرفه أن ذلك الواعظ أراه شخصية يسوع . إن واجب الواعظ الحقيقي هو أن يلغى نفسه ولايظهر للناس أحداً آخر ولاشيئاً آخر إلا يسوع المسيح .

٢ ـ والقائد الحقيقي للكنيسة يعيش فى الإيمان ولذلك يعمل على تقديم المسيح للناس . عرف أحدهم القديس بأنه « رجل يحيا فيه المسيح ثانية » إن واجب الواعظ الحقيقي لا أن يتحدث كثيراً للناس عن يسوع المسيح ولكن أن يظهر للناس يسوع المسيح فى حياته وعمله وكيانه . إن الناس لايصغون كثيراً إلى مايقوله الواعظ بقدر مايصغون إليه هو فى حياته العملية إن حياته ليست حجة بالكلام بل هى برهان بالعمل والسلوك .

٣ — والقائد الحقيقى يموت — إذا لزم الأمر — إظهاراً لحبه وولائه للرب يسوع . فهو يظهر للناس كيف يعيش . وفى النهاية يظهر للناس كيف يموت . وهو بذلك يقيم الدليل على أن ولاءه للمسيح بلاحدود . إن المسيح إذ أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم إلى المنتهى . والقائد الحقيقى إذ أحب يسوع يحبه أيضاً إلى المنتهى . إن ولاءه للمسيح لايقف أبداً فى منتصف الطريق .

٤ — وبتلك الوسيلة يترك القائد المسيحى شيئين للذين يأتون وراءه . يترك لهم مثالا وإلهاما . قال « كونتليان » الاستاذ الرومانى للخطابة « جميل بالمرء أن يعرف ويسترجع دائماً فى عقله الأعمال والأقوال العظيمة التى تمت فى الماضى » ونصح أبيقور تلاميذه أن يذكروا باستمرار الناس الذين عاشوا فىالفضيلة فى الأزمنة القديمة . وإن كان هناك شىء واحد يحتاج إليه العالم والكنيسة أكثر من غيره فى كل جيل فإن هذا الشىء الواحد هو القيادة التى من هذا الطراز .

ثم ينتقل كاتب الرسالة إلى العبرانيين بعد ذلك إلى فكر عظيم آخر . . إنه من طبيعة الأشياء أن كل القادة البشريين يمضون ويأتى مكانهم آخرون . إن لهم يومهم الذى يقودون فيه جيلهم ثم يختفون من المشهد . وبعد أن يؤدوا دورهم فى رواية الحياة ينسدل عليهم الستار . أما يسوع المسيح فهو الباقى كما هو أمساً واليوم وإلى الأبد . إن تفوقه باق وسيبقى إلى كل الدهور . وإن قيادته باقية وستبقى إلى منتهى الأجيال . وهنا يكمن سر القيادة البشرية. إن القائد الحقيقى هو الرجل الذى يقوده يسوع المسيح . إن القادة الذين صنعوا الكنائس ، والرجال الذين قادوا آخرين إلى طريق الحياة الفضلى هم الذين فى كل عصر وفى كل جيل ساروا تحت قيادة يسوع المسيح الأزلى والأبدى

الذى لايتغير . هو الذى سار فى طرقات الجليل وهو لايزال قويا ليضرب الشر ويحب الخاطىء . وكما اختار اثنى عشر تلميذاً ليكونوا معه ثم أرسلهم ليعملوا عمله لايزال إلى يومنا الحاضر يبحث عن أشخاص يقدمون الناس له ويقدمونه هو للناس .

وجه الخطأ والصواب فى الذبيحة

« لاَ تُسَاقُوا بِتَعَالِيمَ مُتَنَوِّعَةٍ وَغَرِيبَةٍ لِأَنَّهُ حَسَنٌ أَنْ يُثَبَّتَ ٱلْقَلْبُ بِالنِّعْمَةِ لاَ بِأَطْعِمَةٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا ٱلَّذِينَ تَعَاطَوْهَا . لَنَا مَذْبَحٌ لاَ سُلْطَانَ لِلَّذِينَ يَخْدِمُونَ ٱلْمَسْكَنِ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهُ فَإِنَّ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلَّتِى يُدْخَلُ بِدَمِهَا عَنِ ٱلْخَطِيَّةِ إِلَى الْأَقْدَاسِ بِيَدِ رَئِيسِ ٱلْكَهَنَةِ تُحْرَقُ أَجْسَامُهَا خَارِجَ ٱلْمَحَلَّةِ لِذَلِكَ يَسُوعُ أَيْضاً لِكَىْ يُقَدِّسَ ٱلشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِهِ تَأَلَّمَ خَارِجَ ٱلْبَابِ.فَلْنَخْرُجْ إِذاً إِلَيْهِ خَارِجَ ٱلْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ لِأَنَّ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ لَكِنَّنَا نَطْلُبُ ٱلْعَتِيدَةَ . فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِى كُلِّ حِينٍ لِلهِ ذَبِيحَةَ ٱلتَّسْبِيحِ أَىْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِٱسْمِهِ . وَلَكِنْ لاَ تَنْسُوا فِعْلَ ٱلْخَيْرِ وَٱلتَّوْزِيعَ لِأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلَ هَذِهِ يُسَرُّ ٱللهُ » .

(عبرانيين ١٣ : ٩ — ١٦)

لانظن أن أحداً استطاع أن يكتشف المعنى الدقيق لما ينطوى عليه هذا

الفصل . ولاشك أن تعاليم زائفة كانت تتسلل إلى الكنيسة التى كتبت لها هذه الرسالة . ولم يكن كاتب الرسالة إلى العبرانيين فى حاجة إلى التوسع فى وصف هذه التعاليم لأن الذين يكتب لهم كاتب الرسالة إلى العبرانيين كانوا يعرفونها جيد المعرفة ، ولأن بعضاً منهم قد انساقوا إليها كما إنهم جميعاً كانوا فى خطر الانزلاق إليها . أما نحن فليس عندنا إلا التلميح والترجيح .

١ — كانت لليهود قوانينهم الصارمة فى مسائل الطعام . وهى موضوعة بإسهاب فى الأصحاح الثانى عشر من سفر اللاويين . وكل العالم يعرف أن اليهودى لايأكل لحم الخنزير . واعتقد اليهودى أنه يستطيع أن يخدم الله ويكسب رضاه بتناول أطعمة خاصة والامتناع عن الأطعمة المحرمة . ويحتمل أنه كان فى تلك الكنيسة بعض المسيحيين الذين أظهروا استعدادهم للتخلى عن حريتهم والعودة ثانية تحت نير الأنظمة اليهودية الخاصة بالطعام وتصوروا أنهم بالرجوع إلى تلك القوانين القاسية يضيفون قوة إلى نفوسهم وحياتهم الروحية .

٢ — كما إن بعض اليونانيين كانت لهم آراء محددة بشأن الطعام ومن زمن بعيد كان فيثاغورس يسير على هذا النظام الدقيق . وكان يعتقد بتناسخ الأرواح وأن نفس الإنسان تنتقل من جسد إلى جسد حتى تستحق الانطلاق أخيراً . وهذا الانطلاق يمكن تعجيله بالصلاة والتأمل والتقشف والتزهد . ولأجل ذلك كان أتباع فيثاغورس نباتيين ولا يتناولون أى نوع من اللحوم . وكان هناك أيضاً قوم يدعون « الغنوسيين » أو أهل المعرفة وكانوا إلى حد كبير على شاكلة أتباع فيثاغورس . وكانوا يعتقدون أن المادة كلها شر ، وأن الإنسان يجب أن يركز إهتمامه بالروح لأنها كلها خير واعتقدوا — تبعاً لذلك — أن الجسد كله شر وفساد وأنهم يجب أن يعاملوه

بمنتهى القسوة والحرمان ويكتفوا بأقل قدر ممكن من الطعام ويمتنعوا إمتناعاً كلياً عن أكل اللحوم . وكان أيضاً عدد من اليونانيين الذين ظنوا أنهم بما يأكلون أو يمتنعون عن أكله يتقوون فى حياتهم الروحية ويطلقون نفوسهم من عقال الجسد .

٣ — ولكن لاشىء من هذا كله يليق بالمسيحى لأن الأكل أو الشرب ليست له صلة بجسد المسيح كما كانوا يزعمون . إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يرجع بالذاكرة إلى الأنظمة الخاصة بيوم الكفارة . واتباعا لتلك التعليمات فإن الثور الذى كان يقدم ذبيحة كفارية عن خطايا رئيس الكهنة ، والتيس الذى كان يقدم ذبيحة كفارية عن خطايا الشعب ، كانا كلاهما يحرقان تماما فى مكان خارج المحلة (اللاويين ١٦ : ٢٧)، لقد كانا ذبيحتين للخطية ولم يسمح لأحد من العابدين أن يأكل منهما ويرى كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يسوع هو الذبيحة الكاملة . والتشابه كامل بين ذبيحة المسيح وذبائح يوم الكفارة . فإن يسوع قدم نفسه ذبيحة كفارية عن الناس خارج الباب لأن الجلجثة كانت خارج أسوار مدينة أورشليم . وكانت عمليات الصلب تتم دائماً خارج المدن . ويسوع أيضاً كان ذبيحة الخطية لأجل الناس وكما لم يسمح لأحد أن يأكل من لحم ذبيحة الخطية فى يوم الكفارة هكذا لايقدر أحد أن يأكل — حرفيا — من جسد المسيح . ولعلنا قد وجدنا هنا المفتاح لهذا الفصل . وقد كان فى تلك الكنيسة أفراد قلائل ظنوا أنهم عند تناولهم فريضة العشاء الربانى ، أو عند تكريسهم طعاماً معيناً ليسوع ، ظنوا أنهم فى حقيقة الأمر يأكلون جسد يسوع . ظنوا أنهم بتكريس طعامهم ليسوع أن جسد يسوع قد دخل إلى هذا الطعام . وكان هذا بالفعل اعتقاد اليونانيين الوثنيين فى آلهتهم . فإذا قدم يونانى ذبيحة كان يعطى له جزء من تلك الذبيحة وكان أحياناً يصنع وليمة له ولأصدقائه داخل الهيكل الذى قدم

فيه الذبيحة . وكان يعتقد أنه عندما أكل من لحم الذبيحة ، فإن الإله الذى قدمت له الذبيحة كان فى اللحم وأنه دخل إلى مقدم الذبيحة . ومع أكله من اللحم دخل الإله إلى جسمه وقلبه . ويحتمل أن بعض اليونانيين دخلوا بأفكارهم معهم عندما اعتنقوا المسيحية ونادوا بلزوم أكل جسد يسوع . أما كاتب الرسالة إلى العبرانيين فقد انبرى لهم وقال بمنتهى الشدة والوضوح إن الطعام لايقرب المسيح للإنسان وإنما يدخل المسيح إلى قلب الإنسان بالنعمة فقط . ولعلنا قد حصلنا هنا على وجوب الوقوف ضد التركيز الزائد عن الحد فى تناول الفرائض المقدسة . ومن الحقائق التى يجب التنويه عنها أن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لايذكر أبداً الفرائض فى رسالته ويبدو أنها لاتدخل أبداً فى المنهج الذى وضعه أمامه . ويحتمل جداً أنه حتى فى العهد الأول للمسيحية كان هناك قوم نظروا إلى الفريضة نظرة آلية ونسوا أنه لاتوجد فريضة فى العالم لها اقتدار فى ذاتها . وإنما فائدتها الوحيدة أن فيها تلتقى نعمة الله بإيمان الإنسان . فليس اللحم هو الذى يهم وإنما الإيمان والنعمة هما اللذان يعول عليهما .

وقد حفزت هذه الحجة غير المألوفة كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى التفكير فى موضوع جديد وخطير . إن المسيح قد صلب خارج الباب ونفى بعيداً عن الناس وقد وقع عليه عار مجرم أثيم وأحصى مع الخطاة المذنبين . ومن هنا يرى كاتب الرسالة إلى العبرانيين صورة جديدة . إذ علينا نحن أيضاً أن نفصل أنفسنا عن حياة العالم . ونحن أيضاً يجب أن نخرج خارج أبواب العالم . ويجب أن نحتمل ذات العار الذى احتمله المسيح لأجلنا . إن الانفصال والانعزال والإذلال لابد أن يقع على المسيحى الذى يأتى للمسيح ويسلم حياته له . إن المسيحى يجب أن يكون مستعداً لاختبار نفس المعاملة من العالم مثلما اختبرها سيده .

لكن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يمضى إلى ما هو أبعد من ذلك . إذا كان المسيحى لايقدر بالفريضة أن يقدم ذبيحة المسيح ثانية ، فما هى الذبائح التى يستطيع أن يقدمها ؟ ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إن فى ميسور المسيحى أن يقدم ذبائح أخرى .

١ — يستطيع المسيحى أن يقدم بصفة مستمرة ذبيحة الشكر والتسبيح لله . كانت الشعوب القديمة تقول أحياناً أن ذبيحة الشكر أفضل عند الله من ذبيحة الخطية . لأن الإنسان عندما يقدم ذبيحة الخطية يرغب فى الحصول على غفران لخطاياه من عند الله . أما ذبيحة الشكر فهى ذبيحة القلب الشكور وهو لايرجو من ورائها شيئاً ولايشترط شرطا ما .

٢ — ويستطيع المسيحى أن يقدم اعترافه العلنى بايمانه باسم المسيح . هذه هى ذبيحة الأمانة والولاء للرب يسوع . إن المسيحى يستطيع أن يقدم دائماً لله حياة لاتخجل أبداً من المسيح الذى هى له والذى تخدمه . إن عدم الخجل من إنجيل يسوع المسيح هو أيضاً ذبيحة مقبولة عند الله .

٣ — ويستطيع المسيحى أن يقدم أيضاً ذبيحة لله بأعمال الخير والشفقة بإخوته من بنى البشر . وفى الواقع كان اليهود يعرفون جيداً هذا النوع من أعمال الخير والإحسان . فبعد عام ٧٠ للميلاد انتهى تقديم الذبائح فى الهيكل بعد خرابه . فما الذى الذى بقى لهم بعد ذلك ؟ لقد علم معلمو اليهود بعد خراب الهيكل وإبطال الذبائح أن الصلاة والتوبة ودراسة الناموس والإحسان هى ذبائح موازية للطقوس القديمة . وكان الربى « يوحنان بن زكاى » يعزى نفسه فى تلك الأيام الحزينة باعتقاده أن ممارسة أعمال الخير والإحسان هى ذبيحة قانونية للتكفير عن الخطية . ويقول كاتب مسيحى قديم « لقد انتظرت أن قلبك يصنع ثماراً صالحة ، وأنك تتعبد لله

خالق الكل وأنك تقدم له باستمرار صلواتك فى أعمال العطف على المحتاجين. لأن الذى يظهره الناس نحو الناس هو ذبيحة غير دموية ومقدسة عند الله . . وأخيراً وليس آخرا إن يسوع نفسه قال « بما أنكم فعلتم بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى قد فعلتم » (متى ٢٥ : ٤٠) .

إن أفضل جميع الذبائح التى تقدمها لله هى ذبيحة تقديم المساعدة لواحد من أبنائه المحتاجين .

الطاعة والصلاة

« أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا لِأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لِأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ لاَ آنِّينَ لِأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ صَلُّوا لِأَجْلِنَا . لِأَنَّنَا نَثِقُ أَنَّ لَنَا ضَمِيراً صَالِحاً رَاغِبِينَ أَنْ نَتَصَرَّفَ حَسَناً فِى كُلِّ شَيْءٍ وَلَكِنْ أَطْلُبُ أَكْثَرَ أَنْ تَفْعَلُوا هَذَ لِكَيْ أُرَدَّ إِلَيْكُمْ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ » .

(عبرانيين ١٣ : ١٧ - ١٩)

يضع هنا كاتب الرسالة إلى العبرانيين واجب الجماعة نحو قادتها الحاضرين وقائدها الغائب .

وواجب الجماعة نحو القادة الحاضرين هو الطاعة. إن الكنيسة هيئة ديموقراطية لكنها ليست ديموقراطية من غير ضابط أونظام ، إنها يجب أن تقدم الطاعة للقادة الذين اختارتهم مرشدين لها . وهذه الطاعة لايجب أن تعطى إشباعاً لإحساس القادة بالسلطة أو ازدياداً فى مقامهم . لكنها يجب أن تعطى حتى

لا يرى القادة أنفسهم قد فقدوا نفساً من النفوس الموكلة إليهم لرعايتها . إن أعظم فرح يغمر قلب قائد الكنيسة عندما يرى الذين هم تحت قيادته مؤسسين وموطدين فى الطريق المسيحى . كما كتب يوحنا الرسول « ليس لى فرح أعظم من هذا أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق » (يوحنا الثالثة ٤) كما أن أعظم حزن يكسر قلب قائد الكنيسة هو عندما يرى الذين يقودهم قد ابتعدوا كثيراً عن الله .

وواجب الكنيسة نحو قائدها الغائب هو واجب الصلاة . إنه واجب مسيحى أن نحمل دائماً أحباءنا الغائبين عنا إلى عرش نعمة الله . إنه واجب مسيحى أن نذكر يومياً أمام عرش نعمة الله جميع الذين يحملون مسئولية القيادة والسلطة . عندما صار مستر بلدوين رئيساً للوزراء فى إنجلترا ، إحتشد أصدقاؤه من حوله لتهنئته . لكنه رد على تهنئتهم بقوله « إن ما أحتاج إليه حقاً ليس تهنئتكم بل صلواتكم » .

يجب أن نعطى طاعتنا واحترامنا للذين لهم سلطة علينا فى أثناء وجودهم معنا . وفى غيابهم عنا يجب أن نذكرهم دائماً فى صلواتنا .

صلاة وتحية وبركة

« وَإِلَهُ ٱلسَّلَامِ ٱلَّذِى أَقَامَ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ رَاعِيَ ٱلْخِرَافِ ٱلْعَظِيمَ رَبَّنَا يَسُوعَ بِدَمِ ٱلْعَهْدِ ٱلْأَبَدِيِّ لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ عَامِلاً فِيكُمْ مَا يُرْضِى أَمَامَهُ بِيَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ ٱلَّذِى لَهُ ٱلْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ . آمِينَ

« وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا ٱلْأُخْوَةُ أَنْ تَحْتَمِلُوا كَلِمَةَ

الْوَعْظِ لأَنِّى بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ إِعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أُطْلِقَ ٱلْأَخُ تِيمُوثَاوُسُ ٱلَّذِى مَعَهُ سَوْفَ أَرَاكُمْ إِنْ أَتَى سَرِيعاً . سَلِّمُوا عَلَى جَمِيعِ مُرْشِدِيكُمْ وَجَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ . يُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ إِيطَالِيَا . ٱلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِكُمْ . آمِينَ » .

(عبرانيين ١٣ : ٢٠ — ٢٥)

إن الصلاة العظيمة التى جاءت فى العددين الأولين من هذا الفصل ترسمان لنا صورة كاملة عن الله وعن يسوع .

١ — الله هو إله السلام . حتى فى أشد المواقف يأساً وضيقاً يقدر الله أن يعطى السلام لنفوس الناس . وفى أية جماعة منقسمة يكون سبب انقسامها أن الناس نسوا الله ولكن عودة السلام المفقود متوقفة فقط على ذكرى الحضور الإلهى معهم . وعندما يتحير الإنسان بين عقله وقلبه ويتمزق إلى نصفين بين جانبى طبيعته فإنه بوضع حياته تحت سيطرة الله يستطيع أن يختبر السلام . إن الله فقط هو القادر أن يضع الإنسان فى علاقة صحيحة مع نفسه ، ومع إخوته ، ومع الأبدية . إن إله السلام وحده هو الذى يقدر أن يجعلنا فى سلام معه ، ومع نفوسنا ، ومع الناس .

٢ — الله هو إله الحياة . إن الله هو الذى أقام من الأموات ربنا يسوع المسيح . إن محبة الله وقوة الله هما الشيئان الوحيدان اللذان يستطيعان أن يعطيا الإنسان سلاماً فى الحياة وانتصاراً فى الموت . إن يسوع قد مات طوعاً لمشيئة الله ، وإن مشيئة الله عينها هى التى أقامته من الأموات . وهكذا

الإنسان الذى يطيع مشيئة الله لايعرف شيئاً فى حياته اسمه كارثة نهائية أو ضربة قاضية . وحتى الموت نفسه يستطيع المسيحى الأمين أن ينتصر عليه .

٣ ــ الله هو الإله الذى يقدر أن يعرفنا بمشيئته ويمكننا من صنعها . إن الله لايكلفنا أبداً بمهمة ما من غير أن يمدنا بالقوة للقيام بها وبالرؤيا التى يكشف لنا بها عن مشيئته ، يرسل لنا أيضاً القوة لإتمامها . وهو لايرسلنا أبداً إلى عمل من الأعمال وليس معنا إلا قوتنا الخاصة ومواردنا المحدودة . ولو كان الأمر كذلك لكنا نتراجع أمام مطالب الحياة المسيحية . عندما يرسلنا الله إلى خدمة صعبة فهو يسلحنا ويمدنا بكل ما نحتاج إليه .

وهنا نجد أيضاً الصورة العظيمة الثلاثية عن يسوع .

١ ــ يسوع هو راعى خرافه العظيم . إن صورة يسوع الراعى الصالح هى صورة عزيزة جداً عندنا . ولكن من الغريب أن بولس الرسول لم يذكر هذه الصورة فى رسائله ، وإن كاتب الرسالة إلى العبرانيين لايذكرها إلا هذه المرة الواحدة فقط وهناك قصة جميلة عن موسى عندما هرب من مصر وكان يرعى قطعان حميه يثرون فى الصحراء أن خروفا من القطيع ضل طريقه . وتبعه موسى فى صبر حتى وجده يشرب من مجرى جبلى وصعد موسى إليه وحمله على منكبيه وقال له موسى بصوت رقيق « لقد خرجت هائماً فى الصحراء لأن العطش قد اشتد بك » ومن غير أن يغضب للتعب الذى سببه له الخروف الضال حمله راجعاً به إلى البيت . وعندما رآه الله هكذا قال « إذا كان هذا الرجل موسى عطوفاً ومتحنناً على خروف ضال فهو أصلح رجل ليكون قائداً لشعبى » ، إن الراعى هو الشخص المستعد أن يبذل حياته عن قطيعه هو الشخص الذى يتحمل غباوة الخراف ولايكف أبداً عن حبه لها . وهذا بالضبط مايفعله يسوع معنا .

٢ ــ إن يسوع هو الذى أسس العهد الجديد . وهذا معناه إن يسوع هو الشخص الوحيد الذى جعل العلاقة الجديدة بين الله والإنسان ميسورة ، إن يسوع هو الذى أرانا ما هو الله وهو الذى فتح لنا الباب إلى محضره . لقد نزع الرعب من قلوبنا وأرانا الله فى كمال محبته .

٣ ــ إن يسوع هو الذى مات . فهو لكى يؤسس تلك العلاقة الجديدة ، ولكى يرينا ما هو الله فى طبيعته ، ولكى يفتح الباب للجميع إلى الله ، قد كلفه حياته . إن علاقتنا الجديدة بالله قد كلفت يسوع أن يسفك دمه لأجلنا . لقد مات لكى يقدمنا إلى الله وإلى الحياة .

وأخيراً تنتهى الرسالة ببعض التحيات الشخصية . ويعتذر كاتب الرسالة إلى العبرانيين نصف اعتذار لطول رسالته ولوكان قد عالج هذه الموضوعات باتساع وإفاضة لما كان قد انتهى منها . ويقول « موفات » « إن رسالة العبرانيين قصيرة لكى تتمكن من قراءتها بصوت مسموع فى أقل من نصف ساعة ــ بالمقارنة بالموضوعات الأزليه واللانهائية التى تعالجها » أما الإشارة إلى تيموثاوس فلا أحد يعرفها على وجه التحقيق ولكن يبدو أن تيموثاوس أيضاً كان سجيناً لأجل اسم المسيح .

وتختم الرسالة ببركة . وكانت الرسالة تحدثنا فى كل صفحاتها عن نعمة لمسيح التى فتحت الطريق إلى الله . وهكذا نأتى إلى نهاية الرسالة بصلاة . بأن تدوم فينا هذه النعمة العجيبة وتستقر دائماً علينا . آمين .